الهيئة المصرية العامة للكتاب
سلسلة الجوائز
سلسلة الجوائز
٧٧

رواية

موريل باربرى

أناقة القنفذ

ترجمة: محمود قاسم

الكاتبة.

موريل باربرى، روائية فرنسية.

- ولدت فى الدار البيضاء بالمغرب عام ١٩٦٩.
- درست الفلسفة فى المدرسة العليا فونتناى سان كلود، وبدأت حياتها مدرسة للفلسفة فى المدارس الثانوية.
- كتبت أولى رواياتها عام ٢٠٠٠ بعنوان "شراهة". وحازت روايتها الثانية "أناقة القنفذ" اهتمام الأوساط الأدبية فى فرنسا، وطبعت أكثر من طبعة فى عام واحد ورُشحت لأكثر من جائزة، وكانت بمثابة المفاجأة الأدبية لعام ٢٠٠٦، وحازت جائزة المكتبات عام ٢٠٠٧.

الجائزة:

جائزة المكتبات الفرنسية
واحدة من أهم الجوائز الأدبية الفرنسية، مُنحت لأوّل مرة عام ١٩٥٥، أى أنها واحدة من أعرق الجوائز الشهيرة. تمنحها مؤسسة ثقافية كبرى هى "المنظمة الفرنسية لنقابات المكتبات "FFSL". وهى منظمة تتبعها خمسة آلاف مكتبة فى أنحاء فرنسا والبلاد الناطقة بالفرنسية مثل سويسرا وبلچيكا وكندا
تمنح فى الأساس لرواية مكتوبة مباشرة باللغة الفرنسية، ويحصل الفائز على ميدالية تعنى توزيع الرواية فى كل هذه المكتبات وبالتالى ضمان بيع مئات الألوف من النسخ
وقد حققت جائزة المكتبات بعد أكثر من نصف القرن سمعة طيبة، حيث حازها عددٌ كبير من أهم الكُتاب الفرنسيين

أناقة القنفذ

باربرى، موربيل.
أناقة القنفذ: رواية/ تأليف: موربيل باربرى؛ ترجمة: محمود قاسم. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠.
٤٨٠ ص ؛ ٢٢ سم. ـ (سلسلة جوائز)
تدمك ٧ ٦٤١ ٤٢١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ القصص الفرنسية.
أ ـ قاسم، محمود (مترجم)
ب ـ العنوان .
رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٦٦٤/ ٢٠١٠
I. S. B. N 978 - 977 - 421 -641 - 7
ديوى٨٤٣

أناقة القنفذ

مورييل باربرى

رواية

ترجمة: محمود قاسم



• الكتاب: أناقة القُنفذ

L'Elégance du hérisson

• تأليف: موريبيل باربرى

Muriel Barbery

• ترجمة: محمود قاسم.

• يصدر هذا الكتاب باللغة العربية بإذن خاص من الناشر الأصلى للهيئة المصرية العامة للكتاب.

• الطبعة الأولى ٢٠١٠.

• طبع فى مطابع الهيئة المصرية للعامة للكتاب.

مقدمة

هذه الرواية حالة خاصة، سواء بالنسبة إلى كاتبتها، أو لمن يقوم بترجمتها، وبالطبع لقارئها، إنها رواية ثقافة، لن تستطيع أن تتوغل فيها، إلا إذا كنت قارئاً للفلسفات الأوروبية البارزة فى القرن العشرين، بخاصة الظاهراتية، والوجودية.

وأعترف، قبل أن أكتب مقدمة لهذه الرواية، أنها أنهكتنى بشكل ملحوظ، وقد توقفت عن ترجمتها أكثر من مرة، رغم أننى وجودى النزعة، وأننى قرأت فى الظاهراتية بما يجعلنى أفهم المصطلح الذى قدمته هنا.

هى رواية لا تكتبها سوى كاتبة من طراز موربيل باربرى، التى فازت عن هذه الرواية بأربع جوائز أدبية، وليست جائزة واحدة، لكن قبل أن نتحدث عن الرواية، تهمنا الإشارة إلى أننا أمام رواية من طراز "الغثيان"، وثلاثية "دروب الحرية" لجان بول سارتر، فهى رواية سكبت فيها الكاتبة كل رؤيتها الفلسفية

التى درستها فى الجامعة، والفكر الذى آمنت به، خاصة رؤيتها للحياة والموت، وسوف تجد شخصيات أقرب إلى روكنتان فى رواية "الغثيان"، من خلال بالوما ورينيه ميشيل، علماً بأن فارق السن فيما بينهما يصل إلى الثلاثة والأربعين عامًا.

إذًا، فالزمن يتواصل، إن الفلاسفة يكتبون الروايات، وفى هذه الروايات الصعبة يسكبون آراءهم وفلسفاتهم التى آمنوا بها، وقد فعل الكثير من تلاميذ سارتر الشىء نفسه، وأثاروا الضجيج والجدل برواياتهم، مثلما فعل الفيلسوف برنار هنرى ليفى فى روايته "الشيطان فى الرأس" عام ١٩٨٤.

مورييل باربرى، المولودة فى الدار البيضاء بالمغرب فى ٢٨ مايو ١٩٦٩ لم تعاصر سارتر ورفاقه فى قمة مجدهم، لكنها درستهم فى الجامعة مثل كولومب إحدى بطلات الرواية، فهى التى درست فى المدرسة العليا فونتناى سان كلود، ثم تخرجت فى قسم الفلسفة، وعملت فى بداية حياتها مدرسة للفلسفة لطلاب الثانوى، قبل أن تتجه إلى كتابة الرواية، وتقدم نفسها إلى الحياة الأدبية فى عام ٢٠٠٠ بروايتها "شراهة". أى أنها نشرت هذه الرواية وهى فى الحادية والثلاثين، وهى سن متأخرة نسبياً، بالنسبة لاكتشاف المواهب الجديدة فى فرنسا، وقد لاقت الرواية نجاحاً فى الموسم الأدبى لعام ٢٠٠٠، وترجمت روايتها الأولى إلى اثنتى عشرة لغة، إلا أن روايتها الثانية "أناقة القنفذ" كانت بمثابة المفاجأة الأدبية للعام ٢٠٠٦، حيث

طبعت أكثر من مرة فى عام واحد، وباعت فى هذا العام ٦٠٠ ألف نسخة، وهو رقم يعكس أن القراء الذين استوعبوا مثل هذه الرواية المليئة بالأفكار والفلسفة فى فرنسا قد وصل عددهم إلى أكثر من نصف مليون قارئ، وهذا يعنى أن الكاتبة ألفت الرواية لبنى ثقافتها، الذين منحوها أربع جوائز متتالية هى: جائزة الأديب جورج بارسنس فور صدورها، ثم جائزة الروتارى العالمية، وجائزة المكتبات عام ٢٠٠٧ .. وهذه ظاهرة فريدة، ونادرة فى الجوائز الأدبية الأوروبية، فالكاتب يحصل على الجائزة نفسها مرة واحدة طوال حياته، كما أن الجوائز توزع بالتساوى بين الروايات، فمن يحصل على جائزة جونكور - مثلا - يرفع اسمه على الفور من الفوز بأية جائزة أخرى فى السنة نفسها.

إذًا، فنحن أمام روائية استثنائية، رغم صعوبة مفردها اللغوى، والمفهوم الفلسفى لديها، وهى رواية يمكن أن تعيش فى ذاكرة مَنْ يحبون هذا النوع من الكتابات، والغريب أن الكاتبة التى تكتب بهذا الأسلوب، هى تلميذة وفية للرواية الكلاسيكية، فحسب المراجع حول مسيرة موربيل باربرى، فإن العمل الأدبى التى لا تكف عن إعادة قراءته هو "الحرب والسلام" لتولستوى. كما أن سيرة حياة الكاتبة قد انسكبت أيضاً فى هذه الرواية من خلال إعجابها بالثقافة اليابانية التى تحدثت عنها باسهاب، وكان أبطال فى هذه الرواية من اليابانيين أصحاب

الثقافات العالمية، الذين ينتمون إلى أسرة يابانية أنجبت المخرج المعروف فرانك أوزو، وذلك كما سنرى، فالثقافة الثالثة للكاتبة، بعد الفرنسية، وثقافة تولستوى، هى اليابان، حيث اختارت الذهاب إلى بلاد الشمس المشرقة، وذلك للعمل هناك كمدرسة، لتقيم عاماً أو عامين، إلا أنها أقامت لسنوات طويلة، وعبرت عن حبها لثقافة هذا البلد كما أشرنا، فى جزء كبير من فصول هذه الرواية، وأحداثها، ولذا فليس من الغريب أن تفوز الرواية نفسها بجائزة يابانية، عقب ترجمة الرواية إلى اللغة اليابانية، والجدير بالذكر أن موربيل تعيش الآن فى مدينة كيوتو، التى ذكرتها أيضاً على لسان بطلتها.

لم تلفت رواية "موربيل باربرى" الأولى "شراهة" أى انتباه إليها، إلا أن النقاد لم يكتبوا عنها بجدية وتعمق، إلا بعد أن نشرت روايتها الثانية، وصار النقاد يرون أن "شراهة" ليست سوى إرهاصات أولى لـ "أناقة القنفذ"، حيث كتب جان لو آن الروايتين قد تمتعا بـ "عذوبة الكتابة" وهذا المزاج العالى لقصص مليئة بالذكاء الخفى، والرواية تدور حول رجل، صورته الكاتبة أقرب إلى الشخصيات المقدسة. كأنه السيد المسيح عشية صلبه، فهو يعرف أنه سيموت فى اليوم التالى، وأن العلاج لم يعد يفيد، ولكن على عتبة الموت، فهو يفكر أن يكون منقذاً لشخص آخر، يمنحه قلبه، سواء كان طفلاً، أو شابًا مراهقًا. ويروح يتذكر، فى صمت، كيف عاش حياته، ابتداء من مراحل الطفولة،

وتهل عليه كافة الذكريات بروائحها، وحواراتها، ودخانها وفراشها، وأسماكها، ومشاريبها، ويكتشف أن حياته كلها كانت حالة مركبة من الشراهة لشراء الأشياء، أشياء عديدة ومتنوعة، وأنه لم يحس أبداً بالشبع من هذه الشراهة، وأن الموت الذى سيأتى غداً هو نوع جديد من الشراهة.

أما رواية "أناقة القنفذ" فنحن أمام عمل إبداعى نسائى، بطلتاه امرأتان، فى مرحلتين من العمر متباعدتين. لكنهما تلتقيان معاً ثقافياً على الأقل، الأولى هى بوابة العمارة رقم ٢٧ بشارع جرينل، فى الرابعة والخمسين من عمرها، هى امرأة قرأت الآداب العظيمة، والفلسفات الإنسانية، جاءت من الريف، وتمتلك كبرياء عظيمة، وتشعر بالغربة عمن حولها، الملاك يمثلون الطبقات العليا، بعضهم من أسر فرنسية ذات مكانة مرموقة، وفى إحدى الشقق يسكن اليابانى العجوز اوزو الساكن الجديد، الوحيد الذى يحاول أن يدخل البوابة إلى عالمه. فتعمد أن "يدهشها" أما الطفلة بالوما، فهى فى حالة دهشة دومًا، هى أشبه بروكنتان، لكنها طفلة، تقرأ بعمق، وتقدم نفسها من خلال عناوين تسميها تارة "فكرة عميقة"، ثم "يوميات حركة العالم".. تلتقى مصادفة بالبوابة، تذهب إليها فى محاولة لفض اشتباك بين المرأة، وبين أختها، ثم تكتشف كل منهما الأخرى، ونحن لا نقص ما فى الرواية، فهذا النوع من الروايات لا يعتمد على الحكى، ويخلو من الحدوتة، لكن عبقريته، فى التفاصيل التى ترويها كل من المرأتين،

كل منهما على لسانها، وبلغتها الخاصة، لذا فإن لدينا هنا مستويين من الأسلوب، الأول أسلوب امرأة مثقفة، والثانى تلميذة، تدرك الظاهراتية، وتسخر من آختها دارسة الفلسفة، أى أن الروائية هنا، قسمت نفسها إلى ثلاث نساء ومراحل، مرحلة تشبهها، وهى الدارسة للفلسفة، أى فى سن مقابل للأخت كولومب. أما المرحلة الثانية، فهى تمثل ماضيها، آى حين كانت فى سن الثانية عشرة، يملؤها التساؤل، ومحاولة طرح أسئلة بلا إجابات، أسئلة تكبر سنها. أما المرأة الثالثة فهى حين تبلغ الكاتبة سن الرابعة والخمسين، بصرف النظر عن الوظيفة، فنحن هنا لسنا أمام بوابة، إلا من خلال وظيفتها، ونحن لم نقرآ عنها، إنها قامت بالتنظيف، أو المسح، لدرجة أنها تغلق الباب فى مواجهة كولومب لمجرد أنها طرقت عليها قبل موعد العمل الرسمى للبوابة بساعة، وكل ما نعرفه عن وظيفة البوابة هنا، أنها يمكن أن تستلم رسالة كى تأتى صاحبتها وتأخذها فى الوقت المناسب.

إذًا، فالفكرة، والفلسفة، هو الهم المشترك بين النسوة الثلاث، وإن كانت بالوما تسخر من آختها حيث إنها تراها مسطحة، مدعية، وغير متعمقة، كما أن هناك رابطة أسرية تربط بين بالوما وأبيها، وأمها، لكنها تحس أن مستواها الفلسفى والفكرى أعمق بكثير ممن حولها، دون مكابرة آو ادعاء.

وبالوما تتحول من مجرد فتاة تود أن تلفت الأنظار إليها، تفكر فى أن تحرق المسكن الذى تعيش

فيه، إلى أن تتبنى الأفكار العظيمة التى تناقشها فيها رينيه البوابة. لذا، فإن هذه المرأة لها جانب، والآخرون يرونها مجرد بوابة لا أكثر، أما جوهرها فإنه مختلف تماما، وتحتاج إلى شخص بالغ الحكمة مثل السيد كاكورو آوزو، كى يفهمها، ويدعوها بكل لياقة كى تتناول معه العشاء فى مسكنه.

ورينيه هذه ـ كما أشرنا ـ هى صورة من الكاتبة، فهى مثلها معجبة بتولستوى، لدرجة أنها أطلقت اسم "ليو"، وهو اسم ليو تولستوى مؤلف "الحرب والسلام" على قطها الوحيد الذى يعيش معها، وتبدو له مكانته القريبة جداً، فهى تكرس وقتها للقط، وللقراءة، حيث تبدو المرأة كأنها قد اختفت داخل هذه الوظيفة، ورينيه تستقبل من وقت لآخر مانويلا البرتغالية، امرأة تقول إنها صديقة، تتناول معها الشاى، لكن رغم قوة العلاقة التى تربطهما، فإن المرأة ليست فى نفس المستوى الثقافى للشخصية الرئيسية فى الرواية، ومانويلا هذه وظيفتها أن تنظف المطابخ، ودورات المياه، وهى صديقتها.. وهناك امرأة أخرى فى حياة البوابة، هى أختها ليزيت، التى ماتت إثر خطيئة ارتكبتها قبل سنوات.

رينيه ميشيل، هى قارئة للروايات الفرنسية الصعبة، صعوبة الرواية التى تقرؤها، فهى تقرأ بروست، وتتردد على مكتبة الحى القريبة، كما أنها متعمقة فى دراسة الفلسفة المسيحية القديمة، وهى تتكلم عن جيرانها باعتبار أنهم مجرد "سادة"، لا

يحظون بعمق ثقافى حقيقى، إلى أن تكتشف بالوما جوس.

مستوى الحكى الأول يعتمد على ما تقوله رينيه عن الواقع الذى تعيش فيه، آما المستوى الثانى فترويه، أو تعبر عنه، بالوما من خلال يومياتها التى تدونها، وتطلق عليها أرقامًا، وأسماء، وليست هناك فروق واضحة بين أنواع هذه اليوميات. بالوما، طفلة ذكية، ولامعة، وهى ترفض عالم الناضجين، وتعتبر مثل حوض أسماك ملىء بالطين، وبالأخطاء المتشابهة المتكررة. لذا، فهى تقرر أن تنتحر فى آخر آيام الدراسة، فى اليوم الذى ستصبح فيه على أعتاب سن البالغين، سن الثالثة عشرة، وذلك بإحراق شقة العائلة. لكن الطفلة لن تلبث آن تغير من موقفها عندما سيدخل فى حياتها العجوز اليابانى كاكورو اوزو، وهو الذى سيدخل أيضاً فى حياة رينيه.

إذًا، فالكاتبة عبرت عن جزء من سيرتها، وما تحبه، ابتداء بتولستوى، والثقافة اليابانية التى هاجرت إليها، وأيضاً الفلسفة الظاهراتية، وقد تحدثت المؤلفة من خلال بطلتيها عن الظاهراتية وهوسرل، ومارست مهنتها كمدرسة فلسفة فشرحت لنا الكثير عن هذه الفلسفة، وكنا نتوقع آن تتكلم عن سارتر، أكثر الفلاسفة المعاصرين، والأدباء، تأثراً بهذه الفلسفة، الذى كتب عن تأثره كثيرا بهوسرل فى كتبه، خاصة سيرته الذاتية المعنونة "الكلمات" .

ولهذا السبب، سوف نلاحظ مدى صعوبة النص، والجملة الروائية، رغم بساطة المفرد اللغوى عند بالوما، وتركيبته المعقدة فى حكى رينيه. وذلك لأن المرأة متوحدة تماماً مع الأدب، الفلسفة، ولذا، فإن المفرد اللغوى، والجملة، أقرب إلى الفلسفة؛ لذا فإن هذه الفلسفة تنعكس على سلوك رينيه ميشيل، فهى تؤثر البقاء فى المنزل، وهى قليلة الخروج من البيت، حتى أنها فى المرات القليلة التى فعلت ذلك، فإن إحدى سيارات الكواء تصدمها، وتكون الصدمة سريعة للغاية.

لذا، فمن السهل أن تتوحد المرأتان: العجوز، والطفلة، وأن تحس كل منهما، رغم الفارق فى السن، آنهما متوحدتان بشكل ما، وكما أشرنا، فرغم أن الكاتبة لا تذكر أساتذة فلسفة العبث، وكتابه، إلا أن سلوك بالوما على سبيل المثال ملىء بالعبث، بخاصة رأيها فى أختها التى تعد دراسات عليا.

تقول الناقدة ايفا يانوفيتش إنه بعد روايتها الأولى، فإن موريل باربرى أخذت وقتها كى تشركنا معها فى عواصفها حول اليابان فى رواية باريسية جداً.. "أناقة القنفذ" التى تلعب دوراً فى جمع التناقضات التى تخص شخصيات مثيرة للدهشة.

هى شخصيات عميقة، غريبة، حساسة، فيلسوفة، فأناقة القنفذ هى السيدة ميشيل التى تركت قطها ليو وماتت، هى امرأة جادة، وغامضة،

تعشق الأدب الروسى، والسينما اليابانية، وطوال ٢٧ عاماً أخفت ثقافتها العميقة بداخلها، من أجل أن تحافظ على سلامها، إلى أن كشف هذه الثقافة السيد أوزو، فدعاها إلى العشاء، وقد وجدت ميشيل فى بالوما توأما روحياً، هى فتاة حزينة، ترى العبث فى الحياة، وهى التى لا تستطيع التواؤم مع من حولها، فتجد التوحد لدى رينيه ميشيل.

تقول المعلومات التى بين يدينا إن رواية "أناقة القنفذ" قد بيع منها عقب صدورها فى عام ٢٠٠٦ أكثر من مليون نسخة، وظلت على قمة مبيعات الروايات طوال ثلاثة أسابيع، وظلت الرواية من بين أفضل ٥٠ كتاباً فى المبيعات، ولمدة ١٣٣ أسبوعًا. والغريب بالفعل رغم صعوبة هذه الرواية وخصوصيتها، أن تحولت سريعاً إلى فيلم سينمائى فى عام ٢٠٠٩ باسم "القنفذ" أخرجته منى أشاش وقامت ببطولته الممثلة المشهورة جوزيان بلاسكو، وجاراتس لوجيللر ميل. أى أننا أمام عمل نسوى، سواء كنص أدبى، أو كفيلم سينمائى، فالمخرجة، هى كاتبة، وممثلة، أخرجت الكثير من الأفلام الوثائقية، وفيلمين روائيين قصيرين، أما فيلم "القنفذ" فقد عرض لأول مرة فى ٣ يوليو ٢٠٠٩، وذلك بعد أن تحمست كثيرًا لهذه الرواية، والغريب أن الصحافة الفنية قد صنفت الفيلم على أنه "كوميديا درامية" بما يعنى أن المخرجة لعلها قد فرغت الفيلم من مضمونه الرئيسى، وركزت على العلاقة الجدلية بين البوابة، والتلميذة، علمًا

بأن جوزيان بلاسكو هى فى الأصل ممثلة كوميدية. وقد عرض الفيلم فى مهرجان القاهرة السينمائى ٢٠٠٩ وفاز بالجائزة الذهبية.

مهما كانت المقالات حول كتاب من هذا النوع، فإن ما قاله نابوكوف فى مقدمة روايته "ضحكات فى الظلام" إن التفاصيل هى الأهم، لذا، فإن قراءة هذا النوع من الروايات هو الأكثر متعة.

محمود قاسم

إلى ستيفان

الذى كتبت معه هذا الكتاب.

(تمهيد)

ماركس (*)

(*) كارل ماركس Karl marx (١٨١٨ م - ١٨٨٣م) فيلسوف ألمانى يهودى، سياسي، وصحفى ومنظر اجتماعى، له العديد من المؤلفات منها «رأس المال».. يعتبر مؤسس الفلسفة الماركسية.

ـ ١ ـ

من يبذر الرغبة

غيَّر ماركس نظرتى تماماً للعالم.

هكذا حدثنى الصغير باللير الذى لم يتحدث معى بشكل مباشر قط، انطوان باللير، هو الوريث الناجح لأسرة صناعية عريقة، وابن لواحد من سكان الشقق الثمانية، هو التجشؤ الأخير لبرجوازية المشاريع الكبرى التى أنتجت الخوازيق الجيدة الصنع وبدون عيوب، إنه لامع فى وظيفته، ويحدثنى عنها كردود أفعاله، دون أن يفكر أنه بإمكانى أن أفهم شيئاً ما.. كيف يمكن أن تفهم الطبقة العاملة فى كتاب ماركس؟.. فالنص صعب، واللغة جامدة، والنثر بليغ، والموضوع معقد.

لذا، فإننى أفتقد أن أخون نفسى بشكل غبى.

قلت لهذا الغبى الذى يرتدى معطفاً إسبانياً: عليك أن تقرأ "الأيديولوجية الألمانية"(*).

وكى نفهم ماركس، وندرك لماذا هو على خطأ، يجب أن نقرأ كتابه "الأيديولوجية الألمانية"، إنه المرجع الأنثربولوجى الذى نبنى عليه كافة الآمال لعالم جديد، وعليه يرتكز الإيمان الرئيسى بأن الناس الذين يضيعون وسط رغباتهم، عليهم التمسك بحاجاتهم، فى عالم يتم فيه تحجيم الرغبة الفردية بهدف تكوين مؤسسة اجتماعية جديدة، مغسولة من النضالات، والظلم، والأفكار البالية والضارة.

من يبذر الرغبة يحصد التوتر.

تابعت كلامى الأقرب إلى الهمس، كأنما يسمعنى قطى الوحيد. انطوان بالليير، ذو الشارب الكريه فى منبته. يمارس معه نوعًا من الملاطفة، ينظر نحوى، غير واثق فى كلماتى الغريبة، وكالعادة، فقد أنقذنى من العجز الذى يدفع البشر إلى الاعتقاد أنهم سوف يفجرون إطارات عاداتهم العقلية الصغيرة. فبوابة العمارة لا تقرأ "الأيديولوجية الألمانية" ستكون عاجزة بشكل تلقائى أن تذكر رواية قضية الحادية عشرة حول فورباخ، بالإضافة إلى أن بوابة تقرأ ماركس الذى ينزع بقوة نحو التخريب. تبيع نفسها إلى شيطان،

(*) الأيديولوجية الألمانية: كتاب من تأليف كارل ماركس عاونه فى تأليفه فردريك إنجلز، منشور عام ١٨٤٥م حول أحداث عام ١٨٤٦، الفصل الأول منه يحمل عنوان فورباخ حول الناقد لودفيج فورباخ.

يمكنها قراءته من أجل ارتقاء الروح، إنه نوع من الفظاظة لا يمكن لأى برجوازى أن يمارسه.

همست ـ وأنا أغلق الباب فى وجهه ـ آملة أن تعثر صوتى فى الجملتين سوف يعطيه بقوة رأيًا مسبقًا حول الألفية الجديدة.

ـ ٢ ـ

معجزات الفن

اسمى رينيه. أنا فى الرابعة والخمسين. منذ سن السابعة والعشرين، وأنا بوابة فى شارع لاجرينل. فندق جميل خاص، له فناء وحديقة داخلية. مقسم إلى ثمانى شقق فاخرة. مسكونة جميعها. كلها بالغة الفخامة. أنا أرملة، قصيرة القامة، دميمة. أميل إلى التلحيم. لدىّ ورم كالبصلة فى قدمى، أعتقد أنه برز ذات صباح بدون مقدمات، إنه يضايقنى، أنفاس ماموث(*). لم أنل أى قسط من التعليم. فقيرة دوماً، رزينة، أبدو غامضة، أعيش وحدى مع قط. ذكر كبير شديد الكسل. ليست له أية ميزة سوى رائحة مخالب عفنة، عندما يكون فى حالة غيظ أحس أنه مثلى، لا نبذل أى مجهود كى ندخل دوائرنا. فأنا نادراً ما يحبنى أحد، رغم أننى مهذبة دوماً. إنهم لا يحبوننى.

(*) الماموث: حيوان من حيوانات ماقبل التاريخ، أشبه بالفيل فى عصرنا، لكنه بلا خرطوم.

لكنهم مع ذلك يتحملوننى، فأنا أتفهم جيداً أن الإيمان بالدور الاجتماعى يعتبر نموذجاً لبوابة العمارة، أكثر منى كواحدة من التروس العديدة التى تسود الوهم العالمى الكبير، وحسبه فإن الحياة هى معنى سهل لتجديد وحل شفرتها. طالما أنه مكتوب فى بعض الأماكن أن البوابات عجوزات دميمات وشرسات، منقوشة بحروف من نار فوق الجلد الغبى للبوابات اللائى يملكن قططًا ضعيفة الإرادة، تنام طوال النهار فوق وسائد مغطاة بالكروشيه.

يقال إن البوابات يشاهدن التليفزيون دون توقف، بينما تنام القطط الكبيرة أمام ممرات العمارة، تنبعث منها روائح الخشب المحترق. وحساء الكرنب، أو يخنة الفاصوليا التى تعدها الأسر. أنا محظوظة، لأننى بوابة فى بيت يسكنه أشخاص أصحاب قامة طويلة. فمن العار علىّ أن أطهو الطعام المقزز حين يدخل علىّ السيد دوبروجلى، مستشار الدولة من الطراز الأول، الذى عليه أن يكون قريباً من زوجته اللطيفة، التى تكرس اهتمامها للخدمة العامة، والفجاجة الشعبية العفنة. تثير انفراجاً ضخماً لا شك أن إخفاءه أفضل من إظهاره تحت مظهر الطاعة العمياء.

كان هذا قبل سبعة وعشرين عاماً. طوال تلك السنوات، أذهب كل يوم إلى الجزار لشراء شريحة من لحم الخنزير، أو كبدة عجل، وأنزوى مع سلتى وبها لفائف المكرونة الشريطية وحزم الجزر، وأسترخى، هذه المؤن الفقيرة، ترفع من السمات البارزة التى لا

تجعلنى أحس أننى فقيرة فى منزل أثرياء، لدرجة الوصول إلى التغذية بالشراكة، للتوافق بينى وبين قطى ليو الذى لا يأكل إلا من الوجبات التى أتناولها. وأيضاً من دهون لحم الخنزير، والمكرونة ذات الزبدة، بينما أستطيع أن أشبع دون تناول المزيد من الدهن، ودون أن ينتاب الشك أحد فى مهاراتى فى الطبخ.

الأكثر صعوبة هو مشاهدة التليفزيون، ففى أيام المرحوم زوجى، كنت أفعل ذلك دوماً، لأن المثابرة التى اكتسبتها من مشاهدة التليفزيون وفرت لى عملى المتمثل فى ممر العمارة، حين تحدث جلبة سرعان ما تظهر لعبة الرتب والطبقات الاجتماعية التى كم تجاوزها لوسيان، يجب أن أجز رأسى كى أحافظ على المظهر، مما يجعلنى أشعر بالظلم المبين. ويصنع حاجزاً لا يتحرك ضد شكوى الآخرين.

ووجدت الحل فى ألا تكون هناك أزرار.

هناك مجموعة أجراس مربوطة من هنا وحتى ممرات القاعة، كل زر يستخدمه المارة الذين يقرعونه كى أستطيع أن أعرف حضورهم رغم أننى بعيدة عنهم تماماً، أما غير ذلك فإننى أجلس فى أعماق غرفتى، حيث أقضى ساعات فراغى، أحمى نفسى من الضوضاء والروائح التى تضعنى ظروفى فى إطارها. أستطيع العيش حسب قلبى دون أن أهتم بالأشياء الحيوية عما يدور فى الممر: مَنْ يدخل، مَنْ يخرج، ومع مَنْ ، وفى أية ساعة.

هكذا يعبر السكان القاعة، ويسمعون الأصوات المخنوقة ليعرفوا أن التليفزيون يعمل، دون أن يفتقدوا أى شريان من التخيل، يشكلون صورة البوابة القابعة أمام جهاز الاستقبال. وأنا فى مسكنى المصنوع من اللباد، لا أسمع شيئاً لكننى أعرف أن شخصاً ما يمر فى الممر المجاور، وبعيون البقرة أمام السلم، مختبئة وراء الزجاج الأبيض، وأنا أرقب خلسة هوية العابر.

ظهور شريط الفيديو هذا، فيما بعد، من نوع DVD، غير أيضًا الكثير من سخرية الأشياء فى مفهومى. لأن البوابة منشغلة بقراءة رواية "الموت فى فينسيا"(*) وفى مسكنها، فإنها تهرب إلى مالر، وأغرق فى الاقتصاد المنزلى. وأدخر بكل حرص، وكأننى مكلفة بعمل آخر وأنا قانعة فى مخبئى. وبينما أضمن خفائى فإن تليفزيون المسكن يصرخ دون أن أسمعه قبل الانتباه لحقول المراعى، يكاد يغشى علىّ، الدموع فى عينى، وأنا أمام معجزات الفن.

(*) رواية من تأليف الكاتب الألمانى توماس مان، حول الموسيقار آشنباخ الذى يسافر إلى فينسيا، وهناك يتعرف على صبى وسيم، يذكره بشبابه، ويموت أثناء الوباء دون أن يتمكن من الحديث إلى الصبى، والقصة مستوحاة من حياة الموسيقار جوستاف مالر.

فكرة عميقة رقم ـ ١ ـ
انتهاء متابعة النجوم فى حوض السمك الأحمر

من وقت إلى آخر، يستهلك البالغون وقتًا فى الجلوس، وفى تأمل حياتهم المدمرة، يندبون دون أن يفهموا، كأنهم الذباب الذى يضرب الزجاج نفسه دومًا، يثورون، ويعانون، وينضغطون، ويحبطون ويتساءلون حول التعقيدات التى تؤدى بهم إلى حيث لا يريدون الذهاب. الأكثر ذكاء منهم يبتدعون عقيدة: آه، إنه الفراغ الحقير للوجود البرجوازى، هناك مهاويس من هذا الطراز يتناولون العشاء حول مائدة أبى "ماذا صارت عليه أحلام شبابنا؟" تساءل أحدهم فى ثقة ورضاء، لقد تبخر كل شىء، والحياة أصبحت أشبه بـ «كبة» اكره هذا الوضوح الكاذب للكهولة. الحقيقة أنهم مثل الآخرين. مراهقون، لا يفهمون ما حدث لهم ويلعبون ألعاباً كبيرة تثير لديهم الإحساس بالبكاء.

إنه أمر سهل الفهم. أما الشىء غير المفهوم، فهو أن الأطفال يؤمنون بأحاديث الكبار أو الذين صاروا

بالغين. الذين ينتقمون من أنفسهم، ويخدعون أطفالهم الأعزاء. "الحياة لديها معنى أن الكبار متماسكون.. إنها الكذبة العالمية التى يضطر العالم كله إلى تصديقها. فى سن الكبر عندما نفهم زيف الأمور يصبح كل شىء متأخراً. ويظل الغموض غير ملموس وأن كل طاقة طبيعية قد استهلكت منذ وقت طويل فى أنشطة غبية. لم يعد يبقى منها سوى التحذير مثلما يمكن تجريب التقنع بواقعة ليس لها أى معنى فى الحياة. فالكبار يخدعون صغارهم لمحاولة إقناعهم بأنفسهم.

من بين الأشخاص الذين تتردد عليهم أسرتى المتكاثرة، حيث يسير الجميع فى الدرب نفسه، هناك شباب يحاول استغلال ذكائهم، يسعون للنجاح فى الدراسة، والتأكيد على مكان النخبة، يتساءلون طوال حياتهم فى ذهول لماذا اصطدمت بعض الآمال بوجود لا جدوى منه. يعتقد المؤمنون أنهم يتبعون النجوم، وينتهون مثل الأسماك الحرة داخل حوض. أتساءل أليس هناك أمر سهل لتعليم الأطفال؟ منذ البداية، أن الحياة عبث. هذا ينزع بعض المشاعر الطيبة من الطفولة، لكن الأمر يحتاج وقتاً.

دون أن نأخذ فى الحسبان أننا نوفر على الأقل صدمة الصعود نحو القمقم.

أنا فى الثانية عشرة، يسكن المنزل رقم ٧ شارع جرنيل فى شقة الأثرياء، أبواى الثريان، وأسرتى الغنية. وأنا بالتتابع بالغة الثراء. صار أبى نائباً بعد إن

كان وزيراً، وانتهى أمره إلى المعاش. أى البقاء فى كهف فندق. أما أمى فهى ليست ضوءاً ولكنها مثقفة جيدًا حصلت على دكتوراه فى الآداب، تكتب دعوات العشاء بدون أخطاء، وتقضى وقتها تضجرنا من مصادر ومؤلفات لا تمثلى دور الأديبة يا كولومب، يا عزيزتى، أنت سانفرينا الحقيقية.

ورغم هذا، ورغم كل هذه الظروف، وكل الثراء فإننى منذ وقت طويل جداً، أعرف الهدف المنشود، إنه حوض السمك. كيف أعرف هذا؟ انا فتاة بالغة الذكاء، ذكية بشكل استثنائى. لو نظرت للأطفال فى مثل سنى، فإنه أمر لو يدركون أعماقه، لم أرغب أبدًا أن يلاحظونى، فأنا فى أسرة تعتبر الذكاء قيمة عظمى، طفلة صماء لن تبلغ السلام النفسى أبدًا. حاولت أن أقلل من امتيازاتى فى مدرستى لكن رغم هذا، كنت الأولى دائمًا. يمكن أن أفكر فى لعبة الذكاء العادية. عندما كنت فى الثانية عشرة ـ مثلا ـ فى مستوى الخال الكسول يبدو الأمر سهلا. يجب أن نمنح أنفسنا الشر كى نصبح أكثر غباء مما نحن لسنا عليه. لكن بطريقة ما، فإن هذا يمنعنى من الضجر، لست فى حاجة أن أقضى طوال وقتى فى التعلم أو الفهم، واستخدام أسلوب الإثارة فى الردود. وأساليب المعاملة، والانفلات والأخطاء الصغيرة للتلاميذ العاديين الطيبين. أقرأ كل ما كتبه "كونستانس باريه"(*)، الثانية على الفصل، فى الرياضيات، واللغة

(*) كونستانس باريه: واحد من أبرز التربويين الفرنسيين المعاصرين.

الفرنسية والتاريخ. وأتعلم أن هذا هو ما يجب أن أفعله باللغة الفرنسية بتتبع كلمات ملتصقة مكتوبة بشكل صحيح. الرياضيات هى إعادة الإنتاج الآلى للعمليات الخالية للمعانى، والتاريخ هو متابعة للوقائع المرتبطة برابط موضوعى. ولكن إذا قارنا أمرنا بالبالغين، فإننى أذكى وأكثر فطنة من أغلبهم. وهكذا، فلست فخورة بشكل خاص؛ لأننى لست شيئاً. ولكن ما هو مؤكد أنه فى حوض السمك لن أنسى أنه قرار فكرت فيه جيداً. حتى بالنسبة إلى شخص ذكى غيرى. مخلص للدراسة مختلف عن الآخرين، ومتميز عن الأغلبية. فالحياة تترك أثرها تمامًا بالغة الحزن حتى البكاء: لا أن أحدًا فكر فيما إذا كان الوجود عبثًا. نجح فى ذلك بشكل لامع وليست له قيمة أنه يفشل، إنه أمر ملائم تماماً. أعتقد أن الصفاء يجعل النجاح مريرًا أكثر من أن التفاهة تعنى دائما شيئاً ما.

لقد اتخذت قرارى، سوف أترك الطفولة عما قريب، رغم ثقتى أن الحياة ملهاة ولا أعتقد أننى أستطيع المقاومة حتى النهاية، فى الواقع، لقد تمت برمجتنا كى نؤمن بما هو غير موجود، لأننا كائنات حية لا تريد أن تعانى. وعليه فإننا نعتمد على كل قوانا فى أن نقنع أنفسنا أن هناك أشياء تستحق المعاناة ولهذا فإن للحياة معنى. أنا شديدة الذكاء. ولاأعرف كم من الوقت سوف تكون عندى قوة النضال ضد هذه الدعوة الحيوية. عندما أدخل فصول الكبار، هل سأكون قادرة على مواجهة مشاعر العبث؟ لا

أعتقد، لهذا فإننى اتخذت قراراتى: فى نهاية هذا العام الدراسى، عندما سأبلغ الثالثة عشرة، السادس عشر من يونيه القادم سوف أنتحر. حذار، أنا لا أتعمد أن أجعل هذا أمراً صاخباً. وكأن هذا مشهد من الشجاعة والتحدى. من ناحية أخرى، فإننى حريصة ألا يشك شخص فى شىء، فالكبار لديهم علاقات هستيرية مع الموت. يتطلب الأمر استعدادات ضخمة، ويتصرفون على أساس أن الموت هو أشد كوارث العالم. وما يهمنى، فى الواقع، ليس الشىء، ولكن توابعه، فجانبى اليابانى معلق بشكل خاص بكارثة. عندما أقول جانبى اليابانى، فإننى أعنى حبى لليابان، أنا فى الصف الرابع، وبطبيعة الحال، فإننى أدرس اليابانية كلغة ثانية. ولم يكن مدرس اليابانية فظًا. كان يأكل الكلمات بالفرنسية، يقضى أغلب وقته يهرش رأسه بشكل متردد. هذه الطريقة ليست سيئة بالمرة. ومنذ بداية الدراسة، تقدمت بشكل ملحوظ، وأتمنى لو أستطيع خلال عدة أشهر، قراءة مفرداتى المفضلة فى النص، لم تفهم أمى أن فتاة صغيرة، يمكنها أن تقرأ المفردات، لم تكن لدىّ الصعوبة أن أشرح لها "المفرد" باليابانية. يعنى هذه "القصص المرسومة" إنها تعتقد إننى أبحث عما وراء الثقافة، وأننى لا أخدعها. باختصار، فبعد شهور سوف أستطيع قراءة الكاتب تانجوشى باليابانية، ولكن هذا سوف يقودنا إلى مهمتنا: يجب أن يتم هذا فى ١٦يونيه، لأننى سوف أنتحر فى السادس عشر من

يونيه. هذه ليست كارثة. بل إن الأمر ملىء بالحس والجمال، لكن.. حسنًا.. ليست عندى رغبة فى المعاناة. فى الواقع، فإننى أكره المعاناة، أرى أننا عندما نتخذ القرار بالموت، فلأننا نعتقد أنه يدخل فى نظام الكون. يجب أن نفعل ذلك فى رقة. الموت، يجب أن يكون حدثاً عابرًا رقيقًا. معبرًا نحو الراحة. هناك أناس ينتحرون بإلقاء أنفسهم من نافذة الدور الرابع، أو بابتلاع السموم، أو بالشنق. إنه شىء أحمق! أجد أن هذا بشع. فيم يفيد الموت إذا صحبته معاناة؟ انا، جربت موتى، منذ عام وبعد أشهر رحت أتناول منوماً من علبة على وسادة أمى. تتعاطى منها دائمًا، فهى لم تلحظ أبدًا أننى أتناول منها كل يوم، لكننى قررت أن أكون بالغة الحذر. لا يجب ألا أترك المصادفة عندما نتخذ قرارًا فيه قليل من الحظ فى أن يكون الأمر مفهومًا.

لا نتخيل السرعة التى ينجز الناس بها مشاريع بلا أهمية. باسم اللغو، من طراز "شعور الحياة أو "حب الإنسان"، ثم "السمات المقدسة للطفولة".

إذًا أنا أعبر الطريق بهدوء نحو السادس عشر من يونيه، لست خائفة. إلا من بعض الندم. ربما، لكن العالم كما هو لم يخلق بلا ميراث، بما يعنى أننا يجب ألا نلقى بأنفسنا إلى الموت، يجب أن يكون مثل قطعة خضار أصابها العطن. بل على العكس. المهم، هو أن نموت فى أية سن. أن نموت. يعنى أننا فى حالة موات. فى قصص تانجويشى يموت الأبطال بالسقوط

من فوق قمة إفرست. لحسن الحظ أننى أستطيع أن أفعل ذلك قبل ١٦ يونيه القادم. لأن إيفرست وأنا، لهما نفس الضرورة الفكرية. أعطيت لقضيتى أن تكون لدى أعمق الأفكار الممكنة. وأن ندونها فى هذا الكراس: إذا لم يكن للأمر معنى، فعلى الأقل، فإن الروح تدخل فيها، أليس كذلك. لكن لأن لدى جانبى اليابانى العميق، فقد أضفت فكرى، هذه الفكرة العميقة يجب أن تتشكل فى صورة قصائد قصيرة على الطريقة اليابانية: "الهايكو" (١) (ثلاثة أبيات) أو "تانكا" (٢)

والهايكو المفضلة لى، هو من شعر "باشو"

كوخ الصيادين

ممزوج بالجمبرى

وصرصار الليل!

ليس هذا حوض سمك. لا، ليس هذا شعراً!

لكن فى العالم الذى أعيش فيه، هناك المزيد من الشعر فى كوخ الصياد اليابانى، هل من الطبيعى أن أربعة أشخاص يعيشون فى مساحة أربعمائة متر مربع لديهم أكثر من الآخرين، وربما من بينهم شعراء ملعونون، ليس لديهم مسكن مناسب، ويتكومون بالخمسة عشر شخصاً داخل عشرين متراً مربعاً! عندما سمعنا، فى الصيف، أن أفارقة تعرضوا للخطر

---

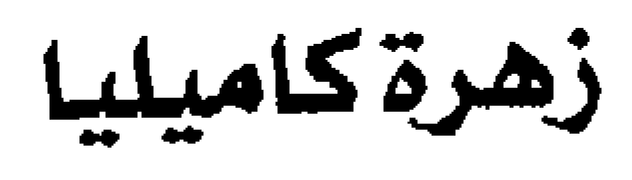
(١) الهايكو: قصيدة قصيرة تتكون من ثلاثة أبيات.

(٢) تانكا: قصيدة قصيرة تتكون من خمسة أبيات.

لأن نيران السلم التهمت عمارتهم غير الصحية. أعطانى هذا فكرة أنهم يعيشون فى حوض السمك. إنه تحت أنوفهم طيلة النهار. لا يستطيعون الهروب منه وهم يحكون القصص. ولكن والدى وكولومب يتخيلان أنهما يسبحان فى المحيط؛ لأنهما يعيشان داخل الأربعمائة متر المكدسة بالأثاث واللوحات.

إذًا ففى ١٦ يونيه، سوف أضع فى الحسبان أن أنشط ذاكرتهم قليلا عن السردين: سوف أشعل النيران فى الشقة (من عيدان ثقاب الشواء). انتبه، لست مجرمة، سوف أفعل ذلك عندما لن يكون هناك أحد، ١٦ يونيه يحل يوم السبت، وفى بعد ظهيرة السبت، سوف تذهب كولومب إلى آل تيبير، وأمى إلى اليوجا وأبى فى دائرتى، وأنا سأبقى هناك، أرمى القطط من النافذة، وسوف أخبر عمال الإنقاذ قبلها بوقت كافٍ حتى لا يكون هناك ضحايا، ثم سوف أذهب كى أنام بهدوء عند أمى.

بدون شقة، أو ابنة، سوف يفكرون فى كل الأفارقة الموتى، أليس كذلك؟


زهرة كاميليا

- ١ -

امرأة أرستقراطية

فى يومى الثلاثاء، والخميس، تتناول صديقتى الوحيدة مانويلا الشاى معى فى مسكنى. مانويلا امرأة بسيطة، عشرون عامًا قضتها فى نفض الأتربة عن بيوت الآخرين، لم تُسلب منها أناقتها، نفض التراب هو فى النهاية تعبير شديد التحفظ. لكن فى بيوت الأثرياء، فإن الأشياء لا تسمى بأسمائها.

قالت لى بنبرة رقيقة كأزيز البوم: أفرغ السلات المليئة بالفوط الصحية. وأجمع مخلفات الكلب، وأنظف قفص العصافير، لا أصدق سوى أن الحيوانات الصغيرة ليس عليها سوى إطلاق البراز، وأنا أنظف دورات المياه، وأيضا التراب، إنه العمل الجميل!.

يجب أن أقدم نفسى عندما أنزل إلى مسكنى فى الساعة الثانية ظهراً. يوم الثلاثاء من شقة آل ارتين،

والخميس من شقة آلـ بروجلى. تضع مانويلا القطن فى المراحيض المطلية بجلود الغزال، وعلى الرغم من ذلك فهى تظل قذرة، تفوح منها رائحة كل سخرية العالم، لأنه من الجميل أن يسهم الأثرياء فى إسعاد الفقراء. إنها أمور داخلية مقززة، تنتهى دوماً بالتخلص من شىء ما تفوح منه رائحة كريهة.

يمكن أيضًا أن نقدم تبجيلا إلى مانويلا، مقابل تضحيتها فوق مذبح العالم، حيث تؤدى بعض المهام الكبرى، بينما يثقب الآخرون أنوفهم دون أن يفعلوا شيئاً. إنها لا تعرف التراجع فى خطاها مقابل اتباع هواها، مفرطة فى الدقة، وهى تمسح كل كساء ورق الحائط الذهبى اللون، أو بالأحرى دورات المياه.

قالت مانويلا إنها استأصلت من سلتها القديمة قطعة صغيرة من الخشب الفاتح وضعت فيها ورق الحرير القرمزى ظل معششًا فى هذه السلة الثمينة المعلقة فى قرميدة على شكل أصابع اللوز. صار عليها أن تضع مفرشاً، بينما أعد القهوة لنشربها معاً.

رحنا نرتشف، فى صمت، فنجان شاى أخضر ونقرقض أصابع اللوز، أنا أعيش فى نموذج مثالى لإخلاص دائم، أما مانويلا فهى خادمة برتغالية حاذقة تجهل حقيقة نفسها، هى ابنة فارو، ولدت تحت شجرة تين، بعد سبعة من الأبناء، وقبل ستة آخرين. تم إرسالها للعمل فى الحقول فى سن صغيرة، وسرعان ما تزوجت ببنَّاء مهاجر، وصارت أماً لأربعة أطفال

فرنسيين حسب قانون الأرض، لكنهم برتغاليون حسب المنظور الاجتماعى، ابنة فارو، إذًا، توضع ضمن طبقة السود والخمار على الرأس. هى امرأة أرستقراطية حقيقية، وراقية، من النوع الذى ليس لديه أى نوع من المعاناة الحالية، تأتلف إلى قلبها، تضحك حسب اللوائح الاجتماعية "الإتيكيت"، وتفاصيلها، لكن من هى الأرستقراطية؟، إنها امرأة لم تمسسها الفجاجة أبداً، رغم أنها مطوقة بها، فجاجة أسرتها، فى يوم الأحد، تعبر الضحكات الحادة الألم، ولدت ضعيفة، وبلا مستقبل. وكجارة فهى موصومة بنفس الشعار الحزين. مثل أضواء نيون المصنع حيث يأتى الرجال صباح كل يوم، وكأنهم يعودون إلى الجحيم. فجأة تتحدث العاملات اللاتى لا يعرف المال كيف يخدمهن، إليها كأنهن تتحدثن إلى كلب يكسوه الشعر الكثيف، يجب أن نرى مانويلا تقدم، وكأنها ملكة فواكه لإعداد حلوياتها، معبرة عن الطيبة التى تسكن هذه المرأة. نعم أشبه بملكة، فعندما تظهر مانويلا يتحول مسكنى إلى قصر، مثلما يدب الحكاء الحياة فى نهر فياض تبتلع الألم والملل. تحول مانويلا وجودنا إلى ملحمة حارة، مبتهجة.

قالت فجأة، وهى تقطع الصمت: ألقى علىّ باللير الصغير تحية الصباح عند السلم.

زمجرت فى ازدراء.

قلت وأنا أهز كتفى: إنه يقرأ ماركس.

تساءلت وهى تنطق حرف "س" كأنه "ش": "ماركش"؟ شين مبللة قليلا مثل سحر السموات الصافية.

أجبت: أبو الشيوعية.

قالت لى: السياسة، هى لعبة أبناء الأثرياء الذين لا يعيرون أنفسهم لأحد.

فكرت لحظة، وهى تدعك رموشها. ثم قالت:

ليس نفس النوع من الكتب.

الرسوم التى يخفيها الشباب تحت معاطفهم لاتفلت من بصيرة مانويلا، وبالليبر الصغير يبدو ـ وفقًا للاستهلاك المطبق ـ أشبه بشهادة تدل على صفحة عنوان واضح للماركيزات المحتالات.

ضحكنا. ومازحنا لحظاتنا فى موضوعات أخرى، فى طمأنينة الصداقات القديمة، تبدو لى هذه اللحظات غالية، ويخفق قلبى عندما أتذكر اليوم التى تحقق فيه مانويلا حلمها وتعود للأبد إلى بلادها، وتتركنى هنا وحيدة. منهكة بلا رفقة، مرتين فى الأسبوع. إنها ملكة خفية. أتساءل أيضًا، بكل وعى، عما سيصير عليه حالى عندما تتركنى صديقتى الوحيدة التى حصلت عليها، الوحيدة التى تعرف كل شىء دون أن تنظر خلفها أبدًا، امرأة مجهولة من كل شىء. سيدفنها هذا الفراق تحت أستار النسيان.

سمعت صوت خطوات عند بهو المدخل، ثم سمعنا بوضوح أصواتاً غريبة تحدثها يد رجل فوق زر

استحضار المصعد، مصعد قديم له باب حديدى أسود، وبابان يصفقان، وباب مبطن بالخشب، أعرف صاحب هذه الخطوة، إنه بيير آرتين، الناقد الفنى فى الطابق الرابع، عضو فى حزب الأقلية، وهو حزب من الشرور أشبه بالطريقة التى يغلق بها عينيه عندما يقف فوق عتبة مسكنى. يجب أن أقول إننى أعيش فى غرفة مظلمة، رغم أنه يراها عكس ذلك تماماً.

حسنًا، لقد قرأت مقالاته النقدية الشهيرة.

قالت لى مانويلا التى ترى أن الشواء الطيب هو شواء طيب، وليس أكثر: أنا لا أفهم شيئًا.

لا شىء يستحق الفهم، من المؤسف أن أرى قلمًا كهذا يفسد نفسه بقوة ضاربة.

الكتابة فوق ثمرة طماطم لصفحات الحكى البراقة ـ لأن بيير آرتين ناقد فنى، كأنه يحكى قصصاً، وهذا وحده يجعل منه شخصًا عبقريًا ـ دون أن "ترى" دوماً أو أن "تمسك" بثمرة الطماطم وهى قطعة من البأس المحزن، إنه موهوب، ولا يتبصر لتأثير الأشياء. أتساءل دوماً وأنا أراه يمر أمامى بأنفه المتعجرفة. نعم يبدو أن بعض الأشخاص غير قادرين على الإمساك بما يتأملونه من أمور الحياة، وجوهر النفس، يمضون حياة كاملة يثرثرون حول البشر كأنهم يتصرفون بشكل آلى فوق الأشياء، بدون الروح التى تسكنهم وتتلخص فيما يمكن أن يقال، حسب الأهواء الشخصية.

وكأمر متعمد، تراجعت الخطى فجأة، ودق آرتين جرس مسكنى.

قمت وأنا أضع فى اعتبارى الاعتناء بوضع قدمى فى حذاء مناسب، وأنا أمسك الخبز الطويل، والبيريه، مما يمثل تحديات مقبولة المفهوم. أعرف أننى أغيظ السيد. نشيد نابض يوحى بفراغ الصبر لدى النشالين الكبار، أحاول تطبيق أفكارى وأنا أفتح الباب ببطء شديد أضع أنفاً حذراً متمنية أن يكون فى زيه الأحمر البراق.

قال لىّ وعيناه مطويتان، والأذنان مرتفعتان: أنتظر باقة سباق الخيل. عندما ستصل أحضريها إلىّ على وجه السرعة؟

بعد الظهيرة، وضع السيد آرتين رابطة كانت ترفل حول عنقه فبدا كالنبلاء، لا تضايقه أبداً، حيث برزت شعيراته كأنه الأسد، كان يرتدى تنورة من الحرير صالحة للرقص حيث تضيع الرجولة، أدهشتنى رابطة العنق. افتقدت الابتسامة وأنا أتذكره. إنه لوجراندين، فى رواية "البحث عن الزمن الضائع" لمارسيل بروست(*)، بواب آخر مشهور، يدعى لوجراندين، موجود بين عالمين، هذا الذى يعيشه، وذلك الذى ودّ أن يدخل فى تجربة مليئة بالأمل المر

(*) مارسيل بروست: روائى فرنسى (١٨٧١ م - ١٩٢٢م)، من أبرز أدباء التجريب، له رواية صدرت فى أجزاء عديدة تحمل اسم «البحث عن الزمن المفقود». وقد ترجمت أجزاء هذه الرواية مرات عديدة إلى اللغة العربية. عاش فى عزلة بسبب مرضه.

والعبودية الحقيرة. تعبر رابطة العنق عن التغيرات الخاصة، أيضاً فى ميدان كوميراى، لا ترغب أن يقوم أحد بتحية آباء الرواية لكن أحياناً أمام مفترق طرق. وهو يضع الوشاح الذى يعبر عنه، يتركه يطير فى الريح، مزيج كئيب ينتشر ويوزع تحياته المألوفة.

بيير آرتين الذى كان يعرف بروست الخاص به، لم لايعرف الأسلوب الذى يجب معاملة البوابات به بوداعة.. خاصة، يحك الحنجرة بنفاد صبر.

أذكر سؤاله:

هل يمكنك إحضارالباقة من الساعى على وجه السرعة ـ فباقات السباق. لا ترد إلينا عن"طرق البريد المألوفة"؟.

قلت وأنا أضرب ذاكرتى الواعية، وقد شجعنى على ذلك غياب الأحلام التى تشكل التساؤل: نعم. عذراً كاملاً.

أضاف: إنه أمر بالغ الهشاشة.. انتبهى من فضلك.

تصريف الفعل فى زمن الأمر فى "أرجوك" لم يعجبنى، رغم اعتقادى أننى غير قادرة على مثل هذه الترجمة النحوية، التى لم يوظفها سوى فى النقد الفنى، دون أن يكون لديه لطف الافتراض أننى أستطيع أن أحس بها مهينة. لقد لمس أغوار البعد الاجتماعى عند سماع صوت رجل سرى، لا يتكلم إلا

لنفسه، ورغم الكلمات التى ينطق بها فهى تجعلك مؤهلة تقنياً، لم يتخيل أبداً أنك يمكن أن تفهميها.

تساءلت بنبرة جذابة قليلاً: هة. كيف؟

تنهد بصوت مسموع ولاحظت فى تنهيدته بعض التخفف بدرجة ملحوظة.

قال وهو يحدق فى عينىّ: إنه يتعلق بكتاب قديم.

حاولت أن أكون مثل شريحة زجاجية أمام نظرة رضاء من المالك الكبير.

قلت دون أن أبدو غير منشرحة: حسناً. حسناً ما تفعل. سوف أحضر لك الباقة بمجرد وصول ساعى البريد.

ثم أغلقت الباب فى وجهه.

وجهة النظر التى حكاها بيير آرتين هذا المساء حول المائدة، شكلت حالة امتنان خاص لسخط بوابته، لأنه أظهر أمامها كتاباً قديماً جعلنى مبتهجة للغاية.

يعرف الله أياً منا عليه أن يتواضع أكثر من الآخر.

يوميات حركة العالم رقم ـ ١ ـ
البكاء بعمق فى ذاته دون أن يفقد المرء سراويله

رائع أن تكون للمرء فكرة عميقة، لكننى أعتقد أن هذا لا يكفى. قررت أخيرًا أن أنتحر، وأن أشعل النيران فى البيت خلال بضعة أشهر، لا أستطيع أن أزعم أن لدىّ الوقت، يجب أن أتماسك فى جلدى الذى يتعبنى، خاصة أننى وجدت نفسى فى تحد صغير: إذا انتحرت، يجب أن أكون واثقة فيما أفعل، لا يمكن أن أحرق الشقة. "من أجل بضع ثمار من الخوخ". إذًا، إذا كان هناك شىء ما فى هذا العالم، يساوى معاناة الحياة، فلا يجب أن أسىء التنفيذ لأننا سوف نموت مرة واحدة. لقد فات وقت الندم، ولأنه الموت ولأننا نخدع، فالأمر بالغ الغباء.

إذًا، عندى أفكارى العميقة، لكن فى أفكارى العميقة، أعزف على ما أكونه. وفى النهاية، فإن المفكر (الذى يسخر من مفكرين آخرين)، ليس أبداً فخوراً

بنفسه، ولكنه مروح عن النفس، فكرت أنه يجب مكافأة هذا الجانب "مجد الروح" بكتابة يوميات أخرى تتكلم عن الجسد، ولكن أعظم الأعمال المادية، هى شىء ما متقمص، ملموس، وجميل، ولأن علم الجمال يدور حول الحب، والصداقة، وجمال الفن، فأنا لا أرى أشياء أخرى عظيمة يمكنها أن تغذى الحياة الإنسانية مثل الحب والصداقة، أنا شابة صغيرة للغاية كى أزعم أننى أفهم جيداً، لكن الفن.. إذا كان يجب أن أعيش فإن الفن سيكون معى طوال حياتى. أخيراً، عندما أقول الفن.. يجب أن أفهم نفسى: أنا لا أتكلم عن أعظم أعمال الشوامخ حتى ولا فيرمير(*)، فأنا لا أتمسك بالحياة، إنها عظيمة لكنه الموت. لا، أنا أفكر فى جمال العالم، فيما يمكن أن يرفعنا فى خضم الحياة، يوميات حركات العالم، تتوقف عند تحركات البشر، والأجسام، والرؤى. حقاً ليس هناك ما يقال عن الأشياء، نجد فيها شيئاً ما، جميلاً بشكل كاف كى تعطى للحياة قيمة المتعة، والجمال، والإيقاع، والقوة. إذا وجدت فيها. فإننى ربما سوف أعيد النظر فى الاختيارات. إذا وجدت حركة جسدها جميلة، أو فى خطأ حول فكرة روحية جميلة، هنا، ربما سوف أفكر أن الحياة تستحق أن نعيشها.

لدىّ هذه الفكرة حول يوميات مزدوجة، واحدة للروح والأخرى للجسد، بالأمس كان أبى يشاهد مباراة

(*) ايوهانس فيرمير Vermeer (١٦٥٨م - ١٦٦٠م) فنان تشكيلى هولندى اشتهر برسم البورتريهات.

رجبى فى التليفزيون، فى مثل هذه الأمور، فإننى أنظر إلى أبى، أحب التطلع إليه وهو يشمر أكمام قميصه، يخلع حذاءه، ثم يستلقى فوق الأريكة، أمام زجاجة بيرة وسجق، يشاهد المباراة، ويهتف: أنظر إلى الرجل الذى أعرفه أيضاً، لا تبدو عليه صورة الرجل التافه فى خضم جهاز الاستريو (الجاد السيد وزير الدولة)، والشخص الآخر(شاب طيب محب للبيرة الطازجة)، حين يضبط الاستريو عند قوة ٢، باختصار، فى يوم السبت، عاد أبى مبكراً كالعادة، ورمى الفوطة بشكل مفاجئ، خلع الحذاء، وشمر أكمامه، وتناول البيرة فى المطبخ، ثم تمدد أمام التليفزيون، قال لىّ "يا عزيزتى، هاتى له سجقاً من فضلك، لا أريد أن يفوتنى الهاكا(*) وحتى لا يفوته الهاكا، كان لدى الوقت أن أقطع شرائح السجق وأحضرها له، كانت هناك فقرة إعلانية، جلست أمى متوازنة فوق ذراع الأريكة، وقد كشفت بوضعها عن معارضتها للأمر (فى أسرة ذات وتيرة واحدة أسأل الضفدعة اليسارية المفكرة)، حكت لى قصة عشاء معقدة، حيث سأل أبى عن دعوة زوجين متخاصمين كى يصالحهما، وعندما تعرف البعد النفسى لأمى. تدرك المشروع الذى نسخر منه، باختصار، قدمت السجق إلى أبى، ولأننى أعرف أن

(*) الهاكا: Haka: نوع من الرقص التقليدى للماوديين سكان نيوزيلندا الأصليين، يقوم منتخب نيوزيلندا للرجبى بأداء هذه الرقصة قبل بداية كل مباراة، وذلك منذ عام ١٩٨٧ حين منح أول كأس عالمى للرجبى.

كولومب فى غرفتها تسمع الموسيقى الطليعية حسيًا من المحطة الخامسة. تساءلت: بعد كل هذا، لم لا، لنؤلف قصيدة هاكا صغيرة، فى ذاكرتى، فإن الهاكا هى نوع من الرقص الساخر، يؤديها الفريق النيوزيلندى قبل المباراة كنوع من التهديد، وفى ذاكرتى أيضاً فإن الرجبى لعبة ثقيلة، فيها شباب يرتمون فوق العشب دون توقف، ثم يقومون كى يسقطوا ويتراكموا على مسافة ثلاث خطوات.

توقفت الإعلانات، وبعد عرض شامل ملىء بقوة التمرغ فوق العشب، سمعنا فى الأستاد صوت معلقين، ثم خطة كبرى للمعلقين" باسم عبيد يخنة الفاصوليا"، ثم عودة إلى الملعب، دخل اللاعبون أرض الملعب، هنا بدأت فى النباح، فى البداية لم أفهم، إنها الصورة نفسها المكررة مما حَزَّ فى نفسى مجددًا، إنه نوع من التثميل، نوع من "السيطرة على النفس"، بجانبى، راح أبى يتجرع، أول كوب بيرة، وبدأ يستعد لاستحضار أصول الغال التى تسكنه، وهو يسأل أمى التى التصقت بذراع أريكته. أما أنا فاستعدت أنفاسى "ماذا يحدث"؟ تسألت وأنا أنظر إلى الشاشة، دون أن أتمكن من فهم ما أراه، إنه يوخزنى.

فهمت، عندما بدأ اللاعبون النيوزيلنديون مباراة الهاكا، فيما بينهم، كان هناك لاعب طويل ماورى، شاب صغير، تعلقت به عيناى منذ البداية. بالطبع بسبب قامته الطويلة، ثم فيما بعد بسبب طريقته فى

التحرك. نوع من الحركة البالغة الجدية. إنه شديد الاندفاع، لكنه متحكم، أعنى أنه يتحكم فى نفسه. أغلب الناس الذين يتحركون يفعلون ذلك وهم يوظفون كل ماحولهم. فى هذه اللحظة عندما أكتب، هناك قطتى كونستيتيو تمر وبطنها تزحف فوق الأرض. هذه القطة ليس لديها أى مشروع مهم فى حياتها، لكنها تتجه نحو شىء ما، ربما مقعد فوتيه، يمكن أن نرى هذا فى طريقتها فى التحرك: اتجهت نحوى قادمة من جهة باب الدخول، ثم خرجت محدثة حركة، لقد صارت الآن فى الخارج، نفس حركتها السابقة. لا أعرف كيف أشرح هذا، ولكن عندما نغادر أماكننا فى نوع ما من التخريب فى هذه الحركة: نحن هنا، وفى الوقت نفسه فى الحديقة، التى تذهب إليها. إذا فهمت ما أعنيه، كى توقف التخريب، يجب ألا تتحرك مطلقاً، فمهما تحركت فإنك فى الداخل، ومهما دخلت فإنك غير قادر على الحركة، لكن هذا اللاعب، إنه هناك، عندما لا أراه يدخل الملعب، أحس بشىء ما مختلف، الإحساس برؤيته يتحرك. نعم، يجب أن نظل هناك. أنه أحمق، أليس كذلك؟ عندما بدأت مباراة الهاكا، بدأت أنظر إليها فقط، من الواضح أنها ليست مثل الألباب الآخرين، من ناحية أخرى، فإن يخنة الفاصوليا رقم واحد قال: "فى سمو" النيوزيلندى المرعب. نحن نحس دائماً وكثيراً بقامته العملاقة. متران صفر سبعة، مائة وثمانية عشر كيلو، وإحدى عشرة ثانية فى مائة متر، شاب جميل، نعم، يا

سيدى!.. كل الناس مبهورة به لكن لا يبدو أن أحداً يعرف لماذا. ومع ذلك فقد صار فعالاً فى الهاكا. إنه يتحرك، ويقوم بعمل الحركات نفسها أكثر من الآخرين، يضرب راحة يده على ساقيه، ويدق الأرض بقوة منتظمة ويلمس الكيعان. وهو ينظر بعينيه إلى خصمه فى الهواء يبدو محارباً عصبياً، ولكن، لتذهب كل حركات الآخرين نحو الهدف، وينظر إليه الاستاد بأجمعه، تبقى حركات هذا اللاعب نقطة ارتكاز، ويعطيه هذا حضوراً، وقوة لا يصدقها أحد. وفجأة، فإن الهاكا وهى أغنية المحارب، تستبد بقوته، إنها قوة جندى، ليست الطاقة التى يقدر بها أن يقهر الآخر وهى ترسل له كل هذا الكم من الإشارات، إنها القوة التى يقدر أن يركزها فى داخله. إنه يركز على نفسه. اللاعب الماورى صار شجرة كستناء كبيرة ثابتة لها جذور عميقة. إشعاعات قوية، يحس بها كل الناس، ورغم ذلك فإن لديه اليقين أكثر من القوى الكبرى. يمكنه أن يطير وأن ينطلق أسرع من الريح، رغم، أو بفضل، جذوره القوية.

فجأة، شاهدت المباراة باهتمام وأنا أبحث دوماً عن الشىء نفسه: لحظات ملتحمة حيث يصبح اللاعب حركته الخاصة ليكون فى حاجة إلى اتساع وهو يتجه نحوه. لقد رأيته! رأيته فى كافة أشكال اللعبة. فى تلاحمها، وبنقطة اتزان تامة. لاعب يجد كافة جذوره. ويصبح هلباً صغيراً صلباً يعطى قوته للفريق، فى واجهة الانتشار مع لاعب يجد السرعة

المناسبة. وهو يتوقف عن التفكير فى الهدف. ويركز فى حركته الدءوبة، ثم يجرى فى حالة من النشوة، تلتصق الكرة بجسده فى هدف مرعب يتقاطع مع بقية العالم كى يؤدى الحركة المثالية للقدم، لكن لا أحد يصل إلى كفاءة اللاعب الماورى الكبير. عندما لاحظ أبى المحاولة الأولى للاعب النيوزيلندى، بدا مندهشاً. الفم فاغر، وقد نسى مشروبه، كان عليه أن يتضايق؛ لأنه يساند الفريق الفرنسى، ولكن بدلاً من ذلك، قال "يا له من لاعب" وهو يمرر يده على جبهته. كان لدى المعلقين المزيد من الأبواق الخشبية. لكنهم غير قادرين على إخفاء أن ما رأوه هو شىء جميل، لاعب يجرى دون أن يتحرك تاركاً الجميع خلفه، أما الآخرون فتبدو عليهم حركات هستيرية يائسة. إنهم غير قادرين على اللحاق به.

هنا تساءلت: هل هذا هو؟ كنت قادرة أن أردد، وسط عالم الحركات الساكنة، هل يساوى عناء الاستمرار؟ فى هذه اللحظة، فقد لاعب فرنسى سراويله فى جولة وفجأة، أحسست بالإحباط التام؛ لأن هذا جعله سخرية من الجميع لدرجة البكاء. ومن بينهم أبى الذى ارتشف قليلاً من البيرة، رغم الكثير من الاحتجاج الأسرى فقد أصابنى الشعور بالتدنيس.

لا، هذا لا يكفى. تلزمنا حركات أخرى كى أقتنع. لكن على الأقل، لقد أعطانى هذا الفكرة.

ـ ٢ ـ

حروب ومستعمرات

لم أحصل على أى قدر من التعليم. قلت لنفسى وأنا فى مستهل هذه المناسبة. ليس الأمر صحيحاً بالمرة، توقف شبابى التعليمى عند شهادات دراسية صغيرة، قبلها تنبهت أنهم لم يعلمونى خوفاً من الوساوس التى لاحظها السيد الخادم، المعلم منذ أن اكتشفنى، متخلصاً بلهفة من صحيفته حيث لم يكن يتكلم سوى عن الحروب والمستعمرات، وكنت آنذاك لم أبلغ العاشرة بعد.

لماذا؟ لا أعرف، هل تؤمنون أنه كان بمقدورى؟ إنه سؤال طرحه عراف العام الماضى. لنقل إن فكرة ضربى فى عالم من المراهنات، أنا، ابنة لا شىء، بلا جمال أخاذ، دون ماض ولا طموح، دون لباقة أو وميض، أتعبنى كل هذا حتى قبل أن أحاول، لم أرغب فى شىء، سوى أن يتركونى فى حالى. دون أن أطلب،

وأن أتمكن من الراحة بضع لحظات يومياً، من شهادة إشباع جوعى.

إلى من لا يعرف شهية الأكل، أول هجوم للجوع هو المعاناة والتنوير معًا، كنت طفلة بليدة وصاحبة شبه عاهة، الظهر مقوس، أبدو كأننى حدباء. لم يكن أمامى أى طريق آخر. غياب المذاق عندى ساقنى إلى العدم. لا أحد يكلمنى. لا أحد يوقظنى، قشة، ضعف يغوص فى موجات من الغموض. كنت أتجاهلها بنفسى حتى شهوة رغبة الانتهاء.

فى بيتنا . لم نكن نتحدث قط، يصرخ الأطفال، أما الكبار فعليهم التفرغ لمهامهم، كأن عليهم أن يظلوا داخل وحدتهم. كنا نأكل عندما نشعر بالجوع، ورغم التقشف لم نكن أبداً نتعامل بشكل سيئ، وملابس الفقراء التى نرتديها تبدو نظيفة رغم أنها مرتقة مما يجعلنا نشعر بالخجل. لم نكن نعانى من البرد، ولكننا لم نكن نتكلم.

وضحت الرؤى وأنا فى سن الخامسة من عمرى، ذهبوا بى إلى المدرسة للمرة الأولى، انتابنى خوف، وفوجئت عندما سمعت صوتاً يوجه إلىّ وينطق باسمى.

سأل الصوت بينما كنت أحس بيد صديقة تمسك بيدى:

رينيه؟

كانت تمطر، بينما تكدس الأطفال فى الممر.

تتغير دائماً نبرة الصوت القادم من أعلى، ولم تكف اليد الحانية عن التربيت على ذراعى ـ نبرة غير مفهومة ـ من الخفة وضغطات رقيقة.

رفعت رأسى، وفى حركة غريبة أصابنى نوع من الدوخة وقاطعت نظرتى.

رينيه. كان الأمر يتعلق بى، فللمرة الأولى يوجه لى أحدهم الكلام ناطقاً باسمى، فى مثل هذا الأمر فإن أسرتى تستخدم إشارات أو تلميحات. امرأة، أعتبرها حتى الآن ذات عينين وضاحتين وفم مبتسم، تخترق طريقها نحو قلبى، وهى تنطق اسمى، تدخل معى فى تقارب، لم أكن أدرى آنذاك أية فكرة عنها.

نظرت حولى، إلى عالم سرعان ما تحلى بالألوان، وفى ألم كالسهم، رأيت المطر الذى يسقط بالخارج، النوافذ يغسلها الماء، رائحة الملابس المبللة، وضيق الممر، مثل الأمعاء الدقيقة حيث ترن أصوات جموع الأطفال، والمعاطف ذوات الأزرار الجلدية حيث يتكدس المسافرون والمفارش الرديئة. وعلو السقف، ومسافة السماء فى عينى طفلة.

هنا، وقعت عيناى الحزينتان على عينيها. رنوت نحو المرأة التى جاءت لتلدنى من جديد.

تكرر الصوت: رينيه، هل تريدين أن تخلعى قبعة البحَّارة التى ترتدينها"؟

أمسكتنى بقوة حتى لا أقع، وقامت بتجريدى من ملابسى بسرعة. مما ينم عن تجارب كثيرة.

نؤمن بشدة فى إيقاظ الوعى المنغلق. بساعة ميلادنا الأولى، ربما لأننا لا نعرف كيف نتخيل الجانب الآخر من الحياة. يبدو لنا أننا نرى دائماً ونحس، وآننا أقوياء بهذا الإيمان، نحن نجد هويتنا فى القدوم للعالم فى لحظة مصيرية حين يولد الوعى. وطوال خمس سنوات، كانت هناك طفلة صغيرة تسمى رينيه، عملية بشكل آلى بسبب قوة البصر والسمع، والشم والتذوق واللمس. يمكنها أن تعيش داخل اللاوعى الكامل لنفسها وللعالم، مكذبة لهذه النظرية المبكرة. فالوعى يحتاج إلى اسم.

أو، حسبما تمشى الظروف السيئة، يبدو أنه لم يفكر أحد فى أن يمنحنى ذاتى، قالت لى المدرسة، وقد قررت ألا أكذب أبداً:

ـ هاتان عينان جميلتان.

فى هذه اللحظة لمع جمالى، وانعكست معجزة ميلادى، ولمعت مثل تجمعات النيران.

بدأت أرتجف وبحثت فى عينيها عن مشاركة تربطنى الفرحة، فى نظرتها الرقيقة والحنونة، لم أقرأ سوى الامتنان.

فى تلك الساعة التى ولدت فيها، راحت تعاملنى بشفقة فقط.

كنت محسوسة

طالما أن جوعى لا يمكنه أن يتخفف فى لعبة التناقض الاجتماعى التى تجعله ظروفى غير مناسبة. فهمت هذا متأخراً، هذا العطف فى عينى منقذتى. لأننى عشت أبداً فى فقر تخترقه سكرة اللغة، أمارسها مع آخرين، وجدت ذلك فى الكتب، للمرة الأولى، ألمس واحداً منها، رأيت كبار الفصل ينظرون إليها خلسة. كانسلاخ بنفس القوة، وهم يغوصون فى الصمت، ينهمكون فى الورقة الميتة، شىء ما يبدو حياً.

تعلمت القراءة بعيداً عن الجميع. تلعثمت المدرسة وهى تردد الحروف للأطفال الآخرين الذين أعرفهم منذ وقت طويل، القوة التى تنسج العلامات المكتوبة، والتدبيرات اللانهائية والأصوات الرائعة التى سلحتنى فى هذه الأماكن. اليوم الأول، عندما رددت اسمى، لم يكن أحد يعرفه، قرأت كأننى مجبرة، مختبئة فى البداية، ثم فى الوقت العادى بدا لى الفهم شيئًا متجاوزًا، وعند الرؤية، والعلم بكل شىء، صرت معنية بإخفاء المتعة والفائدة التى اكتسبتها.

أصبحت الطفلة الواهنة والجائعة روحًا.

فى سن الثانية عشرة تركت المدرسة وعملت فى المنزل.. فى الحقول المجاورة لمنزل أسرتى وإخوتى وشقيقاتى، ثم تزوجت فى سن السابعة عشرة.

- ٣ -

الكانيش مثل طوطم

فى أذهان الناس. كون الأزواج البوابون، ثنائيًا متوحدًا يتمثل فى كيانات تافهة تماما، عدا أن توحدهما يكشفهما وهما يمتلكان كلبًا كانيش مثلما يعرف كل شخص، فالكانيش هى أنواع من الكلاب المجعدة الشعر محددة فى ملامح خاصة، هن نساء وحيدات متعلقات بالماضى، بوابات عمارات يقبعن فى مساكنهن المعتمة. الكلاب يمكنها أن تكون سوداء أو مشمشية. المشمشى منها أكثر شراسة من الأسود. تبدو أقل جودة، تنبح كلاب الكانيش بفظاظة عند أول بادرة، لكن بشكل خاص عندما لا يمر أحد بجوارها. إنها تنبح سيدها، وهى تدخل بين أربعة أقدام دون أن تحرك باقى جذعها الصغير فى المكان. لديها عيون سوداء. غائرة فى حدقات بلا معانى. الكانيش كلاب قبيحة وغبية، خانعة ومتبجحة، هذه هى الكانيش.

وهكذا الأزواج البوابون، ممسوخون من كلابهم الطوطمية، تبدو مخصصة لمشاعرها بالحب والرغبة، مثل الطوطم نفسه، الذى يجب أن يظل دميماً، حيواناً، ممتثلا ومتعجرفًا فى بعض الروايات، يتخذهم الأمراء كعمال، والأميرات يحكمن عليهم بالأشغال الشاقة. إنها غير منتجة، بين بواب وبواب آخر، حتى من جنس متعارض، رومانسية مثلما يحدث للآخر وتستحق أن تحكى فى كل مكان.

ليس فقط لأننا لم نملك كانيش، لكن أعتقد أننى أستطيع أن أقول إن زواجنا كان ناجحاً. مع زوجى، مارست ذاتى، من خلال الحنين الذى عشته فى صباحات الآحاد الصغيرة. هذه الصباحات المباركة كانت ممتعة، عندما يكون المطبخ صامتاً، يشرب هو قهوته بينما أقرأ.

تزوجته فى سن السابعة عشرة، بعد علاقة سريعة، لكنها صحيحة، كان يعمل فى المصنع مثل إخوتى الكبار، يتردد أحياناً فى المساء عليهم لشرب القهوة. كنت دميمة، ومع ذلك، لم يكن للأمر أهمية فى القرار إذا كنت دميمة على طريقة الآخرين. لكن دمامتى كانت تخلو من الفظاظة. التى لا تخص أحداً سواى. والتى تجعلنى متألقة، أكثر مما كنت عليه كامرأة. كانت دمامتى تجعلنى أبدو كأننى فى الخامسة عشرة أو فى الخمسين. كان ظهرى مقوساً وقامتى كثيفة، ساقاى قصيرتين، وقدماى متباعدتين، وزغب

جسدى غزيرًا، وملامحى المبهمة دون محددات أو آناقة، مما أعفانى من سحر جمال الذى تملكه الشابات، لكن بدلاً من ذلك، أحسست وأنا فى سن العشرين أننى امرأة مثيرة للسخرية.

وهكذا. فعندما تحددت نوايا زوج المستقبل، وبدت قدرتى على تجاهله. انفتحت عليه، إنها المرة الأولى التى أتكلم فيها مباشرة إلى شخص آخر عداى. وأنا أبوح له بدهشتى بفكرة أنه يمكنه الاقتران بى.

كنت مخلصة، لقد آلفت، منذ وقت طويل، بشكل نظرى، حياة الوحدة. أن أكون فقيرة، دميمة، علاوة على أننى ذكية، محكوم علىّ فى مجتمعاتنا، فى مناطق مظلمة، ومنكشفة، من الأفضل أن نعتاد فى وقت مبكر على الجمال، يمكن أن نعذر كل شىء، بخاصة الدمامة، لم يبد الذكاء عدلاً متوازناً للأشياء. مثل عدم توازن الطبيعة التى تمنح للأطفال تفضيلا أقل. لكنها اللعبة التى تهز قيمة الأشياء، إن القبح دائماً مذنب، لقد عانيت بهذا المصير المأسوى، الكثير من الألم لأننى لم أكن غبية. أجابنى بكل جدية يمتلكها، وهو منهمك فى هذا المقطع الطويل كاشفاً كل الخصوبة التى لم يمارسها أبداً فيما بعد:

رينيه. رينيه، لا أريد امرأة واحدة من هؤلاء العباقرة اللاتى يمارسن الفسوق الأكبر أسفل وجوههن الجميلة. ليس لديهن سوى مخيخ عصفور.

أريد امرأة مخلصة. زوجة طيبة وأماً طيبة، وسيدة بيت فاضلة، أريد صحبة سهلة. واثقة فى الوقوف بجانبى، تتبعنى فى هدوء البيت وحنان اللحظة، لست شريراً وسأبذل ما بوسعى.

ثم فعل.

قصير، ونحيف مثل جذور شجرة النبق، لديه وجه رائع وابتسامة ساحرة، لم يشرب قط ولم يدخن، ولا يتظاهر، ولا يتراهن. فى المنزل، بعد العمل، يشاهد التليفزيون، ويتصفح مجلات الصيد، أو يلعب الكوتشينة مع أصدقاء المصنع، اجتماعى بقوة، يدعو الناس إليه بسهولة، وفى يوم الأحد يذهب للصيد، أما أنا، فأتولى أمور المنزل؛ لأنه يعارض ما أفعله عند الآخرين.

لم يفتقد الذكاء، رغم أن الذكاء ليس من النوع الذى يمارسه، إنه ذكاء اجتماعى يسمو به إذ كانت مهاراته تتحدد فى الأعمال اليدوية، هناك تظهر موهبة لا تبدو إلا فى الاستعدادات القوية، ورغم الجهل، فإن كل شىء يتم بشكل كريم، فى عمل تافه، مثلما تتميز مهارة الفنانين، وفى الأحاديث يتعلم أن المعرفة ليست كل شىء، يبدو لى أن التسامح الذى وهبته لى السماوات قد تبدى بين يدى زوجة شريكة بطريقة رائعة.. ليست من أجل عمل فكرة، ولا على الأقل أمرأ ماكراً.

كان يمكن أن أقع فوق واحد من أسرة جرلييه.

برنار جرلييه هو واحد من الكيانات النادرة فى ٧ شارع لاجرنيل، لا أخشى أمامه أن أخون نفسى، وكم قلت له إن الحرب والسلام (*) هى رؤية محددة للتاريخ"، أو تأكيد جيد إن تشحيم المفاصل لحفظ القمامة، لا يعير لهذا أى حس، ولا أية بادرة. أتساءل بنفسى كيف يمكن أن نمارس ما لا نفهمه؟ بلا شك، فهذا النوع من المواقف لا يتطلب الغايات العقلية، ومثل هذه المنبهات التى تدور فى حلقات النخاع الشوكى تشن الانعكاس دون أن تغوى أو تجذب المخ، الإيعاز الذى يجعل التشحيم ربما ليس سوى جذب يسبب ارتجاج الأعضاء دون أن يتدخل فيها العقل.

برنار جرلييه هو زوج فيوليت جرلييه، عمدة "آل ارتين" دخلت منذ ثلاثين عاماً فى خدمتهم خادمة بسيطة تفعل كل شىء، ثم أخذت تترقى بشكل عادى، وهم يقومون بإثرائها، وصارت "عميدة" تسيطر على مملكة ساخرة تتمثل فى شخصيات مثل الوصيفة "مانويلا" كبيرة الخدم، هى بالصدفة "إنجليزية" ورجل العمل "زوجها"، كانت تكن لهذه الأسرة الصغيرة بعض الازدراء، كأنها من عائلة برجوازية من الأسياد، وفى كل يوم، بينما هى تثرثر مثل العصفور فإنها تنهمك فى كل الاتجاهات، وتبدو مهمة وهى تعاقب كافة الخدم، وكأنها فى قصر "من الخوالى، وترهق مانويلا

(*) رواية الحرب والسلام الشهيرة للروائى الروسى «ليو تولستوى» كتبت بين عامى ١٨٦٤ و ١٨٦٩م، وتدور حول غزو قوات نابليون لموسكو، وهزيمته النكراء.

فى نقاشات متبجحة حول حب العمل، والتحليل بطرق مثالية.

أخبرتنى مانويلا ذات يوم أنها لم تقرأ ماركس.

صدمنى هذا التقرير، حول خادمة برتغالية، غرقت فى دراسة الفلسفة، حزّ الأمر فى نفسى فيوليت جرلييه لم تقرأ ماركس بالتأكيد، بدافع أنه غير موجود فى أية قائمة من مواد النظافة لتلميع الأشياء الثرية، ومقابل هذه الفجوة، فقد ورثت معلومات من مجلة مرجعية ومزيفة بكتالوجات كبيرة تتكلم عن النوشادر وممسحة من الكتان.

كنت آنذاك زوجة سعيدة.

رغم كل ذلك فإننى بحت لزوجى بأخطائى الكبرى، على وجه السرعة.

فكرة عميقة رقم ٢

هذا القط الموجودهنا

هذا الطوطم المعاصر

والمزدان أحيانًا

هذا هو الحال فى منزلنا، إذا أردت أن تفهم أسرتنا، يكفى أن تنظر إلى القطط. قطان كبيران مدللان على أحسن ما يكون التدليل، ليس لديهما أى تفاعل مهم مع الأشخاص. إنهما ينسحبان من أريكة إلى أخرى، تاركين الزغب فى كل مكان، لا أحد يبدو أنه فهم أنهما ليس لديهما أقل قدر من العاطفة تجاه كل منهما للآخر، الفائدة الوحيدة للقطين، إنهما يمثلان ديكوراً متحركاً، ومفهوماً أجده مهمًا من الناحية الفكرية، لكن لكل من قطينا بطنًا تنثنى كثيراً، وتنطبق كل منها على صاحبها.

قرأت أمى، كل أعمال بلزاك[1]، وتسمع فلوبير[2] عند كل عشاء، تشير كل يوم إلى أى شخص مؤكدة أن التثقيف هو حالة من الزيف المستشيط، يكفى أن تنظر إليها مع القطين، إنها واعية بقوة لهذا المظهر الشكلى، لكنها تعاند، رغم ذلك تتكلم إليهما، كأنهما شخصان. يبدو أن الأطفال يعتقدون، حتى سن متقدمة، أن كل ما يتحرك لديه روح، وأن ذلك يعود إلى الكوامن. لم تكن أمى سوى طفلة ترى الحياة فى مصباح، أو تمثال رومانى قديم. تعتبر أن القط كونستاتيو والقط بولمان ليسا سوى أكثر فهماً للمصباح، اسلم أن الاختلاف بين المصباح وبينهما يتمثل فى أن القط يمكنه أن يحس بالمتعة والألم، لكن هذا يعنى أيضاً أن هناك الكثير من القابلية. فى الاتصال مع الإنسان، أبداً. يجب أن يحثنا هذا أن نأخذ حذرنا العام. مثل مع شىء سهل الكسر للغاية، عندما أسمع أمى تقول "كونستاتيو هو قط صغير بالغ الكبرياء، وشديد الحساسية "فإن القط يبدو قابعاً فى أريكة بعد أن أكل كثيراً، يبعثنى على الضحك، ولكن إذا فكرنا فى الافتراضية التى بها تكون للقط وظيفة أنه طوطم حديث، فإن نوعاً من التقمص المرتبط

---

(١) أونوريه دوبلزاك روائى فرنسى (١٧٩٩م ـ ١٨٥٠م) من أشهر رواياته "أوجينى جرانديه"، الفلاحون «الطبيب الريفى» وكان غزير الإنتاج.

(٢) جوستاف فلوبير، روائى فرنسى (١٨٢١ م ـ ١٨٨٠م)، اشتهر برواياته المهمة، القليلة مثل «مدام بوفارى» «سلامبو» و «التربية العاطفية».

بالشعار وحماية البيئة ينعكس بكل سعادة على أفراد البيت، يصبح هذا فعالاً. فأمى تفعل بالقطط ما تريد أكثر منا، وأكثر مما لم تكن أبداً. ليس هناك أقل كبرياء وحسية من ثلاثة أفراد فيما يسمى بعائلة جوس: أبى، وأمى، وكولومب، إنهم ضعفاء تمامًا ومخدرون، وخالون من المشاعر.

باختصار، أفكر آن القط هو طوطم عصرى. لقد قلنا ذلك، وتبادلنا أحاديث طويلة حول التطور، والتحضر. وكم من الكلمات تبدأ بـ "ت"، فالإنسان لم يتقدم كثيراً منذ بداياته، كان يؤمن دائماً أنه ليست هناك سوى المصادفة، وآن آرباباً عظاماً يسهرون من أجل راحة قدره.

- ٤ -

رفض المعركة

كم قرأت من الكتب..

ورغم ذلك، مثل كل ثقافة ذاتية، فأنا لست واثقة دومًا فيما لم أفهمه فيها، يبدو لى ذات يوم يقبل بنظرة واحدة شمولية المعرفة، مثل التفرعات الخفية التى تولد فجأة، وتنسج فيما بينها كل النصوص المتناثرة - ثم وبشكل وقح يختفى المعنى ويهرب منى الإحساس وأعود لقراءة السطور نفسها، وتهرب منى فى كل مرة أكثر، بينما أحس أننى امرأة عجوز مجنونة، تؤمن أن معدتها ممتلئة، تقرأ قائمة الطعام بعناية، يبدو أن تصريف هذا الاستعداد وهذا العمى هما العلامة المخصصة للتثقيف الذاتى، باختصار موضوع الأدلة المؤكدة التى لها كافة الأشكال الجيدة الملحوظة، هو على الأقل قربان للحرية، ولمفهوم فى الفكر حيث تطرح الأحاديث الرسمية، تضع الفواصل وتمنع المغامرة.

هذا الصباح، تماسكت، حائرة فى المطبخ، كتاب صغير موضوع أمامى.

كنت فى إحدى هذه اللحظات، حيث يمسك بى جنون مشروعى الوحيد، وبإصبعين من التخلى، خشيت أن أجد سيدى أخيراً.

من يكون اسم هوسرل(*)، اسم لا نطلقه قط على الحيوانات الأليفة، أو على أنواع الشيكولاته، بدافع أنه يثير الإحساس بالجدية، والتجهم والحركة البروسية، ولكن هذا لم يبعث العزاء فى نفسى، اعتبرت أن مصيرى قد علمنى، أفضل من أى شىء، مقاومة كل المبالغات السلبية للفكر العالمى، سوف أقول لك حتى الآن، تخيلت أنه بدافع قبح الشيخوخة أو الترمل وعملى كبوابة، فإننى أصبحت شيئاً بائساً، صرت فى أدنى الدرجات. وإن ما ينقصنى هو الخيال، لقد تراجعت ـ بالتأكيد ـ رافضة كافة المعارك، لكننى فى أمن روحى، فليس هناك هذا التحدى الذى لا أستطيع إظهاره، فقيرة فى الاسم، والوضع والمظهر، وأنا فى مفهومى ربة جمال منهزمة.

وأيضاً ادمون هوسرل، الذى تعاملت معه على أنه اسم لمصاصات بدون حقيبة، وأنه يهدد استمرار مسابقتى الأوليمبية الخاصة.

(*) ادمون هوسرل Hussarel (١٨٥٩م ـ ١٩٣٨م)، فيلسوف ألمانى، عرف بفلسفته الظاهراتية أبرز الفلسفات فى القرن العشرين من مؤلفاته «مدخل إلى علم» الظاهراتية ١٩١٣م.

قلت وأنا أطلق تنهيدة: حسنًا، حسنًا، حسنًا، حسنًا، لكل مشكلة حل، أليس كذلك؟ ـ ونظرت إلى القط، الذى يطارد شجاعته.

هذا الجاحد، لم يرد. جاء ليلتهم شريحة كبيرة من لحم الخنزير المفروم، وتحرك بخيلاء ملحوظ وهو يحتل الفوتيه.

كررت بشكل غبى فى حيرة: حسنًا، حسنًا، حسنًا، حسنًا.

وتأملت الكتاب الصغير السخيف مجدداً.

"التحولات الديكارتية ـ مدخل إلى علم الظاهراتية"، فهمت سريعة من عنوان الكتاب، وبقراءة الصفحات الأولى أنه ليس من المستحيل أن نبلغ هوسرل، فيلسوف الظاهراتية، الذى لم يقرأ ديكارت أو كانط، لكنه سرعان ما أدمن سيطرة ديكارت عليه، وإلا ما فتح أبواب مداخل الظاهراتية الاستعلائية.

خسارة لأننى بالنسبة لكانط(*) مزرعة إعجاب، بالنسبة للأسباب المختلطة، فإن فكره هو مثال إعجازى للعبقرية، والقسوة والجنون، وأن بعض الفكر الرومانى أقرب إلى النثر. لم تكن لدىّ أية صعوبة فى أن أخترق المعنى، فنصوص كانط هى نصوص ثرية

(*) إيمانويل كانط: (١٧٢٤م ـ ١٨٠٤م) فيلسوف فرنسى ألف العديد من الكتب منها «نقد العقل الخالص»، «تأسيس ميتافيزيقا العادات».

للغاية، وأريد فيها برهاناً حول الاستعداد للعبور نحو انتصار اختبار شجرة الجانركة.

يطرق اختبار الجانركة بالتجريد التام من السلاح، فهو يستمد قوته من مفهوم عالمى: وأنا أقضم الفاكهة يفهم الإنسان أخيراً، ماذا أفهم؟ كل شىء، أنه يعى بطء النضج الإنسانى الذى كرس نفسه للبقاء على قيد الحياة، ثم يحدث ذات مساء فى نوايا المتعة، غرور كل المتع المزيفة التى تتحول من الجاذبية الأولى إلى فضائل الأشياء البسيطة، والنهائية، لا جدوى من الأحاديث، البطء وعشوائية العالم المرعبة التى لا يمكن تجاوزها قط، وابتداء من هذا، فإن اللذة الرائعة للمعانى تتواطأ فى تلقين المتعة للناس، وجمال الفن المدهش.

يتم اختبار شجرة الجانركة فى مطبخى، فوق مائدة من الفرومايكا، وضعت الفاكهة والكتاب. كومت الأولى، وغصت فى الثانى، قاومت ـ بشكل متبادل ـ إغراءهما القوية، إذا فشل الاختبار فى أن يجعلنى أشك فى النص وإذا أفسد النص الفاكهة، فإننى يجب أن أعرف أننى فى حضرة مشروع له أهميته، ولنقل، استثناء، طالما أن القليل من الأعمال لا نرى فيها سوى حلول سخيفة، ومسطحة مثل الطعم الغريب، لكريات الثلج الذهبية الصغيرة.

قلت لـ ليو: أنا بائسة، لأن مفاهيمى فى المادية.. الكانطية إنها تمثل القليل من الأشياء عند النظر إلى هذه الفلسفة الظاهراتية.

لم يكن لدىّ أى بديل، يلزمنى أن أتجه إلى المكتبة، وأن أجرب العثور على مدخل الأشياء، فى الأمور العادية، فإننى أتحدى هذا التفسير أو الشروح التى تضع النص فى بؤرة الفكرة المدرسية، لكن الموقف بالغ الجسامة الذى من أجله أجد نفسى فى حيرة حقيقية فإن الظاهراتية أفلتت منى، وهذا أمر لا يحتمل.

فكرة عميقة رقم ٣

الأقوياء

فى النوع البشرى

لا يفعلون شيئًا

إنهم يتكلمون

ثم يتكلمون

هذه فكرة عميقة بالنسبة إلىّ، لكنها ولدت من فكرة أخرى عميقة، إنها دعوة من أبى على العشاء أمس، حين قال: "من يعرفون كيف يفعلون، من لا يعرفون التوقيع، هؤلاء لا يجيدون التعليم، يعلمون المعلمين، الذين لا يجيدون التعليم. صار المتعلمون يمارسون السياسة". بدا الجميع أنه وجد هذا مهماً للغاية لكن لأسباب سيئة، قالت كولومب وهى المتخصصة فى النقد الذاتى المزيف، "حقًا"، إنها جزء من هؤلاء الذين يفكرون أن المعرفة تعنى السلطة.. وكم آسفت، حين عرفت أننى أمثل جزءاً من النخبة

التى تمارس الخير بتصرف وتعجرف، فأنا أهرب من النقد، وأحصد الكثير من الهيبة الشخصية، أما أبى فإنه يغرق بشكل عام، فى التفكير المماثل، رغم أنه أقل حماقة من أختى، يؤمن أن هناك شيئاً ما يسمى الواجب، ورغم أن هذا هو رأىّ خرافى: فإنه يحميه من وهن الجنون، ولهذا، فإنه يؤمن أيضاً وبكل قوة أن العالم لديه حس، ولأنه لم يصل إلى التخلى عن لغو الطفولة التى تتبنى الموقف المألوف، فإن الحياة عاهرة، ولا أعتقد كثيراً فى شىء، وسوف أستمتع بها حتى الغثيان، إنها العبارة البسيطة المعاكسة، وهكذا أختى، التى تؤمن بأن تكون عادية، وتؤمن أيضاً ببابا نويل، ليس لأنها صاحبة قلب طيب، ولكن لأنها طفولية تمامًا، فهى تضحك بسخرية وغباء عندما يطلق صديق أبى جملته الجميلة، فى المجال الذى أسيطر فيه على تنفيذ عمل ما. هذا يجعلنى واثقة فيما أفكر فيه منذ وقت طويل، إن كولومب هى كارثة كاملة.

لكن أنا، أعتقد أن هذه الجملة هى فكرة حقيقية عميقة، فقط لأن هذا ليس حقيقياً، على كل حال فهو ليس حقيقياً تمامًا، لا يعنى هذا ما نؤمن به حول الرحيل، إذا تمت التربية فى ميراث اجتماعى حسب الإطار المعرفى، فإننى أضمن لكم أن العالم كله لن يسير كما يحدث، لكن المشكلة ليست هكذا، مما يعنى أن هذه الجملة، ليست سوى أن قصورًا موجودة تحت الشمس، وأن لا شيئاً أكثر قسوة وظلمًا من الحقيقة

الإنسانية، فالناس تعيش فى عالم تصير فيه الكلمات، وليست الأفعال، صاحبة السلطات، حيث إنه فى القصور المعرفى الأعلى تسيطر اللغة، وهذا شىء مرعب، لأنه فى الأساس نحن كائنات مبرمجة نأكل وننام، نمارس الإنتاج، نغزو أرضنا ونؤمنها، والأكثر إحساسا بأننا مدانون لهذا، الأكثر حيوانية فى كل هذا، أننا كيانات من بين الآخرين. هؤلاء الذين يتكلمون جيداً وغير قادرين على الدفاع عن حديقتهم، وإحضار أرنب للعشاء أو للإنجاب مباشرة، يعيش الناس فى عالم يحكمه الضعفاء، إنه أمر مرعب لطبيعتنا الحيوانية. نوع من الفساد، والتناقض العميق.

ـ ٥ ـ

ظروف حزينة

بعد شهر من القراءة الهستيرية، قررت التوقف بشكل مكثف عن متابعة الظاهراتية التى هى احتيال، وأيضاً بالطريقة نفسها أن الكاتدرائية أيقظت دائمًا فى داخلى هذا الشعور الغريب من العماء الذى نجربه أمام التظاهر الذى يمكن للبشر أن يبنوا أمجادهم فى شىء ما غير موجود، الظاهراتية التى تزعج إيمانى فى النظرية أكثر من أن الذكاء يمكنه أن يفيد فى تداخل لا جدوى منه، مثلما نحن فى شهر نوفمبر، ليس لدى من مشروب الجانركه فى الصباح، حالة مماثلة، أحد عشر شهرًا فى السنة، كنت ألتهم الشيكولاتة السوداء (٧٠٪) لكننى لا أعرف مقدماً نتيجة الاختبار، هل حاولت فى تلك المساحة الضيقة، وأنا أحبط بصوت عالٍ علىَ وركى، وأنا أقرأ فصلاً جيداً مثل: "إفشاء المشاعر النهائية للعلم فى مجهود الحياة.. مثل ظاهر الجدية، "حسناً" "إنها مشكلة

مفاهيم الأنا الداخلية المتحولة"، هل يمكن أن ننفجر ضاحكين، التدفق بملء القلب فى مراع مغمورة بالماء، ومن شراب الجانركه وخيوط الشيكولاتة المنسابة فى ملتقى الجسمين.

عندما نريد أن نحدد الظاهراتية يجب أن نكون واعين، إنها تطرح سؤالاً مزدوجاً: ما طبيعة الوعى الإنسانى، ماذا نعرف عن العالم؟

لنطرح السؤال الأول

هذه الآلاف من طراز "اعرف نفسك بنفسك"، فى "أنا افكر إذًا أنا موجود"لا تتوقف عن شرح السخرية الدائمة للإنسان التى تعنى الوعى الذى يستمده من وجوده الذاتى، وبخاصة مقدرة الوعى أن يأخذ فى ذاته لشىء، عندما يحتك هذا بشر ما، فالإنسان يحتك ويصبح وعيه فى حالة احتكاك، ويسأله: ماذا تفعل؟

فيجيئه الجواب: أنا أحتك، ويدفع بعيدًا عن البحث (هل أنت واع أنك فى وعى أنك تقوم باحتكاك نفسك؟)، فيجيبه نعم، وبنفس الطريقة "هل أنت واع لم يمكن أن تضيفه. فهل الإنسان أقل تحرقًا، لأن يعرف انه يحتك وأنه فى حالة وعى؟ الوعى الانعكاسى هو لهيب بشكل نفعى فوق نظام الاحتكاك؟ لا لا، أبدًا، إنه يعرف الاحتكاك، وأن يكون واعيًا للفعل الذى يعيه للمعرفة، لن يتغير أبدًا، بشكل حاد بقدر ما يحدث الاحتكاك، سباق إضافى، يجب أن نطيل فترة الصفاء التى تستمر فى هذا الوضع الحزين، وأراهن

بعشرة أكواب من الجانركه أن هذا سوف يزيد المضايقات بالنسبة إلى قطى، فإن أية حركة من مخالبه الداخلية تسبب العدوى، ولكنه يبدو للناس أنه غريب تماماً، الآن لا يوجد حيوان آخر لا يستطيع ذلك ونحن نهرب من الحيوانية، إن أحداً يمكنه أن يعرف ما يحدث فى حالة الاحتكاك، هذا الحضور للوعى الإنسانى يبدو مليئاً بالاحتجاجات لشىء ما مقدس، ينبه داخلنا إلى جوهر بارد يخضع لكل الأشياء الطبيعية.

يبقى كل علم الظاهراتية فوق هذا اليقين: والعيون المنعكسة، دليل على معرفتنا بعلم الكائنات الحية، إنه الجوهر الوحيد الذى يجعلنا ندرسه؛ لأنه فى داخلنا يحدد الأبعاد الحيوية.

لا يبدو أحد واعيًا للواقع، طالما أننا حيوانات طبيعية خاصة.

ـ ٦ ـ

فستان بال

إذًا فالسؤال الثانى هو: ماذا نعرف عن العالم؟

هذا السؤال يجيب عليه فلاسفة المثالية مثل كانط.

بماذا يجيبون؟

يرددون: ليس الأمر جسيمًا.

المثالية، هى الحالة التى لا نستطيع عندها أن نعرف ماذا يبدو فى وعينا، هذا الجوهر شبه المقدس ينقذنا من حيوانيتنا، نحن نعرف العالم الذى يمكن لوعينا أن يدركه حسبما يبدو لنا، وليس أكثر.

لنأخذ مثالاً بالمصادفة، فإن قطًا حنونًا يسمى ليو، لماذا؟ لأننى أجد أن الأمر أكثر سهولة مع القط، أسألك: كيف يمكنك أن تكون واثقًا أن الأمر يتعلق بقط، وأن تعرف أيضاً أن هذا قط؟ الإجابة

الصحيحة تتكون قبل أن تطرح الواقع الماثل فى إدراكك للحيوان، مكملا لبعض الآليات المقصورة واللغوية، سوف تؤدى بك إلى أن تشكل هذه المعرفة، لكن الإجابة المثالية تتكون من استحالة أن هناك ما يجب معرفته إذا كنا نلاحظ، ونفهم قطًا، إذا بدا هذا فى كيف يظهر القط فى وعينا، أو نتأكد ما هو القط فى أعماقه الخاصة، ربما قطى، الذى أراه حاضراً، له أربعة أقدام وشارب مرتجف، وأرتب فى عقلى فى درج عليه تيكيت ملصق صغير "قط" هل هو حقًا، وفى جوهره زجاجة صمغ أخضر لا يطلق مواء، ولكن مشاعرى مشكلة بطريقة بحيث يبدو لى هذا، وأن النجاسة الكثيرة فى الصمغ الأخضر تفسد ذوقى، ويقينى الساذج، يتمثل فى وعىّ حول مظهر حيوان أليف شره وناعم الملمس.

هذه مثالية كانط، نحن لا نعرف العالم إلا من "فكرة" تتشكل فى وعينا، هناك نظرية أكثر إحباطًا من هذه. نظرية تفتح المشاهد الأكثر رعبًا من تلك التى تداعب دون أن تجعلنا نأخذ جهد اللعاب الأخضر فى الحسبان، ان نتوغل فى الصباح فى مغارة بثور مدهونة بزبدة نعتقدها مخصصة لتحميص الخبز.

توجد مثالية ادمون هوسرل التى تثيرنى أكثر من علامة رداء من قس تم إغراؤه بانشقاق مظلم فى كنيسة معمدانية.

فى هذه النظرية الأخيرة لا يوجد سوى مفهوم القط، والقط؟ حسنًا إنه يمر، لا أحد فى حاجة إلى

قط، وماذا تفعل به؟ أى قط، من ناحية أخرى فإن الفلسفة تستخدم الألفاظ فى تفسير فجور الروح الخالصة، العالم هو حقيقة من غير المجد أن نحاول التعرف عليها، ماذا تعرف عن العالم؟ لا شىء، كل المعارف ليست سوى انبثاق للوعى التجميعى ذاته، يمكن أن نرسل العالم إلى الشيطان.

هذا هو علم الظاهراتية: "العلم الذى يبدو للوعى"، كيف يمر يوم عالم الظاهراتية؟ إنه يستيقظ، يعى للتصبن تحت الدش جسد وجوده، هو بدون عمق، يلتهم الزبد المعدمة، ويتسربل فى ملابسه التى تشبه الأقواس الخالية، ويتجه إلى مكتبه، وهو يمسك قطه.

ما يعنيه قليلاً أن هذا القط موجود أم غير موجود وأنه جوهرة نفسه، أما غيره فلا يهمه أنه لا يقبل الجدل، وفى وعيه يبدو قطًا، وهذا الظهور الذى يشغل إنساننا.

ظهور يبقى معقدًا، ما يمكن عند هذه النقطة أن تصف مفهوم أن الوعى بشىء وجوده فى ذاته مختلف، هو أمر واضح للغاية. هل تعرف أن وعينا لا يبدو فجأة لكن من تأثير سلسلة معقدة من الأمور المتراكبة التى تصل إلى الظهور فى أحاسيسنا لمختلف الأشياء، على سبيل المثال، قط، مكنسة أو مضرب ذباب، يعلم الله أنها مفيدة؟ تمارس النظر إلى قطك وأنت تسأل وكأنه منتج أنك تعرف كيف أصبح، خلفه، فوقه، أو أسفله، ما يمثله، لن تلاحظ الوجه، لقد أردت أن

يكون وعيك متيقظًا، دون أن تأخذه فى الاعتبار بشكل مضاعف عن قطك من كل الزوايا الممكنة، وينتهى هذا بألا تغادرك هذه الصورة المتكاملة لقطك فى منظورك الحالى قَطٌّ. هذا يشبه مضرب الذباب، الذى لن تلحظه أبدًا إلا عند الشعور أنه يمكنك أن تراه فى داخلك وروحك، وأنه معجزة، تعرف كيف تعيده وكيف سيبدو لك على الجانب الآخر.

سوف تقتنع أن هذه المعرفة بالغة الإفادة، لن تتخيل مانويلا، وهى تستخدم مضرب ذباب دون أن تعرف كيف تستخدمه بكافة السبل اللازمة لاحتياجاتها، من ناحية أخرى، لا يمكن أن تتخيل أنه لا يوجد ذباب فى شقق الأثرياء، لا ذباب، ولا هاموش، ولا روائح كريهة أو أسرار عائلية، عند الأثرياء، كل شىء نظيف، ناعم، صحى، وعليه فإن سطوة مضارب الذباب غير موجودة.

هذه هى الظاهراتية: حوار داخلى متفرد، بلا نهاية فى الوعى مع الذات، توحد نقى وقاس لا يهم أى قط بالمرة.

- ٧ -

فى الجنوب المتحد

سألتنى مانويلا التى وصلت، لاهثة، من عند السيدة بروجلى التى جعلها العشاء الذى أعطته إياها هذا المساء مسلولة: ماذا تقرئين؟

منحنى موزع البريد سبع علب كافيار بروسى، وهى تتنفس مثل دارك فادور بطل فيلم "حرب النجوم(*)".

قلت: مختارات من الشعر الفلكلورى.

ثم أعدت إغلاق ملف هوسرل للأبد.

اليوم، مانويلا عالية المزاج، أراها جيدًا، قامت ببشاشة بفك سلة طيور صغيرة مرصعة بالتيجان البيضاء، تم طهوها، جالسة، ناعمة، بشكل معتنى به ومفرش الطبق فى يدها.

(*) دارك فادور هو البطل الشرير فى الثلاثية الأولى من سلسلة أفلام «حرب النجوم»، وهو رجل مقنع ينتمى إلى المستقبل يحارب الأميرة ليا، وبطليها، ويحاول السيطرة على الكون.

وضعت الفناجين، وجلست بدورى وانتظرت، بدأت:

– السيدة بروجلى لديها ظروف غير موفقة.

قلت بأدب: آه. حسنًا؟

أكملت بشكل سيئ وكأن الفشل سبب لها إهانة شخصية وعظمى: انها لا تشم أبدًا.

نحن نرجع هذه المعلومات إلى قيمتها الحقيقية، أحسست بمتعة أن أتخيل برناديت دو بروجلى فى مطبخها، تائهة، مشتتة، ومتبخرة فوق كل ما هو عدا استخلاص عصير الفطر والقواقع الصفراء وسط أمل ساخر مجنون، سوف تفوح رائحة شىء ما يمكنه غزو الغابة.

أكملت مانويلا: تبول نبتون فوق ساقى السيد سان تيمس، الحيوان المسكين يتعلق بها طوال ساعات، وعندما خرج السيد وتركه، لم تتمكن من الانتظار، عملها عند الباب على أسفل بنطلونه.

نبتون هو كلب الصيد الخاص بصاحب الدور الثالث يمين، الثانى والثالث هما فقط الدوران المقسمان إلى شقتين "من مائتى متر مربع لكل منهما"، فى الأول يسكن آل بروجلى، وفى الرابع آل آرتين، وفى الخامس آل جوس، وفى السادس أسرة باللير، وفى الثانى هناك أسرة كلوريس وآل روزن، والثالث هناك آل سان نيس، وأسرة بدواز، ونبتون هو كلب آل بداوز

وبشكل خاص الآنسة بداوز، التى تدرس فى الحقوق فى جامعة «أساس» (*) وتنظم السباقات مع ملاك آخرين للعبة الكوكرز، التى تمارس القانون فى الجامعة.

أكن مشاعر رقيقة إلى نبتون، نحن نتبادل "التقدير" كثيراً، بلا شك بفضل التقارب المولود من المشاعر التى تتجه كل منهما إلى الآخر بسرعة، أحس نبتون أننى أحبه، رغباته المتنوعة تبدو لى شفافة، تذوق العمل يرتبط بالواقع الذى يعيش فيه، أن يكون كلباً عندما تريد سيدته أن تجعله مهذباً، عندما يخرج فى الفناء، فى الطرقة، فى البداية، عليه التخلص من الجلد الوحشى، ينظر بكل اشتهاء إلى بركة المياه المعكرة التى تقبع هناك، تسحبه سيدته برباط جامد بعبودية، فيبدو كأنه معلق بخلفية قطار، دون المزيد من الاحتفالية يلعق بنفس الطريقة، لاتينا السخيفة من أسرة موريس تظهر لسانها مثل داعرة وهى تزفر نحو الأمام، الرأس مملوءة بالتهيج العضوى، إنه شىء غريب لدى كلاب الصيد، عندما يكون مزاجهم طيباً، فإن الطريقة المترنحة التى يتقدمون بها، كأنه سوف يرقد أسفل حوافره زنبرك صغير يدفعه إلى أعلى - لكن برقة، ودون اهتزاز مما يحرك الحوافر والآذان، مثل محركات السفينة، كل الصيد أشبه بسفينة صغيرة، تمخر فوق الأرض الصلبة. وهو يجلب فى مشيته إحساساً بأنه كائن بحرى ملىء بالشهوة.

(*) أساس Assas اسم جامعة باريسية، وقد سميت بذلك لقربها من القصر الشهير أساس.

نبتون، أخيراً هو أكول ضخم، مستعد لأى شىء من أجل الحصول على قطعة لفت، وكسرة خبز بائت.

عندما تمر سيدته أمام صندوق الزبالة فإنه يتحرك كالمجنون نحو الزبالة، وهو يلعق لسانه وذيله المنطلق، أما ديان بادواز، فإن الأمر يعنى، بالنسبة إليها اليأس، فى هذه الروح المميزة. يبدو أن الكلب قد اضطر أن يكون مثل مقتنيات المجتمعات الراقية للسافانا، فى اتجاه الجنوب قبل الحرب، حيث لا يستطيع أن يجد زوجة إلا إذا تكاسل وتظاهر أنه بلا رغبة.

فى مكان كهذا، يمارس نبتون جوعه الأمريكى.

يوميات حركة العالم رقم ٢
من بيكون من أجل كلب الصيد

في العمارة، هناك كلبان من نوع الوايب، كلب آل موريس الذي يشبه هيكلاً عظميًا، ببقع الجلد البيج، وكلب صيد نبيذى يخص ديان بادواز، ابنة المحامى البالغة الارتجاف، شقراء فاقدة الشهية، ترى بوربرى متكتمة، هذا النوع من الكلاب يسمى اتينا، وكلب الصيد يسمى نبتون، فقط في حالة أنك لن تفهم فى أى نوع من المساكن أقيم، ليس لدينا كيكى أو انيتا فى دارنا. حسنًا بالأمس، فى القاعة، التقى الكلبان وكانت أمامى الفرصة أن أحضر حفل باليه مهم. مررت بالكلبين اللذين راحا يهزان المؤخرة، لم أكن أعرف أن نبتون يعانى من مساواته بالآخر، لكن أنيتا عقد ذيله للخلف وبدا كأنه يهز باقة ورد فيها توجد عصارة ضخمة دامية.

لا، ما كان أكثر أهمية، هو الطراز البشرى لهذين الشخصين، لأنه فى المدينة تتبع الكلاب السيد، ورغم

أن شخصًا لا يبدو أنه فهم واقعة أن يكون مربوطًا من كلب بشكل تطوعى عليه أن يتنزه مرتين يومياً، مهما كانت تمطر، أو شديدة الرياح، أو تسقط الجليد، لقد اعتادت أن تكون نفسها، تلف الطوق حول الرقبة، باختصار، ديان بادواز، وآن هيلين موريس على المنوال نفسه طوال عشرين عاما، تتقابلان فى المدخل كل منهما تمسك بلجام، فى هذه الحالة يبدو كل شىء أشبه بغلطة لفظية! ترتبكان إذا كانت لديهما أشياء فى الأيدى، تتبادلان التحية، لا تستطيعان فعل الشىء الوحيد الفعال فى هذه الحالة:التعرف على ما يدور من أجل القدرة على منعه، لكن لأنهما على قناعة أنهما تنزهان كلبين شنيعين مميزين دون أية غريزة جنسية، لا يمكنهما الصراخ لكلابهما للتوقف عن هز المؤخرة أو لعق الأعضاء.

هذا ما يحدث: تخرج ديان بادواز من المصعد مع نبتون، تنظر آن هيلين موريس أمامها مع آتينا، تطلقان كلبيهما الواحد على الآخر، وبالطبع، ليس هذا أمرًا سيئاً، يصيب الجنون نبتون، تخرج الجدة من المصعد وقد وضعت كمامتها عند مؤخرة اتينا، لا يحدث هذا كل يوم، كولومب تبللنا منذ أعوام مع الكايروس، مصطلح يونانى يعنى بالتقريب "لحظة مناسبة" هذا الشىء مثلما كان نابليون يعرف كيف يتماسك، فإن أختى بالتأكيد متخصصة فى الاستراتيجية العسكرية، حسناً، فإن كايروس، هو هذه اللحظة، فرغم أننى أستطيع القول إن نبتون، لديه "لحظته" المليئة أمام

الكمامة، وهو ليس مراوغًا، فإنه يمارس تشرده بأسلوب تقليدى، يمتطيه: "يا إلهى.. كما تقول آن هيلين موريس وكأنها هى ضحية الإهانة "أوه. لا"!، كما تهتف ديان بادواز، كأن العار قد وقع عليها، أراهن أن ديان لا يهمها أن يصعد كلبها إلى مؤخرة اتينا، تبدأ كل منهما فى الوقت نفسه بسحب كلبها من أطراف الكلابات، لكن هناك مشكلة واحدة، إن هذا يكسب المكان حركة مدهشة.

فى الحقيقة، فإن ديان عليها أن تنسحب إلى أعلى، والثانية إلى أسفل، وقد انفصل الكلبان، لكن بدلا من هذا، فإنهما تغادران جانبياً، ولأن المكان أمام المصعد، فإنهما يصلان إلى طريق مسدود، أحداهما أمام باب المصعد، والثانية عند الحائط الأيسر، وفجأة يبدو نبتون غير ثابت عند أول جذبة، يستعيد نفساً مجددًا، ويرتب نفسه كأجمل ما يكون أمام اتينا التى تدور عيناها وهى تنبح، فى هذه اللحظة تغير الآدميتان الاستراتيجية وتحاول كل منهما أن تسحب كلبها نحو مكان أكثر اتساعاً كى يمكن عمل مناورة أكثر روعة.

وبكل عنف، تصرخان معًا "يا إلهى يا إلهى"، وهما تسحبان الكلابات كأن فضيلة كل منهما تغتصب، لكن سرعان ما تترك ديان بادواز بخفة هذه الحركة المدهشة: يبرز الوتد الملتوى نحو الأمام وفى الوقت نفسه، فإن الجسد ينتصب فى الاتجاه نفسه، عدا ذيلها الحصانى الذى يصبح جزءًا من الآخر.

أؤكد لكم أن هذا أمر رائع، يقال إن هذا كلب من نوع بيكون، مم يؤكد أن هناك بيكون موجودًا فى دورة المياه، إنه نوع معذب وليس شهياً. أفكر دوما أن هذا ربما يترك أثره على صفاء الأحداث، لكن حسنًا، كل العالم هو دورات مياه، إذًا فأنا لم أشك قط، لكن عندما تفككت مفاصل ديان بادواز وهى تستخدم ذراعيها، ورأسها ذات الزوايا الغريبة، ذلك الجسد المتوج بذيل الحصان بشكل أفقى، جعلنى أفكر بسرعة فى بيكون. أثناء لحظة قصيرة جداً، انسالت مياهه بشكل متقطع مما ترك نشازاً جسمانيًا ضخماً وأثناء بضعة أجزاء من الثانية، لأن هذا حدث بسرعة جداً، لكن لأننى منتبهة الآن إلى حركات الأجسام، مقدرة كيف تتباطأ ديان بادواز وهى تتوحد فى شخصية بيكون، من هناك ليخبرنى أن هذا الشخص فى دورة المياه، طوال كل هذه السنوات فقط من أجل أن يسمح لى أن أدرك هذه الحركة الغريبة، وبعد خطوة واحدة، سقطت ديان على الكلبين، بينما انطلقت اتينا، تكاد تحطم الأرض، نحو نبتون الذى يتبعها على السجية أرادت آن هيلين أن تحمل ديان، وهى تمسك كلبها على مسافة من وحش داعر، بدا نبتون، غير عابئ، تماماً بصرخات وآلام سيدته التى ظلت تجره فى اتجاه العصا الوردية، لكن فى هذه اللحظة، خرجت السيدة ميشيل من مسكنها، بينما أمسكت الكلب نبتون، وأخذته بعيداً.

أصابت المسكين خيبة أمل، جلس، وبدأ فى لعق نفسه وهو يلهث كثيراً، مما أضاف يأساً إلى المسكينة

ديان، نادت ميشيل على الكلب السامو، لأن وتده بدأ فى التجمع على شكل بطيخة، ثم صحبت نبتون إلى دارها بينما ظلت آن ـ هيلين موريس مع ديان، أما أنا فعدت إلى مسكنى وأنا أقول لنفسى: حسنًا، إنه بيكون حقيقى، هل يساوى ما يعانيه من الألم؟

قررت "لا" لأن نبتون لن ينال قدراً من التدليل، بل ما هو أكثر من هذا، فهو لم يحصل على نزهته.

- ٨ -

نبي الصفوة الحديثة

فى هذا الصباح، وأنا أسمع راديو فرانس انتير(*)، فوجئت باكتشاف أننى لم أكن من كنت أعتقدها، كنت أتصور أننى أنتمى إلى وضعى فى التثقيف الذاتى، بروليتاريا لأسباب تتعلق بصفوتى الثقافية، لوجودى المطلق فى ممارسة القراءة، ومشاهدة الأفلام وسماع الموسيقى، لكن هذا الهوس فى استيعاب الأشياء الثقافية بدا لى كأننى أعانى من خطأ التذوق الأكبر، وهو الخليط القبيح بين الأعمال العظيمة وأعمال أقل قيمة بكثير.

هذا بلا شك فى مجال القراءة التى كانت صفوتى هى الأقل قيمة، رغم تنوع المصالح البالغ التطرف، لقد قرأت كتب التاريخ، والفلسفة، والاقتصاد السياسى، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم أصول التربية، والتحليل النفسى، وبالتأكيد وقبل

(*) فرانس أنتير: محطة إذاعة فرنسية، تهتم بالثقافة فى المقام الأول، وقد أعدت محطة البرنامج الثانى فى مصر على غرارها.

كل ذلك الأدب، الأوائل أثارت اهتمامى، أما الأدب فهو كل حياتى، قطى ليو سمى هذا بسبب تولستوى، القط الأسبق عليه كان يسمى كارنينا [١]، بسبب "آنا"، ولم أكن أناديه إلا بكاريه، خشية ألا ينزعوا عنى قناعى، هورمى الخاتن الستاندالى،[٢] توجه ذوقى بشكل محدد إلى روسيا قبل عام ١٩١٠، لقد تخلصت بجزء بالغ الثراء من الأدب العالمى الذى يأخذ فى الحسبان أننى ابنة الريف حيث آمال المهنة، قد تم تجاوزها ووصلت إلى البوابة فى ٧ شارع جرنيل، مما يجعلنا نستطيع أن نعتقد أن بعض المصائر مخصصة إلى العبادة الأبدية لباربرا كارتلاند[٣].

كانت لدى نظرة متدنية بالنسبة إلى الروايات البوليسية، لكننى أمسكت بهؤلاء الذين قرأتهم فى اسمى درجات الأدب، كان من الصعب علىّ بشكل عام، فى بعض الأيام، أن أقتلع نصوص كوناللى، أو ماتكل [٤]، كى أرد على جرس برنار جرلييه أو سابين باللير، حيث إن انشغالى ليس متوافقًا مع أوقات هارى بوش، الشرطى الذى يهوى موسيقى الجاز، خاصة عندما يسألنى:

---

(١) آنا كارنينا: رواية للأديب ليوتولستوى، نشرت عام ١٨٧٨م، حول زوجة شابة تقع فى غرام مخادع، يجعلها تهجر أسرتها من أجله.

(٢) ستاندال: Stendhal (١٧٨٣ ـ ١٨٤٢م) أديب فرنسى بين رواياته الأحمر والأسود (١٨٣٠ ووقائع إيطالية» ١٨٣٢م.

(٣) باربرا كارتلاند (١٩٠١ ـ ٢٠٠٠م) روائية أمريكية كتبت العشرات من الروايات العاطفية المعروفة باسم الروايات الوردية.

(٤) كوناللى وماتكل من أشهر كتَّاب الرواية البوليسية البريطانية المعاصرة.

لماذا تنبعث روائح عفنة دائماً فى الفناء؟

ولأن برنار جرليه هو الوريث لأسرة قديمة بنكية يمكنها أن تهتم بنفس الأشياء المبتذلة، ويجهلون تباعاً استخدام الضمير الشخصى ما قبل الفعل فى صيغة الاستفهام التى تتطلب أن تلقى على الإنسانية ضياء جديدة.

فى العروض السينمائية - على العكس - ينشرح اصطفائى، أحب أفلام المغامرات الأمريكية، وأفلام سينما المخرج، فى الواقع لقد استهلكت بشكل مفضل، سينما التحذير الأمريكية أو الإنجليزية باستثناء بعض الأعمال الجادة التى أعتبرها فى عينى جمالية، العين عاطفية وحساسة ليست لديها معاشرة سوى مع التحذير، مثل أعمال جرينوى[1] التى تثير فى داخلى إعجابًا، وأهمية، وتثاؤبًا، بينما أبكى مثل حلوى إسفنجية فى كل مرة، التى فيها تصعد ميلى وأمى سلم بطلر بعد وفاة ابنته بونى بلو فى "ذهب مع الريح"[2] أو أرى "الشفرة المنزلقة"[3] باعتباره أفضل الأفلام حول انحراف فى سلم الأنغام، ولفترة طويلة،

(١) بيترجرينوى: مخرج بريطانى (١٩٤٢) من أشهر أعماله «بطة المهندس المعمارى» عام ١٩٨٧، و «كتاب الوسادة».. عام ١٩٩٦، و«مراقبة الليل» عام ٢٠٠٦.

(٢) ريت بطلر: هو بطل رواية ذهب مع الريح.. للكاتبة مرجريت ميتشيل، منشورة عام ١٩٣٦م حول الحرب الأهلية الأمريكية.

(٣) Blad Runer: فيلم أمريكى من أفلام الخيال العلمى إخراج ريدلى سكوت، وبطولة هاريسون فورد، عام ١٩٨٢، ويدور حول ثورة الآلات عام ٢٠٠٩م.

كنت أعتبر نفسى كشخصية قدرية، أن الفن السابع جميل، قوى، ومخدر، وأن سينما التحذير تافهة، وغير ممتعة، وتقلب الأوضاع.

خذ على سبيل المثال، اليوم، فإننى أخصب صبرى بفكرة أقدمها إلى نفسى، إنها ثمرة من نسخ مريضة، إشباع طويل يؤجل الرغبة فى رؤية فيلم شاهدته لأول مرة فى عيد الميلاد عام ١٩٨٩م.

ـ ٩ ـ

اكتوبر أحمر

فى عيد الميلاد عام ١٩٨٩م، كان لوسيان مريضًا، لم نكن نعرف أن الموت سوف يحل علينا، كنا قد ارتبطنا بيقين وجوده، ارتبطنا بأنفسنا، كل واحد متوحد بالآخر. يجمعنا رباط خفى، عندما دخل المرض فى حجره، تسلل داخل جسد ونسج بين القلوب نسيجًا قاتمًا أذل الأمل فينا، مثل خيط رفيع يلف حول مشاريعنا وأنفاسنا، راح المرض، يلتهم حياتنا، ذات يوم عندما عدت من الخارج، أحسست أننى أدخل كهفا، وأننى بردانة طيلة الوقت، برد لا يتحقق مهما كان، فى الأيام الأخيرة، عندما نمت إلى جوار لوسيان، بدا لى أن جسده يشع كل حرارتى التى أبثها فى كل مكان.

بدأت علامات المرض فى ربيع ١٩٨٨م ، واستفحل طوال سبعة عشر شهرًا، حتى بلغنا أمسية

عيد الميلاد، قام بعمل لصالح العجوز السيدة موريس، قريبًا من مسكنها فى الفندق، نقلوه إلى مسكنى، وقد أحيط بالزهور، ملفوفًا بشريط ليست عليه أية علامة، جاءت وحدها لحضور مراسيم العزاء، إنها امرأة حادة، باردة، وقوية، لكنها كانت لها طريقتها الجادة، وبعض الدهشة، فى شىء من الإخلاص، وعندما ماتت، بعد عام من رحيل لوسيان، فكرت فى أنها كانت امرأة خيرة، وأننى افتقدتها رغم أننا لم نتبادل أية كلمات طوال خمسة عشر عامًا.

لقد أفسدت حياة زوجة ابنها حتى آخر لحظة، السلام فى روحها، كانت امرأة ملاكاً، مثلما أضافت مانويلا، وهى تتحدث إلى السيدة مدام موريس، بحقد ساخر، وهى تحضر جنازتها.

وبعيدًا عن كورنيليا موريس، فإن زهور البنفسج، ومرض لوسيان لم تبد لأحد كشىء يلفت الانتباه، بالنسبة إلى الأغنياء، يبدو أن حياة الصغار سهلة، مليئة بأكسجين المال والأعمال والإحساس بالمشاعر الإنسانية بشكل مكثف، مع الكثير من الاختلاف طالما أننا نحن البوابات، يبدو أن الموت كان بالنسبة إلينا حادثًا عابرًا مثل ارتداء الملابس السوداء، لقد انطفأت حياة بواب، إنه أمر بسيط فى مسيرة الحياة اليومية، يقين حياتى لا يسهم فى أية مأساة، أما بالنسبة إلى أصحاب العقارات الذين يقابلونه كل يوم فوق السلم، وعلى عتبة مسكنه، فإن لوسيان كان غير موجود.

لذا، فهو يعود إلى العدم طالما أنه عاش نصف حياة، بدون أهمية، وقد صار فى لحظة الموت ما يؤكد أنه ليس سوى نصف متمرد، لكن مثل كل شخص، يمكننا أن نطيل من عمر الجحيم، وأن القلب يختنق من الغضب، وأن المعاناة توسع وجودنا، وتنتهى أن تتشكل فى داخلنا، فى عاصفة الخوف، والرعب الذى يوحى به الموت إلى كل شخص، وهو شىء لا يزهر روح أى شخص فى هذه الأماكن.

ذات صباح، قبل ثلاثة أسابيع من عيد الميلاد، عدت من جولتى مع سلتى المليئة بالمشتروات وأطعمة القط، وجدت لوسيان مرتديا ملابسه، ومتأهباً للخروج، ربط شاله حول عنقه ووقف ينتظرنى، عبرت الغرفة إلى المطبخ، وأفرغت كل محتوياتها وقد علانى الشحوب، بعد أسبوع لم يكن فى مقدوره أن يخلع البيجامة التى بدت لى نفس ملبسه، اكتشفت عينيه اللامعتين والسوقيتين، ياقة معطفه الشتوى تكاد تصل إلى خديه الموردين بشكل غريب، ينقصها أن تصيبنى بخيبة أمل.

هتفت: لوسيان!.

أسرعت نحوه كى أساعده فى الجلوس، وأنزع عنه ملابسه، هذا المرض علمنى أشياء مجنونة، وفى الأوقات الأخيرة أصبحت هى الوحيدة التى أعرف كيف أفعلها، وضعت سلتى، ضممته إلى، ثم حملته فى كل هذه الأشياء، ثم بنفس لاهث، وبقلب ومشاعر غريبة، من الانبساط.. توقفت، قال لى لوسيان:

- حان الوقت، الاجتماع أمامه ساعة.

فى حرارة القاعة، أكاد أن أبكى، سعيدة مثلما لم يحدث لى من قبل، أمسكت يده الدافئة، لأول مرة منذ عدة أشهر، كنت أعرف أن فيضًا من النور المنبعث من الطاقة قد دب فيه من سريره، ومنحته قوة أن يرتدى ملابسه، إنه التعطش إلى الخروج، الرغبة التى نتشاركها مرة واحدة، هى المتعة الزوجية، وأعرف أيضاً أن هذه هى العلامة التى استمرت بعض الوقت، حالة امتنان تسبق النهاية، لكن هذا لم يشدنى أردت فقط أن أنتهز هذا، هذه اللحظات السرية فى نير المرض. ويده الدافئة فى يدى، وانبعاث السعادة التى سرت فينا نحن ـ الاثنين ـ هذه السعادة القادمة من السماء، إنها فيلم يمكننا أن نشارك رؤيته معاً.

أعتقد أنه قد مات بعد ذلك مباشرة، قاوم جسده ثلاثة أسابيع أيضاً، لكن روحه كانت قد أفلتت فى نهاية الاجتماع، كان يعرف أن هذا أفضل؛ لأنه قام بوداعى فى القاعة المظلمة، دون ندم مؤثر. هكذا وجد السلام، ذات صباح فيما كنا قد قلناه، والكلمات تمر بنا، ونحن ننظر إلى موسيقى من الشاشة المضاءة، حيث تحكى حكاية.

لقد قبلتها.

مطاردة أكتوبر الأحمر، كان فيلم عناقنا الأخير، من أجل من يريد أن يفهم فن النص، ليس علينا سوى أن نراه، تساءلنا لماذا اتجه العالم إلى تعليم مبادئ الحكى والإيماءات، وعروض أخرى بدلا من أن نجلس

فى صالة عرض. بواكير، دسائس، تمثيل، تغيرات مفاجئة، مهام، أبطال ومساعدون آخرون: يكفيك أن ترى شون كونرى فى رداء قائد غواصة روسى وبعض حاملات الطائرات فى أماكنها.

تمتمت "أوه".. لقد تعلمت هذا الصباح من إذاعة فرانس انتير أن العدوى التى تجذبنى للثقافة القانونية من خلال ميول أخرى للثقافة غير القانونية لا تتضمن النزوح من أصل وضيع، وأن مدخلى الوحيد لأضواء الأمل، تتضح فى سمات معاصرة للطبقات الفكرية السائدة، كيف لى أن أعرف، من فم عالم اجتماع، إننى سوف أحب أن أعرف بشكل عاطفى أن عليه معرفة أن بوابة فى خف ماركة "شول" جاءت كى تجعل منه أيقونة مقدسة، تلميذ التطور لأفكار العصور القديمة السابح فى تربية عليا من ارتفاع وهبوط، وأقطاب التأليف حيث تدخل الحدود إلى الثقافة الحقيقية أو المزيفة، وتختلط معًا بشكل نهائى، إنها نصف شهادة للأدب الكلاسيكى الذى كان فيما سبق يسمع باخ [١]، ويقرأ موريااك[٢]، ويشاهد أفلام الفن والتجربة[٣]، وهو أيضاً يسمع اليوم

(١) يوهان سباستيان باخ: (١٦٥٨ م - ١٧٥١م)، موسيقار ألمانى، يعتبر أحد عباقرة الموسيقى الكلاسيكية ألف جميع أنواع الصيغ الموسيقية عدا الأوبرا.

(٢) فرانسوا موريااك (١٨٨٥ - ١٩٧٠م) روائى فرنسى. حصل على جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٥٣ من رواياته «عقدة الأفعى».

(٣) الفن والتجربة: مدرسة سينما فرنسية، أنتجت العديد من الأفلام المستقلة، بدأت فى السبعينيات من أشهر مخرجها جاك ريقيت، وسميت أيضا بسينما المؤلف.

هاندل[1]، أو م.س سولار[2]، ويقرأ فلوبير، وجون لوكاريه،[3] ويذهب لرؤية فيلم فيسكونى[4] أو الجزء الأخير من "مت بصعوبة" Die Hard[5]، ويأكل الهمبورجر، وفى الظهيرة والأطعمة اليابانية عند المساء.

إنه من المتعب جداً أن نكتشف عادات اجتماعية سائدة، فيها نعتقد أن لدينا علامات التفرد، عادات متعبة وربما مغيظة، أما أنا، رينيه، فى الرابعة والخمسين من العمر، بوابة ثقفت نفسى بنفسى، أكون، حسب انحباسى فى مسكنى المؤكد، أحب العزلة التى تحمينى من الاحتكاك بالآخرين، حسب هذه الكميات الهائلة من الجهل بتطورات العالم الواسع مما يدور حولنا، التى غصت فيها، أنا، رينيه شاهدة على التحولات نفسها التى تحرك الصفوات المعاصرة. تتكون من صغار آل بالير من الذين يقرءون ماركس، ويذهبون معًا لمشاهدة فيلم

---

(١) هانول (١٦٨٥ ـ ١٧٥٩م) موسيقار بريطانى من أصل ايرلندى، تحيز بأعماله فى فن الأوراتوريو، وله أسلوبه فى التأليف.

(٢) م. س سولار M.cSolaar (١٩٦٩م) مطرب فرنسى من أصل سنغالى، اشتهر باغنياته فى مجال الراب.

(٣) جون لوكاريه (١٩٣١) كاتب بريطانى تخصص فى روايات التجسس ومن أهم أعماله «الطبالة الصغيرة»، «الجاسوس الذى أتى من الصقيع».

(٤) فيسكونى (١٩٠٦ ـ ١٩٧٦م) مخرج إيطالى فى الخمسينيات والستينيات، اهتم بالأدب، ومن أهم أعماله «روكو وإخوته» و«الفهد» و «الموت فى فينسيا».

(٥) Die haid سلسلة من أفلام المغامرات الأمريكية تدور فى المدن الكبرى قام ببطولتها بروس ويليس فى التسعينيات.

"الجهنمى"[1]، وأيضاً صغار أسرة بادواز الذين يمارسون حقوقهم وهم ينتحبون عند مشاهدة فيلم "نتينج هيل[2]. هى صدمة أكاد أن أسلم نفسى إليها، لأنه يبدو بوضوح شديد، بالنسبة لما يشد الانتباه إلى التسلسل التاريخى أننى لا أوقع هؤلاء الفتية، ولكن فى ممارساتى الانتقامية، فإننى أتقدمهم.

رينيه، تمثل الصفوة المعاصرة.

قلت لنفسى وأنا أخرج من سلتى شريحة كبدة العجل للقط: حسناً، حسناً، لم لا.

ثم وأنا أنبش عن لفافة، فى كيس بلاستيكى، قطعتين صغيرتين من اللحم الأحمر، ثم أتركها تتملح، كى تنضجا فى عصير الليمون المنقوع فى الكزبرة وهكذا تتخلق الأشياء.

---

(١) الجهنمى: Terminator سلسلة أفلام قام ببطولة ثلاثة منهم أرنولد شوارزنجر، حول ثورة إلكترونية تدور فى المستقبل حول إرسال قاتل ليقتل أم بطل الثورة قبل بولد ويكبر عام ١٩٨٣.

(٢) نتينج هيل: اسم حى فى لندن، واسم الفيلم البريطانى الشهير بطولة جوليا روبرتس عام ٢٠٠٢ حول علاقة بين نجمة مشهورة، وأمين مكتبة.



فكرة عميقة رقم ٤

اعتن

بالنباتات

بالأطفال

هناك مديرة منزل، تأتى إلى هنا، ثلاث ساعات يومياً، من أجل النباتات، إنها أمى التى تنشغل بها، إنه سيرك عجيب، لديها رشاشان للسقى، واحد للماء الممزوج بالسماد، وواحد للماء بدون كالسيوم، ومضخة لها العديد من الإمكانات من أجل تحقيق "الأهداف" فى المطر أو "ضبابيات". فى كل صباح تمر أمام عشرين نباتًا أخضر فى الشقة وتتعامل معها بخبرتها، وهى تهمهم أمام كثير من الأشياء، مختلفة تماماً عن باقى العالم، يمكنكم أن تقولوا "لا يهم" إلى أمى وهى منشغلة بنباتاتها، فهى لا تعير أى انتباه، على سبيل المثال: "اتعمد أن أتخدر اليوم وأن أتناول جرعة"، تحصل على إجابة "النخيل الأسترالى يصيبه اصفرار

من أطراف الأوراق، والكثير من الماء ليس أمرًا طيبًا بالنسبة إليها".

وهكذا، يمكن أن تمسك أول نموذج: إذا أردت أن تفسد حياتك بقوة عليك أن تتفق مع ما يقوله الآخر، انشغل بنباتاتك الخضراء، لكن هذا لن يتوقف، عندما تسكب أمى الماء فوق أوراق النبات، أرى الأمل يحركها، فهى تعتقد أنه نوع من صمغ البلسم الذى سوف يتغلغل فى النبات، ويجلب له كل ما هو بحاجة إلى النجاح، مشاية بالنسبة إلى السماء التى تضعه فى عبوات صغيرة فى الأرض، فى الحقيقة فى مزيج الأرض -أرضى ـ رمل التى تصنفه بشكل خاص لكل نبات فى حديقة باب آل أوتى، إذًا، فأمى تغذى نباتاتها مثلما تغذى أطفالها، "الماء والسماد للنخيل الأسترالى، والفاصوليا الخضراء، وفيتامين ج لنا، هذا هو جوهر الأمر، ركز فى الموضوع، أحضر له العناصر الغذائية التى تسرى من الخارج نحو الداخل، وهى تتفاعل فى الداخل، فتجعله يكبر ويصير أفضل، لمسة فوق الأوراق بنبات تعنى مواجهة الوجود. تنظر إليه بمزيج من القلق والأمل، واعية لهشاشة الحياة، وقلق الحوادث التى يمكن أن تحدث، لكن فى الوقت نفسه، هناك رضاء لكل ما يحدث، أن تلعب دورها كمرضعة، تحس بالاطمئنان وأنهما فى مأمن بالنسبة إلى الوقت، وهكذا ترى أمى الحياة، تتابع مشاهدها التآمرية، وأيضاً غير المؤثرة .

هذا أفضل دائماً لو تقاسمنا أمانينا معًا، ولو وضعنا مجموعة فى الداخل من أنفسنا لنقول إن الفاصوليا الخضراء وفيتامين ج، لو قاما بتغذية الحيوان، فلن ينقذا الحياة، ولن يغذيا الروح.

ـ ١٠ ـ

قط اسمه جرفيس

دق شابرو باب مسكنى

شابرو هو الطبيب الشخصى لبيير آرتين، هو رجل عجوز وسيم برنزى تماماً، يتموج أمام السيد مثل دود الأرض، طوال عشرين عامًا لم يقم بتحيتى، ولا يبدى أية إشارة عندما أظهر أمامه، تجربة ظاهراتية مهمة، تشتمل على السؤال بعمق فى عدم ظهور الوعى لبعض ما يبدو من وعى الآخرين، فصورتى يمكنها أن تنطبع بالتتابع فى جمجمة نبتون وتشكل انطباعًا مزيفاً إلى شابرو الذى يبدو خلابًا.

فى هذا الصباح، اكتسى شابرو بصبغة برنزية، وجنتاه متورمتان، اليد مرتجفة، والأنف.. مبلل، نعم، مبلل، شابرو طبيب الأغنياء لديه أنف ينزف، فضلاً عن أنه ينطق اسمى.

ـ السيدة ميشيل.

لا يخرج هذا أبدًا من شابرو، لكن من مخلوق فضائى متحول يعمل فى مجال خدمة المعلومات، لأن شابرو الحقيقى لا يفتقد روح المعلومات التى تتعلق بتوابع ذوات محددات.

كرر الشكل المستشار لشابرو: السيدة ميشيل، السيدة ميشيل حسنًا، لقد عرفنا، فأنا اسمى السيدة ميشيل.

استكمل الأنف المتهدل، الذى يبدو أحمر لكثرة شخير التمخط: حدث أمر بشع.

إذًا فهو ينخر بصوت مسموع، عاكساً اللون المنقوص الذى لم يأت أبداً، بينما أنا مصدومة من سرعة الحدث، وأنا أرى حركاته العصبية أو تفاحة آدم تتحرك، فيبدو منفرًا، ولكنه بشكل خاص غير مركز.

نظرت يمينًا ويسارًا، المدخل خال، وهذا الـ (*) E.T ، صاحب النوايا العدوانية، لقد ضعت.

استعاد نفسه، وهو يكرر:

– مأساة مروعة، نعم، مأساة مروعة، السيد آرتين يموت.

سألت: يموت، يموت حقيقة؟

(*) E.T: فيلم أمريكى أخرجه ستيفن سبيلبرج عام ١٩٨١م، حول مخلوق بشع الشكل، طيب القلب يأتى من الفضاء، وتستضيفه أسرة، ولكن قوات الأمن تبحث عنه.

– يموت فعلا، يا سيدة ميشيل، يموت بالفعل أمامه ٤٨ ساعة.

قلت مندهشة: لكننى رأيته صباح الأمس، كان يبدو أنيق الملبس.

– آه، يا سيدتى، آه، عندما يلهث القلب، فهذه مقصلة، فى الصباح ينطلق المرء كالجدى، وفى المساء يكون فى القبر.

– هل سيموت فى بيته، أم فى المستشفى؟

قال شابرو وهو ينظر إلىّ بالسحنة نفسها التى تبدو على نبتون عندما يغادر:

– أوووه.. يا سيدة ميشيل، من يريد أن يموت فى المستشفى؟.

لأول مرة، طوال عشرين عاماً، أحسست بمشاعر عاطفية، وحنو ناحية شابرو.

قلت لنفسى إنه إنسان قبل كل شىء، وفى النهاية، فنحن متشابهان.

استكمل شابرو: سيدة ميشيل، أنا مذهول من هذا الإفراط يا سيدة ميشيل. بعد عشرين عامًا من لا شىء الكثير من الناس يريدون رؤية السيد قبل.. قبل.. هو لا يريد أن يرى أحداً، لا يتمنى أن يرى سوى بول. هل يمكنك تهدئة الغاضبين؟

لقد قاموا بإشراكى فى أمرهم، أقول كالعادة، إنهم لا يبدون أية ملاحظة لحضورى إلا لتكليفى

بالعمل، لكن بعد كل شىء، مثلما قلت لنفسى، فأنا هنا لهذا السبب، أدون أن شابرو يتكلم بطريقة ـ تثيرنى ـ هل يمكنك تهدئة الغاضبين ـ أنا خاضعة لقواعد اللعبة.

تساءلت: يجب أن أتذكر قطى جرفيس هذا النوع يزعجنى لكن لسانه فصيح.

أخيرًا من يريد أن يموت فى المستشفى؟ يسأل العجوز الوسيم، لا أحد، لا بيير آرتين، ولا شابرو، ولا أنا، ولا لوسيان، طارحاً هذا السؤال التافه، شابرو يجعلنا جميعاً بشرًا. قلت:

سأبذل ما بوسعى، لكن لا أستطيع أن أتبعهم سوى فوق السلالم وليس أكثر، قال لى: لا، لكن يمكنك مواساتهم، أخبريهم أن السيد أغلق بابه.

ونظر لى فى غرابة.

يجب أن أنتبه أنه انتبه جيدًا.. فى الآونة الأخيرة، حدث حادث للصغير باللير، هذه الطريقة المضحكة التى تعتمد على الأيديولوجية الألمانية، تعكس نصف ذكائه، من محارة، يمكن أن تنفخ فى أذنه، رغم أن هناك أشياء مريكة، لأن هناك شيخاً خرفاً يشرب فى نخب نفسه، ينهار من مظاهر بالية، ويغمى علىّ أمامه، لقد نسيت كل القسوة، أرى فى عينىّ الشرارة التى تتدفق، وآخذ النظرة الحانية لكل البوابين الطيبين الذين يستعدون لبذل أقصى ما بوسعهم لمتابعة الناس حتى السلم، وتلاشى الشكل الغريب لشابرو.

ولمسح كل أثر للتحدى الخاص بى، سيطرت على عيوبى الصغيرة، وسألت:

ـ هل هذا نوع من القرض؟

قال شابرو لى: نعم، هو القرض.

صمت.

قال لى: شكرًا.

أجبته: عفوًا.

وأغلقت الباب.

فكرة عميقة رقم ٥

الحياة

كلها

خدمة عسكرية

أنا فخورة بهذه الفكرة العميقة، إنها كولومب التى أوحت لىّ بالعثور عليها. ستكون مفيدة لى مرة على الأقل فى حياتها، لا أعتقد أننى قادرة أن أقول ذلك قبل أن أموت.

منذ البداية، تدور الحرب بينى وبين كولومب، فالحياة بالنسبة لها، هى معركة دائمة حيث يجب أن تنتصر وهى تدمر الآخرين، هى لا يمكنها أن تحس بالأمان إذا لم تحطم الخصم وتقلل من قوته ومساحته، عالم فيه مكان للآخرين هو عالم خطر حسب معايير المحاربة.

فى الوقت نفسه، فهى فى حاجة إليهم من أجل واجب صغير مهم، يجب أن يعترف أحد بقوتها، إذًا

فهى تريدنى أن أخبرها، والسيف أسفل ذقنى، إنها الأفضل وأنا أحبها، هذا يجعلنى مجنونة مع الأيام مثل الكرز فوق الكعك، من أجل سبب غامض فإن كولومب، التى ليست لديها أوقية واحدة من البصيرة ، قد فهمت أننى أشك أكثر، فى الحياة، إنه الضجيج. أفكر أن هذا اكتشاف توصلت إليه بالمصادفة، ليست فى حاجة قط أن تنتابها الروح الغريزية، التى يمكن لشخص ما أن تجعله فى حاجة إلى الصمت، وأن الصمت يفيد فى التوغل الداخلى، وأنه ضرورى لهؤلاء الذين لا يهتمون سوى بالحياة من الخارج، لا أعتقد أنه يمكنها أن تفهم؛ لأن الداخل فيها هو أيضاً سديمى وملىء بالضجيج أكثر من خارج الشارع، لكن على أية حال، لقد فهمت أننى فى حاجة إلى الصمت، إذًا، فهى طوال النهار، تسبب الضجة وتصدح فى الهاتف، وتضع الموسيقى العالية الإيقاع. هذا يقتلنى تمامًا، تقرقع الأبواب وتغلق بصوت عال على كل ما تفعله، ومن بينها أشياء حساسة مثل تفريش الشعر، والبحث عن قلم فى الدرج، باختصار، ولأنها لا تستطيع قط أن تغزو الآخر، إلا أننى أتبعها بشكل إنسانى دون توقف، فهى تغزو فضائى الصوتى، وتفسد على حياتى من الصباح إلى المساء، لاحظ أنه يجب أن يكون لدىّ مفهوم حول الإرهاب بالغ الفقر كى أصل إليه، أنا أتجه إلى الناحية التى أرغب فى الذهاب إليها دون تراكم فى رأسى، لكن كولومب ليست سعيدة أن تتجاهل الواقع، إنها تحوله إلى

فلسفة: الملعونة هى شخص صغير متعصبة وعصابية تكره الآخرين، وتفضل أن تسكن فى مقبرة، حيث كل العالم ميت - بينما أنا، أنا طبيعة مفتوحة، سعيدة، ومليئة بالحياة.. إذا كان هناك شىء ما أكرهه. فهو عندما يحول الناس ضعفهم أو اتجاههم إلى التعاطف مع كولومب، أنا محظوظة.

لكن كولومب، منذ بضعة أشهر، ليست سعيدة أن تكون الأخت الأكثر رعباً فى العالم، فهى أيضًا سيئة المزاج وهى ترتكب حماقاتها المقلقة. أما أنا فلست فى حاجة قط إلى ذلك، إنها تمارس تطهيرًا عدوانيًا على اختها، وأكثر من هذا، فهى تستعرض مآسيها الصغيرة، منذ بضعة أشهر صارت كولومب مهووسة بشيئين: الأمر، والامتلاك، أمور مناسبة جدًا: من وحوش الزومبى التى كنت أشكلها، أصبحت قذرة، إنها تقضى وقتها وهى تصرخ فىّ لأننى تركت الفضلات فى المطبخ، ولأن هناك شعراً أسفل الدش هذا الصباح، يعنى هذا، أنها لا تنشغل سوى بى، كل العالم مزعج من الصباح حتى المساء لأن هناك عدم نظام وفتات، غرفتها عبارة عن سوق لا تطاق، صارت عيادة، كل شىء مريح، لا توجد ذرة من التراب. الأشياء فى مكان محدد تماما، ويالسوء حظ السيدة جريون إذا لم تمتثل لها وهى تؤدى أعمال المنزل، كأننا فى مستشفى، عند أطراف المدينة لم يعد يزعجنى أن كولومب أصبحت مهووسة تماماً لكن ما لا أتحمله، أنها تستمر فى لعب دور الفتاة غير التقليدية "كوول"،

هناك مشكلة لكن كل العالم يفعل مثلها. استمرت كولومب فى الزعم أنها الوحيدة فيما بيننا التى تتعامل مع الحياة "أبيقورية"(*) أؤكد لكم أنه ليست أبيقورية، فهى تأخذ ثلاثة حمامات يومياً، وتصرخ مثل معتوهة لأن مصباح المخدع قد تحرك ثلاثة سنتيمترات.

ما مشكلة كولومب؟ لا أعرف، ربما قوة إرادة تحطيم العالم كله، لقد تحولت إلى جندى، بمعنى المصطلح، تلعب الكاريه هى تلمع، تنظف، مثل السلاح، الجندى الموسوس بالأوامر والنظافة، إنه أمر معروف. يجب النضال ضد عشوائية المعركة، وقذارة الحرب، وكل أنواع البشر التى تتركها وراءها، لكننى أتساءل إذا كانت كولومب ليست حالة ثائرة، هل نحن لا نحدد كل الحياة مثلما نفعل فى الخدمة العسكرية؟ نحن نفعل ما يمكن أن ننتظره سواء التمرد أو المعركة؟ البعض ينظف الغرف، والبعض الآخر يسحب الفلانكات، ممضياً الوقت وهو يلعب الكوتشينة، مسافرًا، قلقًا، الضباط يأمرون والجنود يطيعون، لكن لا أحد يخدع مهزلة الأماكن المغلقة: ذات صباح عليه أن يذهب ليموت، الضباط كالجنود، المخابيل مثل الماكرين الصغار الذين يمارسون السوق السوداء فى بيع السجائر، أو عند المرور.

وعند المرور، أضع أمامك فرض تحليل القاعدة: كولومب سديمية تمامًا من الداخل، خاوية ومتراكمة

(*) الأبيقورية: تعنى فلسفة المتعة، كما أسسها الفيلسوف ابيكورس (٣٤١ ق.م - ٢٧٠ ق.م).

معاً، تحاول أن تضع الأمر وهى ترتب وتنظف داخلها، مزاح، أليس كذلك؟ لقد استغرق الأمر طويلاً كى أفهم أن المحللين النفسيين هم مضحكون لمن يؤمن بالمسخ، إنها حيلة كبار العقلاء، فى الحقيقة، فهى على باب أول شخص قادم، يجب أن نسمع الحناجر الساخنة التى يمارسها المحللون النفسيون أصدقاء أمى الذين يمارسون لعبة الكلمات، يجب أن نتفق أيضاً أن الأغبياء هم الذين تحضرهم أمى، لأنها تحكى لكل العالم عن جلساتها مع محللها النفسى، وكأنها ذهبت إلى ديزنى لاند: جاذبية "حياة أسرتى"، "قصر من الزجاج" "حياتى مع أمى"، "حياتى بدون أمى"، "مفتاح الرعب"، "حياتى الجنسية" وأنا أخفض صوتى حتى لا أسمع، وحتى أنتهى، فإن ممر الموت "حياتى كامرأة مهووسة".

لكن أنا، ما يخيفنى مع كولومب دائماً هو أن لدىّ الإحساس أنها نكرة، كل ما تشير إليه كولومب، كمشاعر، قد تم العزف عليه تمامًا بشكل مزيف، أتساءل إذا كانت تحس بشىء ما،أثار هذا الخوف فىّ ومرات عديدة ، لعلها شديدة المرض، تبحث بأى ثمن عن الإحساس، وشىء ما أهل للثقة، لعلها ترتكب حماقة.. أرى هنا عناوين الصحف: شارع جرنيل: فتاة شابة تشعل شقة العائلة، سألوها عن أسباب فعلتها، أجابت: أردت أن أجرب شعورًا..

حسنًا، اتفقنا، أنا أبالغ قليلا، ثم أنا فى مكان سيئ كى أتخلى عن هوس الاحتراق، لكن وأنا أنتظر

أستمع إلى صرخات الصباح، لأن هناك وبر القط فوق
معطف أخضر، قلت لنفسى: يا فقيرتى، لقد خسرت
الحرب قبل أن تبدأ، سوف تكونين أفضل لو تعرفين.

ـ ١١ ـ

تدمير ثورة المغول

طرقت برقة على باب مسكنى، إنها مانويلا التى جاءت تقضى إجازتها النهارية، قالت لى دون أن أكون قادرة على تحديد ما اختلطت به من قوة لاستعادة لحن شابرو:

- السيد يموت. هل أنت مشغولة، كى نتناول الشاى الآن؟

هذه الوقاحة فى توافق الأزمنة، هذا الاستخدام لفعل الشرط فى صياغة نفى دون تصريف الفعل. هذه الحرية التى مارستها مانويلا مع علم النحو؛ لأنها ليست برتغالية فقيرة مضادة للغة المنفى. لديهم نفس رائحة إعفاء التشكيلات التى يتحكم فيها شابرو.

قالت وهى تجلس، وتحرك رموشها: قابلت لورا عند السلم، كانت تمسك بالدرابزين وكأنها ترغب فى التبول، وعندما رأتنى ذهبت.

لورا هى الابنة الصغرى لعائلة آرتين، فتاة لطيفة. عند الزيارات تبدو متوترة قليلا. أما كليمانص الكبرى، فهى حالة من التقمص المؤلم المسبب للإحباط، متعصبة ومتخصصة فى إصابة الزوج والأطفال بالملل حتى فى نهاية أيام القداس، والأعياد الدينية، والابتهال على طرف الصليب، أما بالنسبة إلى جان، فإن بنجامين هو مدمن يتنزه فوق الأطلال، طفل، غلام جميل، ذو عينين ساحرتين، يعدو دائمًا خلف أبيه، وكأن حياته معتمدة عليه، لكنه عندما يبدأ فى تعاطى المخدرات فإن التغيير يتضح عليه. يتوقف عن الحركة. وبعد طفولة استهلكت فى الجرى بدون جدوى وراء العقيدة، صارت حركاته مثل شخص مشوش بدل موقعه بالتتابع، يتوقف فوق السلم، أمام المصعد، وفى الفناء، ينغمس أكثر فأكثر، حتى ينام أحياناً فى حصيرتى، أو أمام مخزن المخلفات، ذات يوم وقف يتأمل أمام أصيص من شاى الورد، الكاميليا الصغيرة، سألته إذا كان فى حاجة إلى المساعدة لم أفكر أنه يشبه نبتون، مع هذا الشعر المضفر الذى لا يعتنى به كثيراً، تركه يطول عبر الزمن، وعيناه المدمعتان فوق أنف مبللة، مرتجفة.

أجابنى وهو يؤكد على وقفته الخاصة التى تعكس ما يعتريه:

- أوه.. لا.

ألححت عليه: ألا تريد أن تجلس على الأقل؟

كرر مندهشاً: أجلس، هه. لماذا؟

قلت: كى تستريح قليلاً.

قال بنبرة لاذعة: آه.. أنت، حسناً، هه.. هه.

تركته فى صحبة الكاميليا، راقبته من النافذة، وخلال لحظة بالغة الطول، نزع نفسه من تأمله للزهور، وبلغ مسكنى بسرعة، فتحت قبل أن يبدأ فى القرع.

قال دون أن يرانى: سوف أتحرك قليلاً.

كانت أذناه الناعمتان معقدتين قليلاً أمام عينيه، ثم، بتمن مجهود محدد: هذه الزهور.. ما اسمها؟

سألت، مبغوتة: الكاميليا؟

كرر ببطء: كاميليا.. كاميليا، حسنًا شكرًا ياسيدة ميشيل.

قال ذلك بصوت مكتوم مدهش.

ثم أدار كعبيه ولم أره طوال أسابيع، حتى ذلك الصباح من نوفمبر، الذى قضاه أمام مسكنى، لم أعرفه طالما أه سقـ.. نعم، السقطة.. لقد بحنا بكل شىء لكن شابًا يصل قبل الساعة إلى نقطة البداية، وهى نقطة مرئية جيداً، وناضجة لدرجة أن القلب صار فى عناق الشفقة. لم يكن جان آرتين سوى جسد تم تعذيبه ينسحب فى حياة فوق الحافة، تساءلت بصعوبة كيف قام بأداء الحركات البسيطة التى فعلها أمام المصعد عندما ظهر برنار جرليه فجأة، وأمسك

به، ثم رفعه مثل ريشة ووفر علىّ التدخل، كانت لدىّ رؤية مختصرة عن هذا الرجل الناضج الضعيف الذى يحمل بين ذراعيه جسد طفل مذبوح، ثم اختفيا فى هاوية السلم.

قالت مانويلا: لكن كليمانص سوف يأتى، إنه جامد، يتبع دوماً خطى أفكارى الصامتة.

قلت: طلب منى شابرو أن أرجوه أن يذهب إنه لا يريد سوى بول.

أضافت مانويلا وهى تتكلم عن فيوليت جرليه: من المحزن، أن تتمخط البارونة فى الممسحة.

لم أندهش، فحين تأتى النهايات، يجب أن نبلغ الحقيقة، فيوليت جرليه ترى أن الممسحة من الحرير مثل بيير آرتين، وأن كل إنسان، طائره ملزم بعنقه، يجب أن نواجهه دون مهرب جديد، وفى النهاية فإنه هى من أعماقه، وبعض الوهم الذى أراد أن يخترقه. محاذياً الخيط الرقيق الذى لا يعطى أبداً الحق فى أن يتساوى المرض بالصحة.

أمسكت كوب الشاى وغصنا فى الصمت، لم نقض قط الصباح معاً، وهذا التحطيم لبروتوكول شعائرنا له منفذ غريب.

همست مانويلا: هذا رائع.

نعم، إنه رائع، لأننا نتمتع بطبائع مزدوجة، هى رؤية مخصصة لهذه القطيعة حول أشياء مستقرة

والشعائر التى جربناها معاً، من بعد ظهيرة لأخرى، إن الواقع يتكيس إلى الحد الذى تهبه الحس والوعى، هذا الصباح المنهك استبعد فجأة كافة قواه. لكن نحن نتذوق أيضاً وكأننا قد فحنا رحيقًا لهذه الصبحية غير اللائقة، فتأخذ الحركات الآلية شكلاً جديداً، حيث يحتسى ويشرب ويستريح، ويخدم ويمزز كى يعود إلى الحياة، إنه مولد جديد، هذه اللحظات حيث يتبدى لنا ترام وجودنا، بقوة شعائر تدفعنا وبكل المتعة أن نخرقها، إنها أقواس سحرية تضع القلب عند طرف الروح، لأن، هروبًا عاتيًا، يأتى بالقليل من الخلود، ويخصب الزمن فجأة، فيما وراء ذلك، فإن العالم يزأر أو ينام، وتتوالى الحروب، ويعيش الناس، أو يموتون، تندثر أمم، وتظهر أمم أخرى، ستغرق عم قريب فى هذا الضجيج وكل هذا الغضب، وفى هذا الفوران والارتداد، يشتعل العالم كله، ويتمزق، ويعيد ميلاده، إنه أمر يتعلق بالحياة الإنسانية.

وأخذنا نشرب الشاى.

مثل أوكاكورا كاكوزو(*)، مؤلف "كتاب الشاى" الذى يأسف لثورة قبائل المغول فى القرن الثالث عشر ليس لأنها جرت وراءها الموت والخسارة، لكن لأنها دمرت، من بينها ثمار ثقافة السونج، الثقافة الأكثر

(*) كتاب الشاى صدر منذ مائة عام للكاتب اليابانى أوكاكورا كاكوزو، وقد كتبه بالإنجليزية دفاعًا عن هوية بلده وحضاراتها فى احتكاكها بالحضارة الغربية التى كانت تقتحم الحياة اليابانية آنذاك.

ثراء من بين الثقافات، الشاى، أعرف أنه ليس شراباً دقيقاً، لقد أصبح من الشعائر، فإنه ينظم دقات القلب وقابلية رؤية العظمة فى الأشياء الصغيرة، أين يقبع الجمال؟ فى الأشياء الكبيرة، مثل الأشياء المحكوم عليها بالموت، أو الأشياء الصغيرة التى، بدون أى ادعاء، تعرف كيف يغش لحظة فى إطار الخلود.

شعائر الشاى، هذه السلوكيات المحددة الحركة ونفس درجة التذوق، هذا الإدراك ذو المشاعر البسيطة الموثوق فيه البالغ الصفاء، هذه الرخصة تعطى لكل شخص لديه القليل من الفكة، أن يصبح أرستقراطياً فى الذوق، لأن الشاى مشروب الأثرياء، وهو أيضاً مشروب الفقراء، شعائر الشاى، هى الفضيلة الغربية للدخول فى عبثية حياتنا الحيوانية عبر إيقاع صاف، نعم، العالم يتآمر فى الفراغ، والأرواح الضائعة تبقى الجمال، والمعنى يحوطنا، فحين نشرب كوب شاى، يسود الصمت، ونسمع صفير الرياح بالخارج، وأوراق الخريف تتساقط وتتطاير، وينام القط فى ضوء خافت، ومع كل جرعة نتسامى مع الوقت.

فكرة عميقة رقم ٦

ماذا نشرب

ماذا نقرأ

فى الفطور

وأنا أعرف

من أنا

كل صباح، فى الفطور، يشرب أبى القهوة، ويقرأ الجريدة، الكثير من الجرائد، هناك "لوموند"، "لوفيجارو" "ليبراسيون" وأحياناً فى الأسبوع "لاكسبريس" و"ليشو"، "تايم ماجزين"، "ومجلة المتاحف العالمية"، أرى أن هذا جيد بالنسبة إلى قناعات كبرى، عند أول فنجان قهوة تكون "لوموند" أمامه، ويستغرق فى قراءتها طوال نصف ساعة، وكى يستغل هذه النصف ساعة، عليه أن يستيقظ مبكراً لأن يومه مزدحم للغاية، ولكن فى كل صباح، إذا كان لديه

اجتماع ما، فإنه لا ينام سوى ساعتين، يستيقظ فى السادسة، ويقرأ جريدته وهو يشرب القهوة السادة، وهكذا يبنى أبى يوميًا. أقول "يبنى" لأننى أفكر أنه فى كل مرة هناك بناء جديد، وكأن كل شىء يتحول إلى رماد أثناء الليل، وأنه يجب أن يبدأ من الصفر، وهكذا يعيش حياته كإنسان فى عالمنا، يجب ـ بلا توقف ـ أن نعيد بناء هويتنا كبالغين، هذا التجمع العابر والزائل بالغ البشاشة، يرتدى ثوب اليأس، وذاته أمام المرآة، يحكى الكذبة التى عليه أن يؤمن بها، بالنسبة إلى أبى، فإن الجريدة والقهوة هما الخاتم السحرى اللذان يحولانه إلى رجل له أهميته، مثل قرعة فى عربة فاخرة، هذه الأمور ترضيه كثيرًا، أنا لا أراه أبدًا هانئاً، ومتمددًا سوى أمام قهوته فى الساعة السادسة، لكن الثمن مدفوع، الثمن مدفوع عندما تعيش حياة مزيفة! عندما تسقط الأقنعة، لأن مشكلة حلت ـ وهى تبقى دومًا لدى الموتى ـ الحقيقة مرعبة! أنظر إلى السيد آرتين، الناقد الفنى فى الدور السادس، الذى يحتضر. هذا المساء عادت أمى من التدريب غاضبة مثل عاصفة، وما أن عبرت المدخل، حتى ألقت مرثاتها "بيير، آل ارتين يحتضر".. المرثية هى قطتى وأنا، طالما أنك تقول إن هذا أسفر عن أسطوانة كمبيوتر، فإن أمى التى كان شعرها غير ممشط قليلا، بدت عليها الخيبة، عندما عاد أبى، هذا المساء نظرت نحوه لتعلن له الخبر، بدأ أبى يسأل مبغوتًا: "القلب! كيف هذا، وبكل هذه السرعة؟".

يجب أن أقول إن السيد آرتين، هو شرير حقيقى، أبى إنسان عامى يلعب دور الشخصيات الكبيرة، غير مسل، أما السيد آرتين.. فهو شرير باختياره، عندما أقول شريراً، فلا أعنى أنه سيئ النية، قاس، أو استبدادى، رغم أن به القليل من هذه الصفات، عندما أقول "إنه شرير حقيقى" فأعنى أنه رجل يتجاهل دائماً كل ما يمكن أن يملكه من الطيبة فى داخله، كأن تقول جثة على قيد الحياة، لأن الأشرار الحقيقيين، يكرهون كل البشر، بالتأكيد، خاصة أنفسهم، لن تحس بذلك، إلا عندما يكره أحد نفسه، هذا يقوده إلى أن يصبح ميتاً بينما هو فى إطار المشاعر السيئة، ولكنه أيضاً طيب لدرجة أنه لا يحس بالغثيان فى داخله.

بيير آرتين بالتأكيد، شرير حقيقى، يقال إنه كان عميد النقد الفنى، وبطل فى عالم الطبخ الفرنسى، إذًا، هذا، لا يدهشنى، إذا اردت رأيى، فالمطبخ الفرنسى، بدافع الشفقة، به الكثير من العبقرية، ومن الأساليب، ومن المنابع من أجل نتيجة بالغة الثقل.. وصلصة، وحشو، وحلوى تفجر البطن سيئة الطعم، عندما لا يكون ثقيلاً، فالأمر يمشى قدر الإمكان، قد لا نموت من الجوع حين نتناول ثلاث فجلات ومحارتين من نوع جاك بالطحالب، فى أطباق مزيفة مع خدم يبدون سعداء أكثر من حفارى القبور، يوم السبت نذهب إلى مطعم بالغ الفخامة مثل "بار نابليون"، حين خرجت العائلة للاحتفال بعيد ميلاد كولومب، التى اختارت الأطباق بنفس الاعتناء أكثر من

العادة: مهارات شخص دعى مع الكستناء، حريصة على تناول الأعشاب لاسم غير منطوق، قشدة من الحمرة، مع قطع بحرية كبيرة "منتهى الرعب"، القشدة (سابايون) هى شعار المطبخ الفرنسى: مهارة تستدعى التخفف، لذا لم أتناول شيئاً قط (كى أوفر ملاحظات كولومب حول فقدان شهيتى)، ثم آكل فيليه حمراء بالكارى مقابل ثلاثة وستين يورو (ومعه زهر فظ من القرع أو الجزر تحت السمك)، ثم مقابل أربعة وثلاثين يورو التى أجدها الأقل ثمناً فى قائمة الطعام: فوندام بالشيكولاتة المرة، سوف أخبركم: بهذا السعر، كنت افضل الاشتراك السنوى فى محلات ماكدو على الأقل، دون ادعاء فى التذوق الردىء، دون أن أهتم على بديكورات القاعة أو المائدة، عندما يريد الفرنسيون أن يتخلصوا من تقاليد "الإمبراطور" بالسير فوق بساط مغزول ومزركش، فإنهم يستخدمون نموذج مستشفى، يجلسون فوق مقاعد كوروبوزيه (من كوربو كما تقول أمى)، ويأكلون فى الأطباق البيضاء ذوات الأشكال القياسية البيروقراطية السوفيتية، ثم يجففون أيديهم فى دورة المياه، بمناشف أسفنجية بالغة الرقة، لا تمتص شيئاً.

ليست البساطة هى كما يتصورها البعض، سألتنى كولومب فى غضب لأننى لم أنجح فى التخلص من أول حصباء تعيبنى: ماذا تريدين أن تأكلى؟، لم أرد، لأننى لا أعرف، لست سوى طفلة صغيرة، ومع ذلك، لكن فى مجلتى "مانجا"، فإن

الأشخاص يبدو عليهم أنهم يأكلون بشكل ما، يبدو الأمر بسيطًا، رخوًا، رقيقًا، نحن نأكل مثلما ننظر إلى لوحة جميلة، أو كأننا نغنى فى كورال جماعى، الأكل ليس كثيراً، ولا كافياً، وعليك أن تعيش بنفس المعنى من المصطلح، ربما أننى أخدع نفسى تمامًا، لكن المطبخ الفرنسى، يبدو كهلاً ومدعياً، وأن المطبخ اليابانى كما يبدو.. حسنًا ليس شابًا، ولا عجوزاً، لكنه خالد، ومقدس.

باختصار فإن السيد آرتين، يحتضر، تساءلت عم يجب أن نفعله فى الصباح، كى يعود إلى دوره كشرير حقيقى، ربما قهوة سادة وهو يقرأ، أو فطور أمريكى مع السجق والبطاطس المسلوقة، ماذا نفعل هذا الصباح، قرأ أبى الجريدة وهو يشرب القهوة، متصفحاً بعض الكتالوجات، أما كولومب فهى تشرب القهوة وتسمع إذاعة فرانس انتير وأنا، أشرب الشيكولاتة، أقرأ مجلة "مانجا"، فى هذه اللحظة، كنت أقرأ مقال تانجوشى(*) العبقرى الذى علمنى الكثير من الأشياء عن البشر.

لكن، بالأمس سألت أمى إن كان بإمكانى شرب الشاى، أمى تشرب الشاى الثقيل فى الفطور، والشاى المعطر فى الضحى، لا أرى هذا مرعباً، يبدو هذا أكثر لطفاً من القهوة، هى مشروب شرير، لكن فى المطعم، بالأمس، طلبت أمى شاياً بالياسمين، وجعلتنى أتذوقه،

(*) جيرو تانجوشى Tangachi (١٩٤٧) كاتب يابانى معاصر. كتب عن الحياة المعاصرة فى اليابان.

ووجدته لذيذاً، فقط "أنا" هذا الصباح، قلت إنه ما أريد أن أشربه، فى الفطور، نظرت أمى إلىّ بدهشة (مظهرها مثل من تناول منومًا سيئ المفعول)، ثم قالت: نعم نعم، لقد بلغت السن الآن.

الشاى، والجنزبيل ضد القهوة، والجريدة: الأناقة، والغناء ضد الحزن العدوانى لألعاب البالغين.

ـ ١٢ ـ

كوميديا شبح

بعد رحيل مانويلا، جربت كل أنواع الانشغالات الجذابة: أعمال منزل، مسح القاعة، إخراج صناديق القمامة إلى الشارع، تجميع المطبوعات، رى الزهور، إعداد طعام القط، أقدم له شريحة من لحم الخنزير مع جلد خنزير منتوف، ثم أعد وجبتى الخاصة ـ مخالب صينية باردة بالطماطم، والحبهان والجبن الحريف ـ أقرأ فى جريدة، أتمدد فى مسكنى لقراءة رواية دنماركية جميلة، إدارة المشكلة فى القاعة لأن لون الابن الأصغر لآرتين، والأكبر كليمانص، بكى أمام مسكنى لان جرانى لا يود أن يراه.

فى الساعة التاسعة مساء، انتهيت وبدأت أحس بالعجز، وأننى منهكة تمامًا، الموت لا يخيفنى، أيضًا أقل من بيير آرتين، لكن هذا يجعله غير محتمل، إنه مثير للمشكلات، جلست فى المطبخ فى صمت، دون

إضاءة، تذوقت مشاعر مرارة العبث، وهى تتحرك ببطء، بيير آرتين.. مستبد، وقح، متعطش للمجد والشرف، مناضل دوماً حتى نهاية مطاردة كلمات يصعب الإمساك بها، ممزق بين جاذبية الفن وجوع السلطة..

أين الحقيقة فى العمق؟ وأين الوهم؟ فى السلطة أم فى الفن؟ ألم تعلمنا قوة النقاش أننا عرايا إبداع بينما نبلغ عن جريمة غرور، وعن تعطش للسياحة التى تحركنا جميعاً، نعم، الكل، ومن بينهم بوابة فقيرة فى مسكنها الضيق، لا تملك أى نوع من السلطة الملموسة، ولا تتبع بروحها أى أحلام خاصة، أحلام القوة!.

كيف تمر الحياة؟ نحن نزول بكل شجاعة، يومًا وراء يوم، نمسك دورنا فى هذه الملهاة الشبح، وفى الأولويات التى أمامنا، هناك ضرورة أن تتثبت مشاغلنا وتتداخل أراضينا، مشاغل تحمينا، فى الصعود حيث لا نزول عبر سلم ميراث القبيلة، وأن نفسد كل الأساليب التى فى إمكاننا، وهى تثار جنسيًا، وهكذا نستخدم جزءًا غير خفى من طاقتنا فى إخافتنا وإغرائنا، وكلا الأسلوبين يؤكدان أنها بمثابة الالتماس الأرضى، والميراث الجنسى الذى يحرك مصائرنا، لكن لم يأت شىء من هذا إلى وعينا، نتكلم عن الحب، وعن الخير والشر، والفلسفة والحضارة، وتربطنا بهذه الأيقونات الموقرة مثل القراد المتعطش لكلب ضخم بالغ الحمية.

أحيـانـاً، أثنـاء هـذا، تـبدو لـنـا الحيـاة مثل ملـهاة شبح، كأننا ننسحب من حلم، نبدو خائفين من التأكد من الإنـفـاق الحيـوى الـذى يمـثل المصـادرة البـدائيـة، نـتسـاءل بـكل دهـشـة مـا هـو الـفن، إنه اهـتزازات من إيماءات، وغمـزات تبدو لنا فجـأة متكاملة المعنى، عشنا الصغير الناعم، ثمرة للشقاء طوال عشرين عاماً، عادة همجية بلا فائدة فى سلمنا الاجتماعى، يلوح بشكل قاس تماماً، وخالد بشكل عابر، من غرور خشن، أما بالنسبة إلى جذورنا، فنحن نتأملها بعين جديدة ومخيفة لأنه: دون أن نلبسها فإن مشهد إعادة الإنتاج تبدو كأنها قد تبدلت بشكل عميق. لا تبقى سوى المتع الجنسيـة، لـذا نـحن نسـبح فى نـهر المـأسـاة الاولى، تتمايل الأشياء وفقاً لـلألعاب الـرياضية بدون الحب لا تدخل فى إطار دروسنا التى تعلمناها جيداً.

الخلود يفلت منا.

فى هذه الأيام، حيث تنقلب فوق مذبح طبيعتنا العميقة كل الايمانات العاطفية، والسياسية والفكرية والميـتافيـزيقيـة، والروحيـة، الـتى تحـدث فى سـنوات التكوين والتربية، تحاول أن تطبع فينا قوانين المجتمع، حقول الأرض العابرة، من الموجات الميراثية، وتغوص فى عـدميـة المشـاعـر، حيث يوجـد الأثـريـاء والفـقـراء، المفـكـرون والـبـاحـثـون وأصـحـاب الـقـرار، والـعـبـيـد، والـطـيـبـون والأشـرار، الخلاقـون، والـواعـون، ورجـال النـقـابـات والمؤمـنـون بـالخـصـوصـيـة، والـتـقـدمـيـون، والمحافظون، إنهم ليسوا سوى كائنات ميراثية، تمتلك

الإيماءات والابتسامات، المسيرات والحلى، لغات وشفرات، مسجلة فوق البطاقة الوراثية بوسائل أولية، لا تعنى سوى هذا: تمسك دمها أو تموت.

هذه الأيام، ستكون فى حاجة للفن بشكل يائس، سوف تنجذب بحرارة، أن تعقد اتفاقاً مع وهمك الروحى، سوف تتمنى بشكل عاطفى أن تنقذ شيئًا ما المصائر الحيوية من أجل كل الأشعار، وكل العظمة لن تنزع ملكية هذا العالم.

إذًا ستشربون كوب الشاى، أو تشاهدون فيلمًا لاوزو، كى تنسحبوا من دائرة الألعاب والمعارك التى خضناها بجنسنا البشرى، لتقديم معنى هذا المسرح المثير للعواطف حول علاقة الفن، وأعماله العظمى.

ـ ١٣ ـ

خـلـود

فى الساعة التاسعة مساء، أدرت جهاز تسجيل الكاسيت لفيلم من إخراج أوزو[(١)] "الاخوات موناكاتا"، إنه الفيلم العاشر لأوزو خلال شهر، لماذا؟ لأن أوزو عبقرى أنقذ مصيرى البيولوجى.

جاء كل شيئ مما بحث به يوماً إلى إنجيل. أمينة المكتبة الصغيرة، التى أحببتها دوماً وعرضت علىّ دوما الأفلام الاولى لفيم فندرز (٢) قائلة آه، هل رأيت فيلم "طوكيو ـ جا؟ وعندما شاهدت "طوكيو ـ جا"، وهو فيلم تسجيلى غريب أخرجه أوزو، صارت لدينا رغبة عارمة لاكتشاف أوزو، لقد اكتشفت أوزو، وللمرة

(١) ياسوجيرو أوزو (١٩٠٣ ـ ١٩٦٣م) مخرج يابانى، لمع فى النصف الأول من القرن العشرين بأفلامه «طعم الأرز بالشاى الأخضر» ١٩٥٣ و «طعم الساكى» ١٩٦٣.

(٢) ڤيم ڤندرز: مخرج سينمائى ألمانى، اهتم بتصوير الطرق السريع، من بين أفلامه «تكساس باريس» ١٩٨٤، يعمل الآن فى السينما الأمريكية.

الأولى فى حياتى، جعلنى فن السينما أضحك وأبكى كتسلية حقيقية.

أدرت الكاسيت، واحتسيت الشاى بالياسمين، ومن وقت لآخر، أقوم بترجيع الشريط لرؤية العالم الوردى العلمانى "القلب على التليفزيون".

هناك مشهد غريب.

دور الأب لعبه جيشو روى، الممثل المفضل عند أوزو، الذى اختاره فى كل أعماله، رجل رائع مشبع بالحرارة، والحياء، سيموت عما قريب، تحدث مع ابنته ستسوكو عن النزهة، التى قاما بها فى كيوتو، وشربا الساكى معًا.

هذا المعبد ذو الطحالب! والضوء تعلوه الطحالب أيضاً.

ستسوكو:

وأيضاً نباتات الكاميليا الموضوعة بأعلى.

الأب:

أوه، هل لاحظت ذلك؟ كم هذا جميل! (وقفة) فى اليابان القديمة، هناك أشياء جميلة (وقفة) هذه الطريقة فى الرصد، كل هذا يبدو لى مفرطًا ومبالغًا فيه.

ويستمر الفيلم، حتى النهاية، هناك المشهد الأخير، فى حديقة، عندما يتحدث ستسوكو الكبير مع ماريكو، أخته الصغيرة الجذابة.

ستسوكو: الوجه مشع.

أخبريني، ماريكو، لماذا تبدو مرتفعات كيوتو بنفسجية.

ماريكو بخبث:

حقًا، يقال إنها فطيرة، أزوكي.

ستسوكو (مبتسمة).

إنه لون جميل.

فى الفيلم، هناك مسألة الحب الفاشل، والزواج المدبر، والنسب، وموت الأب، من اليابان الحديثة إلى اليابان الجديدة، وأيضاً الكحول، وعنف البشر.

لكن هناك سؤالاً خاصاً لشيء ما يفلت منا، نحن الغربيين، حول الثقافة اليابانية المضيئة، لماذا هذان المشهدان القصيران، وبدون تفسير، لا شيء فى الحبكة يفسر يقظة الانفعالات والأحاسيس، وتمسك بالفيلم بين أقواسها التى لا تزول؟

وهذا هو مفتاح الفيلم.

ستسوكو: الجيد الحقيقى، هو ألا يشيخ المرء رغم مرور الزمن.

الكاميليا فوق طحالب المعبد البنفسجى، لون مرتفعات كيوتو، فنجان من الخزف الأزرق، هذه بروز وتفتح للجمال الخالص فى قلب المشاعر العابرة ليس هو ما نأمله جميعاً، هل نحن ـ الآخرين ـ نتحضر من الغرب، ولا نستطيع أن ندركه؟

التأمل فى الخلود يتمثل فى حركة الحياة نفسها.

يوميات حركة العالم رقم ٣

ولكن امسكها إذا!

عندما أفكر أن هناك أناساً ليس لديهم تليفزيون! أتساءل كيف يتصرفون؟ قضيت ساعات، أقطع الصوت، وأنظر، وأحس أننى أرى الأشياء مع الأشعة السينية، إذا رفعتم الصوت، فى الواقع، فسوف ترفعون حزمة التعبئة، الورق الحريرى الجميل الذى يغلف لحم خنزير قذر باثنين يورو، إذا نظرت إلى التحقيقات التليفزيونية فسوف ترى أن الصور ليست بها أى رابط مع بعضها الآخر، الشىء الوحيد الذى يربطها هو التعليق، الذى يمر مع تتابع الصور معبراً عن تتابع حقيقى للواقع.

باختصار، أنا أعشق التليفزيون، وبعد الظهيرة، رأيت حركة العالم الممتعة: سباق غطس، فى الواقع، هو عدة سباقات، إنه إعادة عرض بطولة العالم، هناك غطس شخصى مع وجوه مألوفة، أو وجوه حرة،

غواصون رجال، أو نساء، لكنه مما أثار اهتمامى بشكل خاص ، هو ثنائيات الغواصين، وأكثر المآثر الشخصية مع الكثير من الدوران والانقلاب، واللف، يجب أن يتزامن الغواصان معاً، أن يكونا على مسافة خطوة معاً، لا، معاً تماماً، متقاربين، فى كسور من الثانية.

الأكثر إضحاكاً، هو عندما يكون للغواصين مظهر خارجى مختلف تمامًا، فإن قصيرًا بدينًا على الخط نفسه مع زميله العملاق، يقال: لن يلتصق هذا، مما يعنى أنهما يمكنهما الانطلاق والوصول فى الوقت نفسه، لكنهما يصلان، حين نتأكد أن كل شىء فى العالم يمكن تعويضه، عندما ينطلق الغواصون بسرعة أقل، يندفعون بقوة أكثر بينما أنا موجودة هنا، أتابع جريدتى، وعندما تقدمت شابتان صينيتان فوق المغطس، لديهما جديلتان سوداوان لامعتان، لعلهما توءم بقدر ما هما متشابهتان، لكن المعلق ذكر أنهما ليستا شقيقتين باختصار، عندما وصلتا المغطس، فكرت أن كل العالم عليه أن يفعل مثلى، أن أحبس أنفاسى.

وبعده عدة اندفاعات هائلة، قفزتا، الأولى فى كسر من الثانية، إنه أمر رائع، أحسست هذا التميز فى جسدى، يبدو أن هذا عمل من نوع "أعصاب المرايه"، عندما ننظر إلى شخص يؤدى حركة علينا أن نمارسها، فإن أعصابنا تتفاعل كى تعمل، تتفاعل فى رأسنا، دون أن نفعل شيئًا.. غوص آكروباتى، ونحن

نأكل الشيبسى، ولهذا نحب مشاهدة الرياضة فى التليفزيون، باختصار، إن الفتاتين قفزتا، فى البداية حدثت المتعة، ثم حل الخوف! فجأة أحسسنا أن هناك تفاوتاً خفيفاً جداً جداً جداً بينهما. تفحص الشاشة، المعدة المزمومة. ما من شك أن هناك تفاوتاً، أعرف أنه من الجنون أن أحكى أن هذا مثل ذاك، وأن القفزة لا يجب أن تستمر أكثر من ثلاث ثوان لكن فقط؛ لأن هذا لا يستغرق أكثر من ثلاث ثوان. ينظر إلى كافة الزوايا وكأنهما تستغرقان قرنا، فالأولى تغطس فى الماء قبل الأخرى! إنه أمر مرعب!.

وجدت نفسى أصرخ أمام التليفزيون: امسكها، امسكها، أحسست بغضب شديد تجاه هذا التكاسل، غصت فى الأريكة، وقد أصابنى القلق، ماذا إذاً؟ ها هى حركة العالم! ميل خفيف يأتى دائماً لإفساد إمكانية التميز؟ قضيت ثلاثين دقيقة على الأقل فى مزاج دموى، ثم فجأة تساءلت: لماذا نريد دائماً أن نمسكها؟ لماذا يبدو الأمر بالغ السوء عندما لا تصبح الحركة غير متلازمة؟ ليس هذا تخميناً بالغ القسوة: كل الأشياء التى تمر، والتى نفتقدها فى أطراف الخلود.

كل هذه الكلمات التى علينا أن نرددها، هذه الحركات التى علينا أن نفعلها، هذه الصعقات اللامعة التى تدفقت، والتى لا نعرف كيف نقبض عليها والتى تغوص فى العدم، راودتنى فكرة أخرى، بسبب

"عصابية المرايا" فكرة مرعبة، من ناحية أخرى، فكرة بروستية(*) تصيبنى بالعصبية، وإذا كان الأدب، وإذا كان التليفزيون الذى نشاهده يساعدنى لتفعيل عصابية المرايا وللتفاعل القليل مع ارتعاشات الحدث؟ فإن الأدب، كان بمثابة التليفزيون الذى يبين لنا كل ما لدينا من إخفاقات.

صباح الخير لحركة العالم، كان يمكن أن يكون هذا أمراً مميزاً، لكنه أصبح كارثة يجب أن نعيشها وتصبح مصدرًا للمتعة بالتوكيل والتفويض.

إنى أسألكم: لماذا نبقى فى هذا العالم؟.

(*) بروستية، نسبة إلى الروائى الفرنسى الشهير مارسيل بروست.

ـ ١٤ ـ

اليابان القديمة

صباح اليوم التالى، دق شابرو جرس مسكنى: بدا مأخوذًا ـ الصوت لم يربكنى والأنف جافة، ومسمرًا، كان أقرب أن يكون شبحاً، قال بصوت آلى:

ـ مات بيير.

رددت: معذرة.

أنا متأسفة تماماً لأن إذا كان بيير آرتين لم يعد يعانى، فيجب أن يتعلم شابرو عن الحياة وهو فى حالة موات.

أضاف شابرو بصوت استعراضى: سوف يصل مسئولو الجنازة، أكون ممتنًا لك لو تدليهم إلى الشقة.

قلت: بالتأكيد.

سأعود خلال ساعتين، كى أعتنى بـ "آنّا".

ونظر إلىّ لحظة فى صمت.

قال: شكراً، المرة الثانية فى عشرين عاماً.

حاولت أن أتصرف حسبما اعتادت بوابات العمارات، لكننى لا أعرف، لماذا لم تخرج الكلمات، ربما لأن شابرو لن يعود أبداً، أمام الموت تتحطم الغابات، لأننى أفكر فى لوسيان، فمن اللياقة أن نتصرف بما لا يهين الموتى.

وهكذا، لم أقل:

ـ أبداً.

لكن:

- هل تعرف..كل شىء يأتى فى موعده.

يمكن هذا أن يدوى كمأثور شعبى، أو حتى أن هذا كلام ردده المارشال كوتوزف فى "الحرب والسلام" موجهًا إياه إلى الأمير أندريه.

«لقد كالو لىّ الكثير من اللوم ومن أجل الحرب، ومن أجل السلام.. لكن كل شىء يأتى فى موعده.. كل شىء يأتى زمن لمن يعرف الانتظار».

لسوف أعطى الكثير كى أقرأ هذا النص، الذى أعجبنى كثيراً فى هذا المقطع، إنها الوقفة أثناء قراءة القصيدة توازن الحرب والسلام، هذا الفعل ورد الفعل فى الاستدعاء، مثل المد البحرى فوق الرمل يحمل ويجلب ثمار المحيط، هل هذه نزوة المترجم، يحسن صورة نظام روسى بالغ الحكمة، لقد وجهوا لى الكثير من اللوم والعتاب من أجل الحرب ومن أجل السلام.

وأنا أعيد رؤية انسياب فى الجملة أن أية فاصلة لاتقطع معاناتى فى باب الغرائب دون حقيقة أو أساس، أو أن الجوهر نفسه لهذا النص المتميز ينزع منى دموع الفرح؟

هز شابرو رأسه، برقة، ثم ذهب.

مرت بقية الصباح فى كآبة، لم يكن لدىّ أى تعاطف بعد وفاة الناقد الفنى آرتين، تصرفت كروح متألمة دون أن أدرك السبب. أرى زهرة الكاميليا فوق عشب المعبد. أعيد قطفها دون أمل قائم لكل هذا السقوط الذى هز قلبى المرير.

امتزجت اليابان القديمة مع شقق تنساب منها الألحان السهلة وسعادة شخص يعزف على البيانو مقطوعة كلاسيكية، ساعة رقيقة مرتجلة، تمزق شراع الكآبة والحنين.. فى جزء من الخلود، كل شىء يتغير ويتحول، مقطوعة موسيقية مقتبسة من قطعة مجهولة، حيث تتدفق المشاعر الإنسانية، أرخى رأسى برقة وأفكر فى الكاميليا فوق عشب المعبد، وفى كوب شاى بينما الرياح فى الخارج تداعب أوراق شجرة الحياة التى تتشبث فى أمل بدون غد ولا مشاريع، مصير البشر يتم إنقاذه من شحوب تتابع الأيام، وأخيراً يتجاوز الضوء، الزمن ويعانق قلبى المطمئن.

- ١٥ -

واجب الاثرياء

الحضارة، هى العنف السائد، الانتصار لا ينتهى أبداً منذ أول عدوان بشرى، لأن هذه الأولية تصنعنا، أوليات تبقى فينا، بعض الكاميليا فوق العشب حيث نتعلم كيف نتمتع بها، هذه هى وظيفة كل تأديب وتهذيب. ما هو التأديب"، هو عرض بدون انقطاع للكاميليا فوق العشب، إنها تصرفات غريزية، لا تتوقف أبداً، وتهدد دوماً التوازن الهش للحياة الآخرة.

أنا كاميليا، فوق العشب ولا شىء آخر، إذا فكرنا فى ذلك، فلا نعرف كيف نفسر وحدتى فى هذا المسكن الكئيب، مقتنعة منذ فجر وجودى لفراغه. كان من الممكن أن أختار التمرد، وأن أتخذ السموات شهوداً على ظلم مصيرى، منهكة وسط منابع العنف التى تخبئها ظروفنا، لكن المدرسة جعلت منى روحاً يقودها فراغ مصيرى إلى الوحدة والعزلة، أعجوبة

مولدى الثانى أعدت فى داخلى أرضاً لسيادة الغريزة، طالما أن المدرسة أنشأتنى يجب علىّ أن أخضع لنوايا معلمى، فأصبحت بطاعتى وانقيادى صورة متحضرة. فى الواقع، عندما يستحوذ النضال ضد عدوانية الأوليات بأسلحتها الخارقة التى هى الكتاب والكلمات، يصبح التعدى مريحاً، وهكذا أصبحت روحاً مثقفة أستمد من الصفحات المكتوبة، قوة المقاومة، لطبيعتى الخاصة.

فوجئت بقوة برد فعلى عندما دق انطوان باللير بإلحاح ثلاث مرات على مسكنى ودون أن يحيينى، توعد بعتاب وثرثرة أن يحكى لىّ عن اختفاء دراجته الصغيرة، أغلقت الباب فى وجهه وكأننى قررت أن أقطع ذيل قطى الذى يزمجر هناك.

قلت: لا شىء مثل الكاميليا فوق العشب.

كان يجب أن أسمح لليو أن يعود لتحيته، ففتحت الباب بسرعة بعد أن أغلقته.

قلت بصوت لاهث: معذرة.

نظر إلى انطوان باللير بمظهر شخص يتساءل إذا كان يرى جيداً ما رآه، إنه لن يحدث شىء لا يتعين حدوثه فالأثرياء يقتنعون أن حياتهم تتبع خطًا سماويًا، وأن المال موجود بشكل طبيعى بالنسبة إليهم.

قال: نعم، حسنًا، لقد أتيت كى أعطيك هذا من طرف أمى.

ومد لىّ مظروفاً أبيض.

قلت: شكراً، ثم أغلقت الباب خلفه للمرة ثانية.

وهأنذا فى مطبخى، مع المظروف فى يدى.

سألت ليو: ترى ماذا لدى هذا الصباح؟

لقد أذبل موت بيير آرتين زهور الكاميليا الخاصة بى.

فتحت المظروف وقرأت الكلمة الصغيرة المسجلة على ظهر بطاقة زيارة أشد برودة من الحبر، مسجلة على أوراق النشاف التى انسالت بخفة، وراء كل حرف.

السيدة ميشيل

هل يمكنك استقبال باقات زهور

بعد الظهيرة!

سوف أمر لآخذها من مسكنك فى المساء

شكراً مقدماً

توقيع مخربش

لم أنتظر أبدا مثل هذا التكتم فى الهجوم، والتماسك، تركت نفسى أسقط فوق المقعد الأقرب، تساءلت اذا كنت مجنونة قليلاً، هل يترك لى هذا التأثير نفسه، عندما يحدث الشىء نفسه معك؟

خذ:

القط ينام.

وقراءة جملة صغيرة، لا توقظ فيك أى مشاعر من الألم، ولا أى توهج من المعاناة؟ إنه أمر طبيعى.

الآن القط ينام.

أكرره من أجل غموض لا يدوم.

القط ينام

القط ينام

هل يمكنك أن تستقبل.

من ناحية، لدينا هذا الاستخدام الإعجازى الذى يفصل بين الحريات واللغة، فمن الطبيعى ألا نضع شيئًا قبل أدوات الربط، وأن نأخذ بالشكل.

لقد قاموا بعتابى كثيراً، من أجل الحرب، ومن أجل السلام، ومن ناحية أخرى، لدينا انسيال فوق مخطوط لسابين باللير ناقلا الجملة من فاصلة لتصبح قبضة.

هل يمكنك استقبال باقات الكى بالبخار؟

كانت سابين باللير شخصية مثالية، مولودة تحت شجرة تين فى فارو، بوابة هاجرت حديثا من بيمتو، لديها نقص عقلى، ورثته من قيم متسامحة أسرية يمكننى أن أصفح من كل قلبى عن هذه اللامبالاة المدانة، لكن سابين باللير شخصية ثرية، سابين باللير هى زوجة لشخصية مهمة كبيرة فى مصنع الأسلحة، سابين باللير هى أم لأحمق يرتدى معطفاً أخضر

صنوبريًا، ستذهب لبث تفاهة أفكارها الصغيرة فى مجلس وزارة العدل، وسابين باللير هى بالإضافة لذلك ابنة عاهرة فى معطف فراء تمثل فردًا من لجنة القراءة لإحدى دور نشر لديها العجيب من الجواهر.

لكل هذه الأسباب، فإن سابين باللير امرأة لا تغفر لها الشهرة والثراء، لن تفيد الرأفة والغفران فى الحياة، وفريضة القوة فى بواعث الجمال غير صالحة للتفاوض. اللغة هى الثروة الانسانية، واستخداماتها، هذه التهيئة من الوحدة الاجتماعية مقدسة، تتطور مع الأمن وتتحول وتتناسى، تتولد من جديد وتصبح المخالفة أحيانًا مصدراً لخصوبة كبيرة، فى الواقع يجب ألا نأخذ منها حقها فى اللعب، والتغير، يجب أن نعلنهم بالخضوع التام لنخبة المجتمع، صارت هذه المهمة الشخصية المزدوجة تتعبد وتحترم جمال اللغة، وأخيراً فإن سابين باللير أساءت استعمال تنقيط الحروف فى تجديف أكثر مهابة، مما هو عليه شعراء رائعون مولودون فى عربات عفنة، ومدن قذرة لديها موهبة مقدسة تنسب إلى الجمال.

الأغنياء، أمامهم واجب حقيقى، وإلا فإنهم يستحقون الموت.

إنها النقطة المحددة، لأفكارى غير المهمة، التى يدق من أجلها شخص ما على مسكنى.

فكرة عميقة رقم ٧

أن تبنى

أنت تعيش

أنت تموت

هكذا تكون النتائج

كلما مر الوقت، أصمم أكثر أن أشعل النيران هنا، دون أن أتكلم عن موضوع انتحارى. يجب أن نضع هذا فى الحسبان، لقد نلت لومًا فظيعًا من أبى، لأننى وبخت أحد مدعويه الذى تكلم كذبًا ، فى الواقع، فإن هذا هو والد تيبير، تيبير هو صديق أختى، يعد رسالة ماجستير مثلها، لكن فى الرياضيات، عندما أفكر فيما يسمى صفوة.. فإن الاختلاف الوحيد الذى أراه بين كولومب، وتيبير هو أصدقاؤها، جماعة من الشباب "الشعب"هكذا تسميهم رفاقها الأكثر غباءً، هذا يشرب، وذاك يدخن، أو يتكلم

بلهجة أهل المدينة، وهذا يغير من كلمة "صادق" أو أيضاً كلمات "مديرو الأبحاث" الذين تم تعيينهم منذ عامين، الذين تخطوا المستوى القانونى الذى لا يجب تلويثه، لدينا الحق أن الشقراء ج. ب العالمة بأصول الإنجليزية، شقراء فعلا، وعند مستوى أعلى: فى مؤتمر ماريون، تيبير إن الوجود ليس الصفة الأولى لله.. كذلك بعد غلق ملف العالمة الإنجليزية الشقراء كيف تريد أن أفكر، ها هو يردد بكلمة مفهومة، ليس لأنه ملحد، فهو غير قادر أن يفهم قدرة علم الإنسان الميتافيزيقى، نعم من وجهتى، هناك القوة الاستثنائية، وليست الحقيقة، وماريون، هذا القديس القذر، إنه يؤكد على لين العريكة. هه، هذا يبعث على الهدوء.

اللآلئ البيضاء

على أكمامى الساقطة عندما يمتلئ القلب

نحن نفترق

أحملها

كذكرى منك

بدأت فى وضع الكريات، فى طحالب صفراء لأمى كوكيتشو وأنا أقرأ فى مختارات من الشعر اليابانى الكلاسيكى يمتلكها أبى، ولا أسمع حديثهما المتدنى. وبعد، فإن كولومب، وتيبير يظلان وحدهما ويثيران ضجيجًا سخيفًا، هما يعرفان جيدًا أننى أسمعهما، مصيبة فاقت الحد، ظل تيبير يتناول

العشاء لأن أمى دعت والديه، والد تيبير هو منتج سينمائى، وأمه لديها معرض للفن على رصيف السين، كولومب منبهرة تمامًا بوالدى تيبير، ستذهب معهما فى عطلة نهاية الأسبوع القادمة إلى فينسيا، إنه تخلص جميل منها، فسوف أعرف الهدوء طوال ثلاثة أيام.

عند العشاء، قال والد تيبير: كيف لا تعرف أل "جو" تلك اللعبة اليابانية المدهشة؟ لقد أنتجت فى هذه الفترة اقتباساً من ساشان بطلة جو، إنها لعبة فا ت ـ نة ـ هى المعادل اليابانى للشطرنج.. هناك أيضاً اختراع نحن مدينون به إلى اليابان، انه فا ـ ت ـ ن. اذكر لكم!.. ثم بدأ فى شرح قواعد لعبة الجو، إنها بغير ذات أهمية، فالصينيون هم الذين ابتكروا ال "جو"، وأنا أعرف لأننى قرأت مجلة النحو الدينية عن لعبة الجو. اسمها "هيكارو" وليست "جو"، وكلتا اللعبتين ليستا معادلتين يابانيتين للشطرنج.. على كل، فهى لعبة على لوحة، من خلال مواجهة بين خصمين، مع قطع بيضاء وسوداء، إنهما مختلفتان اختلاف الكلب والقط، ففى الشطرنج يجب أن تقتل كى تكسب، وفى الـ "جو" يجب أن تبنى كى تعيش، وفى الألعاب الثلاثة بعض القواعد المعلن عنها من أنا غبى وأبلة كانوا مغلوطين، هدف اللعبة ليس هو أكل الآخر لكن بناء المزيد من الأراضى الكبرى، قاعدة أخذ أحجار الخصم تقضى بأنه يمكن الانتحار من أجل أخذ حجارة معادية، وليس منعًا شكليًا للذهاب إلى هناك حيث تأخذ بشكل آلى..إلخ.

السيد أ ح ـ ب ـ ال ـ عالم ـ بثرة: "نظام تقسيم للاعبين يبدأ فى واحد كيو، وبعد ذلك يصعد فيها إلى ٣٠ كيو، ثم بعد أن يمر فى أول دان ثم الثانى، إلخ.

لم أستطع أن أتماسك فقلت: لا، هذا فى النظام المعاكس: يبدأ ب ٣ كيو وبعد ذلك تصعد حتى واحد كى.

لكن معذرة، أنا لا أعرف ـ ما ـ فعلته ـ اعترض بشكل سيئ: "لا يا آنستى العزيزة، أعتقد أننى على حق.. أشرت بالرفض برأسى بينما راح أبى يدعك رموشه وهو ينظر لىّ، المصيبة أنه تم إنقاذى من تيبير، لكن، يا أبى، إنها على حق.. واحد كيو هو الأقوى، تيبير هو عالم رياضيات، ويلعب الشطرنج والجو. أكره هذه الفكرة، الأشياء الجميلة يجب أن تنتمى إلى الناس الجملاء، لكن دائماً والد تيبير على خطأ، بعد العشاء قال لى بغضب: "لم تفتحى فمك إلا لتسخيف ضيوفنا، ماذا كان علىّ أن أفعل، أن أفتح فمى مثل كولومب كى تقول: "برمجة أشجار اللوز تجعلنى حائرة، وهى غير قادرة أن ترجع إلى كلام راسين(*)، أو أن تتكلم عن رؤية الجمال، افتح فمى كى أقول مثل أمى، يبدو أن بينالى العام الماضى كان مخيباً للآمال، إنها تقتل نفسها من أجل معاناتها وهى تتركها تحترق مثل لوحة فرمير، أن أفتح فمى كى أقول مثل أبى "الاستثناء الثقافى الفرنسى هو حيرة نافذة"، فى كلمة

(*) جان راسين: (١٦٣٩ ـ ١٦٩٩م) شاعر مسرحى فرنسى، من أهم تراجيدياته «فيدرا» «أستير»، «ايثجينيا» «برنيس».

قريبة مما قاله فى ستة عشر عشاء سابقًا، "اليوم فى باريس لن تجد المزيد من الجبن الجيد" دون أى اعتراض. هذه المرة، مع طبيعته العميقة كتاجر لمنقوع الصمغ؟

عندما أفكر فى ال "جو"، فهى لعبة هدفها بناء الأراضى، إنها لعبة جميلة، يجب أن تكون هناك أوجه معركة، لكن هذه ليست سوى وسائل خدمة النهاية، أن تعيش الأراضى، واحدة من نجاحات اللعبة، تثبت أنه كى تكسب، يجب أن تعيش، وأن تترك الآخر يعيش، والأكثر جشعاً يفقد الجزء الأكبر: إنها لعبة يجب أن تحقق المزيد دون أن تحطم الآخر، أخيرًا، فالحياة والموت ليسا ظروف بناء جيد أو سيئ، أنه مثلما قالت إحدى شخصيات تانيجوشى: أنت تعيش أنت تموت، إنها الظروف، هذه هى حكمة الـ "جو" وحكمة الحياة.

الحياة، الموت، ليسا سوى نتاج ما نبنته، من يقوم بالعد، هو من يبنى جيداً، إذًا لقد منحت نفسى كرها وإرغاماً جديدًا، سوف أتوقف عن اللاعمل، عن التدمير: حتى كولومب: سأجعلها تعمل أشياء إيجابية، من يقوم بالعد يظل يعمل حتى لحظة الموت، فى يوم ١٦ يونيه القادم، أريد أن أموت وأنا أبنى.

ـ ١٦ ـ

كآبة القط كونستاتيو

طرق شخص الباب، فوجدت الفاتنة أوليمب سان نيس، ابنة الدبلوماسى فى الدور الثانى، أحب أوليمب سان ـ نيس كثيراً، أجد أنها تتمتع بسمات متميزة كى تستمر على قيد الحياة باسم سخيف، خاصة عندما نعرف أنه اسم مضحك إلى حد ما "ايه. أوليمب، أستطيع أن أصعد فوق مرتفعاتك" التى تبدو كأنها لا تنتهى ، بالإضافة إلى أن أوليمب سان ـ نيس لا تتمنى حب الظاهر، تصبح ما يقدمه لها ميلادها، لا تتطلع إلى زواج ثرى، ولا إلى مصادر القوة، ولا إلى الدبلوماسية، تسعى إلى نجومية أقل، أوليمب سان نيس، تريد أن تصبح طبيبة بيطرية.

صرحت لى ذات يوم عندما كنا نتحدث عن القطط أمام ممسحة الأقدام الخاصة بى: فى باريس لا يوجد سوى الحيوانات الصغيرة، أريد أيضاً بقرات، وخنازير.

أوليمب لا تتبع أى قواعد فى السلوك، مثل بعض المقيمين فى العمارة، مما يعنى أنها تتحدث مع البوابة لأنها تربت جيداً مع اليسار. دون رأى مسبق تكلمنى أوليمب لأن عندى قطًا، وهذا ما يدمجنا نحن ـ الاثنين ـ فى تجمعات ذات مصالح مشتركة، فليس من العدل وضع الحواجز التى يضعها المجتمع بدون توقف على طول طرقاتنا المضحكة.

قالت لى عندما فتحت لها الباب: يجب أن أحكى لكِ ما حدث مع القط كونستاتيو

قلت لها: ادخلى. أمامك فقط خمس دقائق.

ليس فقط أمامها خمس دقائق، لكنها سعيدة تماماً، تجد أن شخصا يحدثها عن القط والمآسى الصغيرة للقطط، بقيت ساعة شربت خلالها خمسة أكواب من الشاى.

نعم، أحب فعلا أوليمب سان -نيسِ.

"كونستاتيو" هو قط صغير، رائع ذو زغب كراماللى اللون، وأصابع وردية ناعمة، له شارب أبيض، وسيقان بنفسجية اللون، ينتمى إلى أسرة جوس، ومثل كل الحيوانات ذوات الزغب فهو يميل إلى أوليمب، إلى أقل قدر من الضراط عند المشى، حسنًا، هذا الشىء، عديم الجدوى، لكنه عاطفى، عمره ثلاث سنوات، يموء دائماً، طوال الليل، مما يحطم نعاس ملاكه.

سألت فى لحظة ما: لماذا؟ لأننا منهمكون فى التغاضى، حيث يرغب كل واحد أن يؤدى دوره بكفاءة.

قالت أوليمب: انه التهاب المثانة، التهاب المثانة.

لم تبلغ اوليمب سوى التاسعة عشرة، وتنتظر بجنون لا يحتمل أن تلتحق بكلية الطب البيطرى، هى تنتظر وتعمل بلا انقطاع، تأسف تماماً وهى تستمتع بالآلام التى تصيب حيوانات العمارة، والوحيدة التى يمكنها أن تختبرها بالتجربة.

كما أنها أعلنت لى تشخيص التهاب المثانة.

هتفت بكل حماس: التهاب المثانة.

تنهدت، وقد لمعت عيناها: نعم، التهاب مثانة الصغير المسكين، يتبول فى كل مكان ـ استعادت أنفاسها قبل أن تشرع فى التفسير ـ كان بوله ينزف بشكل ضعيف!.

يا إلهى، كم أن هذا رائع، قالت إن هناك دماً فى بوله، سرعان ما تمت معرفة الأمر، لكن اوليمب ترتدى ملابسها بشىء من الانفعال، وقد حملت مسئولية المصطلح الطبى بشكل خاص. أحسست بالسعادة، وأنا أسمع مثل هذا الكلام، هناك قليل من النزيف فى البول.. وبالنسبة إلىّ فإنها جملة خلاقة ترن بقوة فى الأذن، أستدعى عالمًا فريدًا يتسلى به من الأدب. لهذا السبب، أحب قراءة التعليمات الطبية والالتزام بدقة، المصطلح العلمى الذى يعطى معنى القسوة، والرعشة البسيطة، مما استلزم حيزاً زمنياً، فيه يغيب الإحساس بالجمال، والمعاناة الخلاقة وجذب بلا نهاية وبلا أمل فى الآفاق البعيدة السامية.

أكملت أوليمب: هناك مبحثان مختلفان بالنسبة لالتهاب المثانة، أن تكون جرثومة معدية أو فشلاً كلويًا، لقد جريت مثانته أولا، كى أتحقق أنها لم تبدأ فى الاحتباس.

قلت مندهشة: احتباس.

شرحت أوليمب: عندما يكون هناك فشل كلوى فإن القط لا يمكنه التبول، فإن مثانته تمتلئ، وتشكل نوعًا من "الاحتباس البولى" يمكن أن تحسها حين تجس البطن، لكن ليست هذه هى الحالة ولا يبدو عليه أنه يتألم عندما كنت أفحصه فقط، فهو يستمر فى التبول فى كل مكان.

لدىّ فكرة عن غرفة معيشة سولانج جوس التى تحولت إلى فراش عملاق ملىء بالكاتشب، لكن بالنسبة لأوليمب فالأمر لا يعدو أن يكون خسارة مضاعفة.

لقد قامت سولانج بعمل تحاليل للبول.

"كونستاتيو" ليس لديه شىء، ليس هناك فشل كلوى، وليست هناك جرثومة داخلية فى مثانته الصغيرة كالفستق، ليس هناك علاج بكتريولوجى مطروح، وعلى هذا، ورغم كل المضادات الحيوية للالتهابات، ومضاد للتشنجات والمضادات الحيوية، فإن "القط" كان عنيداً. سألت: ماذا به إذًا؟

قالت أوليمب: لن تصدقينى، إنه مصاب بالتهاب مثانة لا ينتقل بالعدوى بين الخلايا. قلت بشكل فاتن ومغر: يا إلهى. ما هذا؟

أجابت أوليمب ضاحكة.

- حسناً، كأن تقول إن القط مصاب بهستيريا، معوية، هذا يعنى أن التهابات المثانة لا تنقل العدوى دون أى سبب طبى محدد. باختصار عندما تضغط، فإنها تصاب بالتهابات المثانة، بالضبط مثلما عند النساء.

تساءلت بصوت عالٍ: لكن لأى سبب تضغط؟ فإذا كان القط فى حياته اليومية حيوان كسول، فليس هذا سوى مصطلحات بيطرية مزعجة تتضمن أن ندلك له المثانة، وبدافع الضغط.

ـ قال الطبيب البيطرى، القط وحده يعرف.

ـ من ناحية أخرى، قال لها بول جوس إنها بدينة، لا أعرف، هذا يعنى أنه لا أهمية.

ـ وكيف نعتنى به؟

قالت أوليمب وهى تمزح مثل البشر، نعطيه بروزاك.

قلت: بدون سخرية.

أجابتنى: بدون سخرية.

أخبرتكم جيداً. انه قط يعانى من المتاعب نفسها التى تصيب النساء المتحضرات، لا يجب أن تجعلها تصرخ بإهانة على العدوى من الإنسان من كائن أليف برىء، بل على العكس، فالقوة العميقة تنسج مصائر

الحيوانات، والشهية نفسها، فنحن نعيش، المتاعب نفسها، التى نعانيها.

قالت لى أوليمب: على كل حال، هذا يجعلنى أفكر عندما أعتنى بالحيوانات التى لا أعرفها ثم صامت، واستأذنت برقة.

- حسنًا، شكرًا، يا سيدة ميشيل، لا أقدر على الكلام عن كل هذا إلا معك.

قلت لها: العفو، يا أوليمب، كم أسعدنى هذا.

وتأهبت لإغلاق الباب وهى تقول لى:

ـ آه، هل تعرفين، أن آنا آرتين سوف تبيع شقتها، أعنى أن يكون لدى السكان قطط، هم أيضاً.

ـ ١٧ ـ

مؤخرة طائرة الخجل

آنا آرتين تبيع!

قلت الى ليو: آنا آرتين تبيع!

أجابنى أو على الأقل أحسست بهذا: وماذا؟

أعيش هنا منذ سبعة وعشرين عاماً، لم تغير أى شقة أُسرها، لقد تركت العجوز السيدة موريس مكانها إلى الشابة السيدة موريس أو شئ من هذا القبيل، أما بالنسبة لآل بادواز، وآل جوس، وآل روزن فإن آل آرتين وصلوا فى الوقت نفسه الذى وصلنا فيه، لقد أصابتنا الشيخوخة معاً، أما بالنسبة لآل بروجلى، فهم هنا منذ وقت طويل جدا، يشغلون نفس الأماكن، مما جعلنى أعرف ما هو سن السيد المستشار، إنه شاب، يبدو عجوزًا، ورغم أنه عجوز، فإنه يبدو شابًا.

كانت آنا آرتين، فى فترتى كبوابة، هى أول من باعت ممتلكاتها وغيرت اسمها بشكل فضولى. هذا

المنظور أخافنى، هل أسكن منذ بدايتى الخالدة داخل منظور تغيرت فرضياته، وغرقت فى نهر الزمن، منذ أن كنت تلميذة، نحن نعيش كل يوم كأننا يجب أن نولد من جديد فى اليوم التالى والبناية القائمة فى ٧ شارع جرنيل، نتجه صباحاً بعد صباح نحو الخلود تبدو لى فجأة مثل جزيرة صغيرة تناوشها العواصف.

بقوة مزعزعة، أمسكت سلتى ذات العجلات، تاركة ليو هناك وهو يزمجر خفيفاً، يوجهنى بخطوة مترنحة نحو الممشى، ثم إلى شارع جرنيل، ثم شارع بك، محل موثق عقود ملىء بالورق المقوى المستعمل، نظرت إلى جيجن نظرة تعنى أننى وقعت فريسة لعنكبوت.

قال لى وهو يضحك مازحًا: حسنًا، الأم ميشيل، مازالت قطتك مفقودة.

هناك على الأقل شىء لا يتغير: جيجن متشرد، منذ بضع سنوات يقضى الشتاء هنا، فوق هذا الورق المقوى المستعمل، فى زى قديم يعطيه الإحساس أنه مفاوض روسى من نهاية القرن، يرتديه، عابرًا الزمن بكل دهشة.

قلت له كالعادة: يجب أن تذهب إلى المنزل، سوف يكون الليل شديد البرودة، برطم: آه، آه.. إلى المنزل.. أريد أن أراك أنت هناك، الجو هنا أفضل.

مررت فى طريقى، ثم، تملكنى الندم، وعدت إليه.

ـ أريد أن أخبرك.. أن السيد آرتين مات هذه الليلة.

سألنى جيجن، وقد بدا اللمعان فجأة فى عينيه، موجهًا خرطومه مثل كلب صيد ومؤخرة طائرة الحجل: الناقد؟

ـ نعم، نعم، الناقد، توقف قلبه فجأة.

كرر جيجن، وقد بدا عليه التأثر تماماً: آه أخرق، آه إنسان أخرق.

سألت. كى أقول أى شىء: هل تعرفه؟

كرر المتشرد: آه أخرق، إنسان أخرق، هل كان من الأفضل أن يرحل أولاً!.

خاطرت أن أقول، مبغوتة بدوران تأخذه الأشياء.

أجاب جيجن: أيتها الأم ميشيل هناك شباب، لم يفعلوا مثلما فعل.

ـ آه، الأخرق "كرر" سوف أفتقد هذا الشخص المتسامح.

– هل أعطاك شيئاً ما، ربما مبلغاً لعيد الميلاد؟

نظر جيجن إلىّ، وهو ينفخ، ويبصق أسفل قدميه.

ـ لا شىء، فى عشر سنوات، ولا مليم، ماذا تعتقد آآآه، لا شىء يقال.

إنها سماؤه المقدسة، لم تفعل شيئًا، لم تفعل شيئًا أبدًا.

هذا التبادل الصغير يقلقنى، وبينما أمسح ممر الممشى، ملأ جيجن داخلى بكل الأفكار، فأنا لم

أقرض قط الفقراء ذوى النفوس الكبرى تحت ادعاء أنهم فقراء، لكن بسبب ظلم الحياة، أعتقد أنه يجمعهم حقد الملاك الكبار، لقد هدانى جيجن وعلمنى أنه: إذا كان هناك شىء فإن الفقراء يكرهون بعضهم، إنهم فقراء آخرون.

فى الواقع، فهذا ليس عبثًا.

اجتزت الممشى، متجهة إلى ركن الجبن، اشتريت جبنًا حريفًا وقطعة صغيرة من اللحم.

- ١٨ -

ريابينين

عندما أكون خائفة، فإننى أبحث عن ملجأ. لست فى حاجة إلى السفر، أذهب لألحق بأفلاك ذاكرتى الأدبية، تكفى أن أمارسها، لأن هذا أكثر نبلا، أليس كذلك، وأكثر تسلية فى الصحبة، أى أكثر تأثيرًا من الأدب!

هأنذا أمام معرض الزيتون، وأنا أفكر فى ريابينين، لماذا ريابينين؟ لأن جيجن يرتدى ردنجوت متهالكًا به رقعة طويلة مزدانة بالأزرار منخفضة من الخلف..

مما جعلنى أفكر فى ريابينين، فى "آنا كارنينا(*)"، ريابينين، مفاوض فى الغابة يرتدى الردنجوت، جاء إلى منزل ليفين الأرستقراطى الرقيق

(*) آنَّا كارنينا: العمل الشهير للكاتب الروسى تولستوى، تحول إلى السينما فى شتى أرجاء العالم، وظهر فى السينما العربية بعنوان «نهر الحب».

كى يبرم عقد بيع مع ستيبان أوبلونسكى الأرستقراطى الموسكوفى، المفاوض، أقسم بكل الآلهة إن اوبلونسكى كسب الرهان بينما اتهمه ليفين بنهب صديقه فى الغابة. المشهد سبقه حوار سأل فيه ليفين أوبلونسكى اذا كان قد قام بعد الأشجار فى غابته.

هتف الرجل الراقى: كيف أعد.. هذه الأشجار أشبه بعد الرمال فى البحر!.

عكس ليفين حجته معلقًا: كن واثقاً أكثر أن ريابينين قد عدها.

اتذكر بصفة خاصة تفاصيل هذا المشهد، أولا لأنه دار فى بكروفسكرى، فى الريف الروسىِ، نعم، فى الريف الروسى. هناك هذا السحر الخاص.. ببقع متوحشة متوحدة مع الإنسان بواسطة قوة الأرض التى صنعناها جميعاً.. المشهد الأجمل فى "انَّا كارنينا" يدور فى بوكروفسكوى، ليفين حزين ومكتئب محاولا نسيان كيتى، فى الربيع، يذهب إلى الحقول يحصد مع فلاحيه، يبدو له الواجب شديد الصرامة والخشونة، وفيما بعد، يصرخ عالياً، عندما قادنى الفلاح العجوز إلى مكان عمله، راح الحصاد يستعيد نشاطه من جديد، سقط ليفين منهكاً، لكن فى مرة ثانية نهض العجوز، مستريحاً واستعاد الأمر مساره، أربعون شاباً يقومون بالحصاد، يتقدمون نحو النهر، بينما الشمس تشرق، ويزداد الجو حرارة شيئاً فشيئاً، وقد تبللت ذراعا وكتفا ليفين بالعرق، لحساب التوقف، ومعاودة

العمل، بدت حركاته أولا يسارية ومؤلمة تؤدى بأسلوب سهل شيئًا فشيئًا، طراوة تبعث السعادة حطت فجأة على ظهره، مطر الصيف، تخفف حركاته وتعرقل إرادته، دخل فى مرحلة تحول خفيف منحت التميز آلية دون تفكير أو حساب، ويحرك الغلط نفسه بينما ابتهج ليفين لهذا الاندماج فى الحركة التى ولدت السعادة.

وهكذا نجد اللحظات الجميلة لوجودنا، متخفية من عبء القرار، تتماوج النيات فوق بحارنا الداخلية، نحضر أفعال الآخر حركاتنا المتعددة، ونحن نعجب دائماً بالإرادة المتميزة، أى سبب آخر يمكننى أن أكتب عنه، هذه اليوميات الساخرة لعجوز تشيخ إذا لم تمسك الكتابة نفسها بعملية الحصاد؟ عندما تصبح الكتابات مبدعها، عندما أتواجد، أصير مثل مجهول إعجازى، تتوالد الجمل فوق الورق التى تهرب من ارادتى، وتفسح رغماً عنى على الورق، تعرفنى ما لا أعرفه ولا أؤمن به، أتمتع بهذه الولادة بدون ألم لهذا الوضوح الجلى، أتابع بدون جهد ولا يقين، بسعادة الدهشات المخلصة، فهذه ريشة تقودنى وتحملنى.

وهكذا أدخل بكل وضوح، فى نسيان ذاتى شاعرة بالمتعة، أتذوق السعادة فى وعيىّ الهادئ لمشاهدى.

أخيرًا، صعد إلى العربة، ريابينين شكا بقلب مفتوح إلى تابعه على طريقة السادة المهذبين.

سألت بشجاعة: وبالنسبة إلى مسألة الشراء يا ميكائيل اجناتيتش؟

أجاب المفاوض: هيه.. هيه..

مثلما نتحاسب بسرعة، من الظاهر ومن الباطن، وذكاء الكيان.. ريابينين الذى كان يعد رمال البحر، هو مضحك حاذق. ويدوى لامع، لم يطبق الإحكام التى يحملها على شخصيته، ولد ذكياً ومنبوذاً، المجد لا يعذبه ، فقط يلقيه فى الشارع مع وعد الاستفادة، المهم عنده أن يذهب كى يسلب بأدب سادة نظام غبى يكن له الاحتقار، لكنه لا يعرف كيف يفرمله، وهكذا أنا، بوابة مسكينة. مهتمة بغياب الآبهة ـ لكنها خاضعة لنظام يتصاعد بمهابة، أتهكم بكل رقة، كل يوم وبضمير داخلى لم يدخل إليه أحد من قبل.

فكرة عميقة رقم ٨

إذا نسيت المستقبل

فأنت تخسر

الحاضر

اليوم ذهبنا إلى شاتو لرؤية مامى جوس. أم أبى، التى تقيم فى دار المسنين منذ أسبوعين، ذهب أبى معها عندما استقرت هناك، ذهبنا جميعاً، مامى لا يمكنها أن تعيش وحدها فى مثل هذا المنزل الكبير فى شاتو: فهى تقريبًا عمياء، ولديها التهاب مفاصل وغير قادرة تقريباً على المشى، أو أن تمسك شيئاً بيديها، هى خائفة من الوحدة، أطفالها لأبى، وعمى فرانسا، وعمتى لور، حاولوا استحضار ممرضة خاصة، لكنها لم تتمكن من البقاء أربعًا وعشرين ساعة، دون أن تدعو صديقات مامى اللاتى كن أيضاً فى منزل المسنين، وبدا هذا حلا طيباً.

منـزل مـعـاش جـدتى، هـو شـىء مـا، أتسـاءل كم يتكلف فى الشهر، غرفة جدتى واسعة ومشمسة وبها أثاث جميل، وستائر بديعة، وصالة صغيرة، وبانيو من الرخام، اندهشت أمى وكولومب أمام البانيو الرخامى، كأن هذا هو الأقل أهمية بالنسبة إلى جدتى أن البانيو من الرخام وأن أصابعه من الخرسانة.. زيادة على أن الرخام قبيح، لم يقل أبى شيئًا مهمًا، أعرف أنه يحس بالذنب؛ لأن أمه تعيش فى دار المسنين، لن نذهب دون أن نأخذها معنا؟ قالت أمى عندما اعتقدت الاثنتان أننى لم أسمع "لكنى أسمع كل شىء، خاصة ما لا يخصنى"، ردد أبى "لا، سولانج، بالتأكيد له.. وذلك بصوت يعنى أن يقول: "أفعل، مثلما أفكر فى العكس وأنا أقول "لا، لا" بمظهر ملول ومستسلم، زوج طيب يستسلم، وهكذا حفظت الدور.. أعرف جيداً هذه النبرة عند أبى، إنها تعنى "أعرف أننى جبان ولكن علىّ أن أقول ذلك لنفسى.. كما قالت أمى وهى توازن بغضب ممسحة فى الحوض، بمجرد ما تكون غاضبة، وجادة يجب أن تلقى شيئا ما.. ذات مرة، ألقت بالقط كونستاتيو، ألم تعودى ترغبين فىّ.. استعادت الممسحة وراحت تحركها تحت عينى أبى الذى قال "على كل.. لقد حدث ذلك، طالما أن كلمة "جبان" تساوى عشرة أمثالها.

أنا، سعيدة أن جدتى لم تأت لتعيش معنا، فى مساحة أربعمائة متر مربع. لن تكون هناك مشكلة، أجد أن العواجيز لديهم الحق فى أن نكن لهن بعض

الاحترام، ومع ذلك، أن تكون فى منزل العجائز، بالتأكيد، هو منتهى الاحترام، وعندما نذهب إلى هناك فهذا معناه "لقد انتهيت" أنا لم أعد شيئاً، العالم كله يفهم ذلك، ومن بينهم أنا، لا تنتظر جدتى شيئًا واحدًا، الموت النهاية الحزينة للملل، لا، السبب الذى من أجله أرغب أن تأتى جدتى عندنا، حتى وإن كنت لا أحب جدتى، فهى عجوز قذرة، بعد أن كانت شريرة شابة، أجد هذا أيضاً أنه غير عادل: خذ مثلاً، عندما يصبح المرء عجوزاً جدًا، وأنه لم يفعل سوى الخير من حوله، أو أنه يعرف كيف يخلق الحب، ويمنحه ويأخذه، فهو ينسج العلاقات الإنسانية، الحساسة، زوجته ماتت، أطفال لا يملكون أى نقود، لكن هم أيضاً يملأهم الأطفال الذين يجب أن يولدوا وتتم تربيتهم، بالإضافة إلى أنهم يسكنون فى أطراف فرنسا، يضعونهم فى دار المسنين قريباً من قرية حيث ولدوا، وحيث لا يمكن لأبنائه الحضور لرؤيته مرتين فى العام، ودار المسنين صنعت للفقير، حيث يجب أن يشاركه أحد غرفته، وحيث يزداد معدل التهام الطعام، وحيث يناضل الشخص ضد ثقته فيما يتكبده فى اليوم نفسه الذى يخرج متألماً من دار المسنين، خذ الآن جدتى كمثال، فهى لم تقم شيئاً فى حياتها سوى مجموعة كبيرة من حفلات الاستقبالات، والابتسامات، والمكائد، والمصاريف الخفية، والخبيثة، وأعتبر أن لديها الحق فى غرفة غنج، صالة خاصة، وأصداف سان - جاك للغداء عند الظهيرة، هل هذا

هو الثمن الذى ندفعه فى نهاية الحياة، دون أمل فى اختلاط قذر؟ هل هذه هى مكافأة فقدان الشهية الفعالة، بانيو من الرخام فى بناية متهالكة!

إذًا، أنا لا أحب جدتى التى لم تحبنى كثيرًا، على العكس، فهى تعشق كولومب أكثر مما تحبنى. أختى تترقب الميراث، أما أنا فلم أترقب أبداً هذه المسألة، أعتقد أن هذا اليوم فى شاتو سيكون مليئاً بالإمكان وكولومب وأمى تستمتعان بالبانيو، وأبى الذى يبدو عليه أنه التهم مظلته، وعواجيز يتجففون ويغنون فى الممرات مع كل حقن متواصل، مجنونة "مصابة بالزهايمر" قالت كولومب دون أن تضحك!، التى تسمينى "كلارا جميلة.. صرخت ثانيتين بعد أن قادت كلبها لتوها وهى تمد لى خاتمها الألماس الضخم.. كمحاولة للهروب! كما أن موظفى البيت أيضاً لديهم سلسلة إلكترونية يضعونها حول المعصم، عندما يحاولون إخراج الحامل من دارها، يتجهون نحو الاستقبال المنهزم "الجبان"، ومن يحتج بقوة ليس أمامه سوى الذهاب إلى معسكر الاعتقال "الجولاج(*)"، يطلب أن يتكلم إلى المدير بحركات غريبة يضعونه فوق مقعد متحرك، السيدة التى وخزت خصمها العابر تغيرت بعد الغداء، أضفت صفة الهروب على هيئتها، فستان مع دوائر تملأ الثوب كله، عملى جدًا كى يتسلق الأسوار. باختصار فى الساعة

(*) الجولاج: Goulage هو معسكر اعتقال سوفيتى، كانت قوات الأمن الشيوعية ترسل إليه أبرز المعارضين السياسيين، وقد كتب عن هذا المعسكر الكاتب سولجنتسين روايته «ارخبيل الجولاج».

الثانية بعد البانيو، وقواقع سان جاك، والهروب الاستعراضى لادمون دانت(*)، كنت مؤهلة لمواجهة اليأس.

فجأة تذكرت أننى قررت أن أبنى، وليس أن أهدم، نظرت حولى وأنا أبحث عن شىء إيجابى، تجنب النظر إلى كولومب، لم أجد شيئاً، كل هؤلاء الناس الذين ينتظرون الموت لا يعرفون كيف يتصرفون، ثم تحدث معجزة، أعطتنى كولومب الحل. نعم، كولومب، عندما غادرنا المكان، بعد أن عانقنا جدتى ووعدناها أن نعود قريباً، قالت لى أختى: حسناً، جدتى تبدو مرتاحة فى مقرها، أما الباقى.. سوف نتعجل النسيان بسرعة شديدة، لنناقش موضوع التعجل بسرعة شديدة، إنه سيكون حقيراً ونركز على فكرة "النسيان بأقصى سرعة".

على العكس، يجب ألا ننسى الموضوع، يجب ألا ننسى كبار السن ذوى الأجساد المتهالكة، هؤلاء العواجيز المشرفون على الموت، والشباب الذين لا يريدون التفكير فى هذا، يرسلون بالوالدين العجائز إلى دار المسنين، عليهم اصطحاب الآباء دون فضيحة أو ارتباك، أجواء السعادة فى الساعات الأخيرة التى يجب أن نستغلها فى الأعماق، وأن فى الملل، والمرارة والتكرار يجب ألا ننسى أن الجسد ينهك وأن

(*) ادمون دانت: هو البطل الرئيسى لرواية «الكونت دى مونت كريستو» التى كتبها الكسندر ديماس عام ١٨٤٨، وقد تعرض لوشاية من أربعة أشخاص داخل فى السجن. فلما هرب صار عليه أن ينتقم منهم.

الأصدقاء يموتون، وأن كل شىء سوف ينسى وأن النهاية تصبح وحيدة، علينا ألا ننسى أن هؤلاء العواجيز كانوا شباباً، وأنهم كانوا فى سن العشرين يوماً ما وأصبحوا فى الثمانين فى اليوم التالى.

كولومب تؤمن أنها يمكن أن "تتعجل النسيان"، لأن هذا بعيد بالنسبة لها، لديها منظور أن الشيخوخة عندها لن تصل أبداً إليها.

أما أنا، فقد أدركت أن الحياة تمر فى اللا زمن، ونظرت إلى البالغين حولى، وهم فى عجل تحت ضغوط حلول الأجل متلهفين اليوم الحاضر، لا يفكرون فى الغد.. نحن نخشى الغد، لأننا لا نعرف كيف نبنى الحاضر، وعندما نعرف كيف نبنى الحاضر، فإننا سوف نحكى ما يمكن أن نفعله غداً، هذا فاشل لأن غدا ينتهى دائماً بأن يصبح اليوم، هل تصدقون هذا؟

إذًا، يجب ألا ننسى هذا، يجب أن نعيش هذه الحقيقة وهى أننا سنشيخ، ولن يكون هذا جميلاً، لا جيداً ولا مبهجا، وأن نقول إن الآن هو الذى يهم الآن، أى شىء، بكل ثمن، بكل قوة، نحن نعى فى أعماقنا أن دار المسنين يتم تجاوزها، وأنها كيان خالد ونحن نحفر خطوة خطوة فى الجبل العالى، ونحن نجعله خطوة يصنع بعضًا من الخلود.

المستقبل، يفيدنى فى بناء الحاضر مع مشاريع حقيقية للأحياء.

من قواعد اللغة

- ١ -

منتهى الصغر

فى هـذا الـصـبـاح، قـدمـت لـى جـاسـيـنـت روزن، المالك الجديد لشقة آل آرتين نفسه.

إنه يـدعـى كـاكورو أو شـىء من هـذا القـبيـل، لـم أسمع جـيدًا لأن السـيدة روزن كانت تتـكلم دائماً وكأنـهـا تضـع حشـرة فى فمـهـا، انفتح بـاب المصعد فى هـذه اللحظـة الثـمـينـة كى تـترك المـمـر إلى الـسـيـد بـالـلـيـر الأب، وقـد كـسـى جـسـمـه كـلـه بـالملابـس ابتـعـد عـنـى بـخـطـوته المرتجـة والمهـتـزة بتـعجل صناعى.

الساكن الجديد هو سيد فى الستينات من العمر، بالغ الحضور، وشديد اليابانية، قصير، نحيف، الوجه مـجـعـد لكنه مضبوط، تنم هـويته عن شـخـص طيب، لكننى أحس أيضاً أنه صاحب قراره، مبهج، وذو إرادة قوية.

بالنسبة إلى الوقت، فهو صبور دون أن يحرك حاجبه استياء إزاء الثرثرة الهستيرية لجاسينت روزن. كأنه دجاجة أمام جبل من الحبوب.

ردد كلماته الأولى، والوحيدة بفرنسية مرتجلة: صباح الخير يا سيدتى.

أحمل على ظهرى ملابس البوابة القديمة. الأمر يتعلق بساكن جديد، بحيث إن قوة العادة لا تجبر ولا ترغم، يجب أن أبذل مجهودًا خارقًا خاصًا رغم غبائى. أحدق إذًا فى "نعم، نعم، نعم واهية فى إجابة جاسينت روزن العنيدة المجنونة.

- سترين إلى السيد شيئا "شيًا" ما موضع الخدمة.

- هل يمكنك أن تشرحى للسيد شيئا ما "شيا" عن توزيع البريد؟

- سوف يأتى عمال الديكور يوم الجمعة، هل يمكنك أن ترصد شيئا "شيا" ما للسيد بين العاشرة، والعاشرة والنصف.

إلخ.

لم يبد السيد شيئًا ما أى قلق، وانتظر بأدب جم وهو ينظر لىّ بابتسامة رقيقة. اعتبرت أن الأمر برمته مر بسلام، ليس هناك سوى انتظار، أن تشعر السيدة روزن بالملل، وأستطيع أن أعود إلى عرينى.

ثم هكذا.

سألتنى الدجاجة:

- لم يتم تنظيف الممسحة التى أمام باب آل آرتين. هل يمكنك أن تفعلى هذا؟

لماذا يجب أن تتحول الملهاة دوماً إلى مأساة؟ بالتأكيد. يحدث لى أن أقترف الخطأ رغم أن هذا أشبه بسلاح.

سألت شابرو كنوع من التعبير عن أساليبى الغريبة: هل هو نوع من السداد؟

لست حساسة للغاية بحيث إن الابتعاد لمسافة قصيرة تفقدنى عقلى، يجب أن أحب فى الآخرين ما يسيطرون به على أنفسهم، من ناحية أخرى، فإن جاسينت روزن وحشرتها فى فمها قد ولت إلى بوندى فى دريزين العمارات فى أغوار السلم غير النظيفة، وكم تسامحت معها. ليس لدى بالنسبة للسيدة أى توافق لغوى حين استقبالها.

هذه هى المأساة: ارتجفت بشكل خفى فى اللحظة نفسها، حيث ارتجف السيد "شىء ما" أيضاً، بينما التقت نظراتنا، ومنذ هذه اللحظة المتناهية الصغر من الزمن، أحسست أننا أخوان فى اللغة وفى المعاناة المتصلة التى تمسنا، وتجعل أجسادنا ترتعد، وتظهر اضطراباتنا للنور، نظر السيد "شىء ما" إلىّ بعين مختلفة.

عين بالمرصاد

تكلم إلىّ

قال لى:

- هل تعرفين آل آرتين؟ قيل لى إنها أسرة غريبة جداً.

أجبت لتوى: لا، أنا لا أعرفهم بشكل خاص، إنها أسرة مثل بقية الأسر هنا.

قالت السيدة روزن التى بدت قلقة بشكل واضح: نعم، أسرة سعيدة.

تمتمت كى أتخلص من المهمة: أنت تعرفين أن كل الأسر السعيدة متشابهة، لا شىء يقال.

قال وهو ينظر لىّ بشكل غريب، رغم أن النظرة جديدة، سعلت: لكن لكل أسرة تعيسة طريقتها.

أجل، أقسم، لقد سعلت ـ لكن بشكل غير ظاهر: لقد أفلت منى الأمر، إنه أمر أقوى منى، فقدت السيطرة على نفسى.

المصائب لاتأتى فرادى. اختار ليو هذه اللحظة بالذات كى يدخل بين سيقاننا، وهو يمرق بمودة فى ممر السيد "شىء ما" قال لى:

ـ عندى قطان، هل أستطيع أن أعرف ما اسم قطك؟

أجابت جاسينت روزن نيابة عنى: "ليو" وهى تزلج ذراعها تحته.. وتشركنى دون أن تنظر لىّ، وكأنها تدله

إلى المصعد، بكل رقته المتناهية، وضع يده فوق مقدمة ذراعه، وحركها فى رقة، قال لى:

ـ شكراً يا سيدتى.

وترك نفسه تحمله دواجنه.

ـ ٢ ـ

فى لحظة امتنان

هل تعرف ماذا يعنى "الإخفاء"؟ الذى جعله علماء النفس ثمرة المناورات الداخلية الماكرة. لوعى خفى.

يا لها من نظرية صحيحة. فى الحقيقة فإن الإخفاء هو العلامة الأكثر لمعاناً لقوة إرادتنا الواعية: عندما تتعارض مشاعرنا، فإننا نستخدم كل الخدع للوصول إلى النهايات.

قلت لـ ليو الذى استعاد حيوته أريد أن أنزع قناعى. أقسم، أن أتآمر مع العالم كى أبلغ رغبتى.

"كل الأسر السعيدة متشابهة، لكن لكل من الأسر التعيسة طريقتها" هى أول جملة فى رواية آنا كارنينا، التى لا أذكر متى قرأتها، وأنا البوابة المثالية، وأنها لا تتفق معى. انتفض، عند الجزء الثانى من هذه الجملة، فى لحظة امتنان، دون أن تعرف أنها جاءت من تولستوى، لأنه إذا كان الصغار حساسين دون أن

يعرفوا الأدب العظيم، فلا يمكن أن تزعم أن المثقفين يضعونها.

قضيت يوماً أحاول إقناع نفسى أننى مهووسة بدون سبب، وأن السيد "شىء ما" الذى كان عليه حمل حافظة معبأة بالنقود بشكل كافٍ كى يشترى الدور الرابع لديه موضوعات أخرى، وانشغالات أكثر من الأعراض باركسنينية من بوابة متخلفة.

فى نحو الساعة السابعة، طرق شاب بابى، قال لى بوضوح ظاهر:

ـ صباح الخير يا سيدتى، اسمى بول نيجوين، أنا السكرتير الخاص للسيد أوزو.

ومد لى بطاقته.

هذا رقم هاتفى المحمول، هناك فنيون جاءوا يعملون فى شقة السيد أوزو، لا نريد أن يشكل هذا عبئاً من العمل الإضافى، عند أية مشكلة، استدعينى وسوف آت بأسرع ما يمكن.

سوف تعلق على هذه النقطة من العقدة أن الكوميديا الإسبانية مجردة من الحوارات كى نعرف أن الخطوط الصغيرة عبارة عن تتابع لفعل ما مستقل رأيه فيما يخص الكلام.

كان يجب أن يكون الرد عليه شىء مثل:

– أنا مبتهجة يا سيد.

ثم: حسنًا، لن أخفق فى هذا.

لكن لا يوجد أى إعلان جهراً.

هو ليس فى حاجة أن يعرف أننى صامتة، لدىّ الوعى أن فمى يمكن أن يكون مفتوحًا، لكن لا يخرج منى أى صوت، أنا مشفقة على هذا الشاب الوسيم، المرغم أن يتأمل ضفدعة تزن سبعين كيلو تسمى رينيه.

عند هذا الحد من اللقاء، فالعادة أن الشخص الرئيسى يسأل:

- هل تتكلم الفرنسية؟

ابتسم بول نيجوين لى وانتظر.

فى مقابل مجهود "هرقلى" أستطيع أن أقول شيئاً:

فى الحقيقة، فإن هذا أولاً نوع من:

- الجرنوبل.

مازال ينتظر بنفس التفانى الرائع، قلت بصعوبة شديدة، وبصوت يعكس شكله الأشبه ببول براينر(*):

ـ السيد أوزو؟

قال لى: نعم، السيد أوزو، ألا تعرفين اسمه؟

قلت بصعوبة: نعم، لم أفهمه جيداً، كيف يكتب هذا؟

(*) يول براينر (١٩٢٠ ـ ١٩٨٥م): ممثل أمريكى من أصل روسى، اشتهر بأدواره الشخصيات أجنبية فى أفلام أمريكية مثل: «الأخوة كرامازوف» «الوصايا العشرة» «تراس بوليا».

قال لى: أوزو، وتنطق الواو.. مثل "و".

قلت: آه.. حسناً، إنه يابانى.

قال لى: فعلاً، يا سيدتى، السيد أوزو يابانى.

أخذ وقته بلطف، أطلقت عليه تحية المساء من أعماقى، وأعدت إغلاق بابى، وأنا أجلس فوق مقعد ليو المتكسر.

السيد أوزو، تساءلت هل أنا فى حلم مجنون، مثير، ماكيافيللى(*) للأحداث، أمطاره متقطعة، وختامه فى قميص نوم مع قط سمين فوق القدم، ومنبه منضبط على محطة إذاعة فرانس انتير.

لكن نحن نعرف، فى الأعماق، أن الحلم واليقظة ليسا من البذرة نفسها، ومن خلال كشف إصغاء الإدراك الحسى، أعرف بكل تأكيد أننى متيقظة.

السيد أوزو! هل هو ابن المخرج اليابانى السينمائى أم ابن أخيه، أم قريبه من بعيد، حسناً.

(*) ماكيافيللى (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧م) مؤرخ سياسى إيطالى من أبرز كتبه «الأمير» عام ١٥١٢ الذى رأى فيه أن الغاية تبرر الوسيلة.

فكرة عميقة رقم ٩

إذا كنت سيدة عدوة

مكرونة فى بيت آل الادرويه

لا تعتقدى

أنك يمكن أن تردمى

ما وراءه

الرجل الذى اشترى مسكن آل آرتين هو يابانى، يسمى كاكورو أوزو!.

كان يجب أن يموت هذا قبل أن أموت! اثنا عشر عاماً ونصف فى حاجة إلى الثقافة، وأن يبقى يابانياً، يجب أن يعد حقائبه.. حقاً إن هذا أمر ظالم.

ولكن أنا أرى، على الأقل، الجانب الإيجابى للأشياء: إنه هنا، نعم هنا، لقد أجرينا، بالأمس حديثًا بالغ الأهمية. فى البداية، يجب أن أقول إن كل الذين

يقيمون هنا حساسون تماماً من السيد أوزو، أمى لا تتكلم إلا عنه، وأبى يستمع إليها، كالعادة، إنه يفكر فى شىء آخر عندما يتناول أمور الأعمال الصغيرة للعمارة.

فى العمارة ٧ شارع جرنيل، جاءت السيدة بروجلى لتناول الشاى فى شقتنا، نحن نسكن الدور الخامس فوق الشقة السابقة لأسرة آرتين فى أيامها الأخيرة، كانوا جميعًا يعملون أعمالاً ضخمة: من الواضح أن السيد اوزو قرر أن يغير العالم كله، انتابته الرغبة لرؤية التغيرات، فى عالم يقوم على الآراء البالية مثل أن انزلاق الحصوة فوق مهبط الشاطئ الصخرى يفتقد إثارة نوبات قلبية متتابعة، وعندما يفجر أحدهم الجبل، باختصار فإن السيدة بروجلى ترغب بشدة أن تلقى نظرة على الدور الرابع، نجحت فى أن تدعوها أمى عندما قابلتها الأسبوع الماضى فى البهو. وهل تعرف السبب؟ إنها غريبة، السيدة بروجلى هى زوجة السيد بروجلى، مستشار الدولة الذى يسكن فى الدور الأول، انضم إلى مستشارى الدولة فى عهد جيسكار ديستان(*) وهو شخص محافظ لا يطلق أية تحية على العابرين، تسميه كولومب الفاشى العجوز، لأنها لم تقرأ أبداً ما يتعلق بالقوانين الفرنسية، يعامله أبى كنموذج مثالى للأفكار السياسية، زوجته تؤكد: أنه حائك، سواء من اللؤلؤ. أو الشفاة المزمومة هناك عدد

(*) جيسكار ديستان (١٩٢٦م) رئيس فرنسى سابق بين عامى ١٩٧٤، ١٩٨١ اتجه فى عام ٢٠٠٩ لتأليف الروايات.

كبير من الأطفال الصغار، هناك طفلان صغيران وشخصان رسميان، جريجوار أو ماريا، حتى هذه، فإنها تحيّى أمى بالكاد. هى اشتراكية. حيث الشعر مصبوغ، والحذاء مدبب من الأمام، لكن، فى الأسبوع الأخير باغتتنا كأن حياتها متعلقة بذلك. كنا فى البهو، عائدين من التبضع بدت أمى فى أحسن حالاتها، لأنها عثرت على مفرش من الكتان الملون بمبلغ مائتى وأربعين يورو. هنا، اعتقدت أننى أصابتنى ملوثات سمعية، وبعد تحية "صباح الخير يا سيدى" كالعادة، قالت مدام بروجلى لأمى: "لدّى شىء أريد أن أسألك فيه، وكأن ألمًا فى فمها، قالت أمى وهى تبتسم "أرجوك. هذه حفيدتى، ليست فى أفضل حال. أعتقد أنها يجب أن تتناول ترياقاً "حقاً؟". قالت أمى وهى تبتسم أكثر "آه. أوه، أنت ترين، نوع من التحليل النفسى" بدت السيدة بروجلى كأنها حلزون فى وسط الصحراء. لكنها تماسكت رغما عنها، قالت أمى "نعم، أفهم جيدًا، ترى كيف أكون مفيدة، يا عزيزتى؟" حسنًا. قلت أنت تعرفين هذا النوع من.. أخيراً.. هذا النوع من التقارب. كم أحب التحاور معك..؟. لم تلتفت أمى إلى ثروتها الطيبة: مفرش من الكتان، منظور يعبر عن علمها بالتحليل النفسى، جعلتها السيدة بروجلى ترقص من سبعة أحجبة -آه، نعم، يوم جميل! رغم ذلك فهى لا تستطيع إنه المقاومة، لأنها تعرف جيداً أن الأخرى تريد أن تأتى، أمى لديها تفكيرها القروى تعرف جيدًا أنه فى اليوم الذى سوف يهتم فيه

آل بروجلى بالتحليل النفسى، فإن الديجوليين سوف ينشدون أغنيتهم الدولية المفضلة، فجأة صار اسمى "نقطة الدور الخامس موجودة فوق الرابع"، كمانشيت للسيدة بروجلى يدل على حسن النوايا، واتساع روح الاشتراكيين الذين سبق لهم إثارة بعض المتاعب الصغيرة.

لكن سألته بكل النوايا الحسنة، يا عزيزتى، هل تودين أن أمر عليك. ذات مساء كى نتناقش؟ بدت الأخرى فى اضطراب وحيرة وحدة تحتسب لهذا الحدث المفاجئ، سرعان ما تماسكت كسيدة مجتمع، وقالت "لا، لا، لا أريد لك عناء النزول، سوف أصعد إليك"، كان لأمى قناعها الصغير، لم تصبر، قالت: حسنًا، أنا هناك بعد الظهيرة. لماذا لا تأتى لتناول فنجان قهوة فى الخامسة مساء؟

كان حفل الشاى رائعًا، تصرفت أمى كما كان يجب: خدمة الشاى الذهبى المقدم من أمى والفراشات الخضراء والوردية، وقرص الحلوى باللوز والسكر من محل لاديويه، ورغم ذلك السكر المستدير "علامة الشمال" فإن السيدة بروجلى قضت ربع ساعة رائعة فوق البسطة السفلى، بدت كأنها مرتبكة قليلاً لكنها تبدو راضية بدت عليها الدهشة. أيضاً أعتقد أنها تخيلت الأمر بوجهه أخرى، لقد عزفت لها أمى كل التوليفات الموسيقية بطرق رائعة، وأحاديث عالمية متضمنة تعليقًا رائعًا عن بيوت القهوة الجيدة، قبل أن تميل رأسها جانباً بطريقة عاطفية، وتقول: "إذًا،

سيدتى العزيزة لقد فعلت ما بوسعك لحفيدتك؟" "هم. آه، نعم" قالت الأخرى التى نسيت تقريباً حجتها وتسعى الآن كى تجد شيئاً لتقوله، حسناً إنها مكتئبة، وهذا هو الشىء الوحيد الذى فتح عليها بها، لقد مرت أمى بسرعة خارقة، وبعد كل هذا الكرم، حان الوقت لتقديم الفاتورة، كان للسيدة بروجلى الحق فى درس داخلى حول الفرويدية، متضمناً بعض الطرائف الفاضحة حول العادات الجنسية. للمسيح وحوارييه "مع مقطع حول ميلانى كلاين" وزخرفة بعض المراجع حول نية التعليم الفرنسى الشمولية.

تصرفت السيدة بروجلى كمسيحية ملتزمة، وأطالت المواجهة بنوع من صلابة مدهشة، وهى مقتنعة بقضاء عقوبة الفضولية بنفقة قليلة.

كلا الاثنين أقرانهما راضيان. ولكن لأسباب مختلفة، وعلى المائدة، فى المساء، قالت أمى:

"السيدة بروجلى متعصبة، ليكن، لكنها تستطيع أن تكون فاتنة".

باختصار، أدهش السيد اوزو العالم، قال اوليمب سان نيس لكولومب (التى تكن لها كرها وتسميها القديسة ـ الخبيثة للخنازير).. لم تكف جاسينث روزن فى كتابة تعليقات عن الوصول إلى الدور الرابع، لقد وضعها هذا التحول فى كل مرة، إنه يسحرنى أيضاً ولكن ليس للأسباب نفسها، وهذا هو ما حدث.

ركبت المصعد مع السيد أوزو الذى ظل معلقاً بين الدورين الثانى، والثالث لمدة عشر دقائق لأن كناساً

أغلق باب المصعدالحديد قبل أن يمتنع عن ركوبه ونزوله على السلم. فى هذه الحالة يجب أن تنتظر أن يأخذ شخص ما ذلك فى حسبانه، أو أن هذا سوف يستغرق وقتاً طويلا، ويجب إثارة الجيران بالصياح، ولكن أن نحاول مع ذلك أن نبقى محترمين، ليس هذا سهلاً، فلم يصح أحد منا، ولدينا الوقت لنقدم أنفسنا ولنتعارف، ستكون كل السيدات ملعونات كى تكن فى مكانى، أنا سعيدة لأن جانبى اليابانى سعيد أن يتكلم طبيعياً مع سيد يابانى حقيقى، لكن بشكل خاص، ما يعجبنى أفضل، هو مضمون الحديث. قال لى فى البداية: أمك أخبرتنى أنك تدرسين اليابانية فى المدرسة، ما مستواك؟، أعطيت إشارة فى الممر أن أمى هى أيضاً تثير اهتمامها، ثم أجابت باليابانية: "نعم يا سيد، أنا أعرف قليلاً من اليابانية لكن ليس جيداً جداً"، قال لى باليابانية "هل تريدين أن أصلح لك اللهجة؟ وترجمت كل ذلك فى الحال إلى الفرنسية، الآن، لقد قدرت. الكثير من الناس يقولون: "أوه، أنت تتكلمين بطلاقة، حسنا، رائع!، إذًا كان يجب أن أعرف النطق كالبقرة، ببراح أجبت باليابانية "أرجوك يا سيدى صحح نطقى"، وقال لى دائماً باليابانية "نادينى كاكورو" أجبت باليابانية "أجل كاكورو -سان".. رحنا نضحك ونمزح، وأصبح الحديث بالفرنسية ممتعًا ومثيرًا للعاطفة، قال لى لتوه، أنا أهتم كثيرًا ببوابتنا. السيدة ميشيل. أريد رأيك، كنت أعرف الكثير الذين يحاولون أن يجروا أنفى، لا شىء، لكن كان هناك فرانكو، أضاف: أعتقد أنها ليست كما يعتقدونها.

إنها اللحظة التى ساورتنى الشكوك فى أفكارها، من بعيد، هى بوابة جيدة، ومن قريب.. حسناً، من قريب.. هناك شىء ما غريب، كولومب تكرهها وترى أنها نفاية بشرية، بالنسبة إلى كولومب، فهى على كل ، سقط متاع الإنسانية رغم أن هذا لا يتفق مع عظمة ثقافتها، وضحالة ثقافة كولومب، إنها القوة الاجتماعية أكثر من صانعة قمصان .

السيدة ميشيل..كيف تقول؟ إنها تتنفس الذكاء. ومع ذلك فهى تكابر، هه، إنها تفعل ما بوسعها كى تلعب دور البوابة، وكى تبدو ضعيفة، لكن أنا، لقد لاحظتها، حين تتكلم مع جان آرتين، عندما تتكلم مع نبتون فى ظهر ديان، عندما كانت تنظر إلى نساء البناية، اللاتى يمررن أمامها دون تحيتها، السيدة ميشيل، لديها أناقة قنفذ، من الخارج، فهى تبدو مليئة بالأشواك وكأنها قلعة حقيقية، ولكن لديها اليقين فى الداخل، أكثر دهشة من القنافذ، وهى حيوانات صغيرة كسولة بشكل كاذب، وحيدة بشكل عنيف وأنيقة بشكل متوحش.

حسنًا. هذا يعنى، أننى أعترف بذلك، أنا لست نافذة العقل. إذا لم يحدث شىء ما. كنت سأرى الشىء نفسه الذى يراه الناس جميعًا. بوابة هى فى أغلب الوقت سيئة المزاج.

لكن حدث شىء ما لم يحدث منذ وقت طويل وغريب أن سؤال السيد أوزو طرح فى موعده. منذ

أسبوعين، انطوان باللير قلب سلة السيدة ميشيل بينما كانت تفتح بابها، انطوان باللير هو ابن السيد باللير رجل الصناعة فى الدور السادس.

نوع من الذين يطرح عظات أخلاقية من الباب بطريقة حكم فرنسا، ويبيع السلاح للمجرمين الدوليين، الابن أقل خطورة؛ لأنه غبى بشكل حقيقى، ولكنه لا يعرف الأذى أبداً، هو رأس مال الأسرة، باختصار، انطوان باللير قلب سلة السيدة ميشيل، البنجر، مرتجعات الصحف، وصابون مارسيليا، مرورًا بالأشياء التى كانت على الأرض، لاحظت كتاباً، أقول لاحظت لأن السيدة ميشيل أسرعت بجمع كل شىء سقط على الأرض، وهى تنظر إلى انطوان بغضب "لم يأخذ فى اعتباره ظاهرًا أن يحرك أصبعه الصغير، هو، لم ير شيئاً: ولكن أنا لم أكن فى حاجة للمزيد من الوقت كى أعرف ماذا كان الكتاب. أو نوع الكتاب فى سلة السيدة ميشيل، لأنه كان مليئاً بالنوع نفسه فى مكتبه كولومب منذ أن تعلمت الفلسفة. إنه كتاب للناشر فرين، الناشر المتخصص فى الفلسفة العالمية، ماذا تفعل بوابة، بمثل هذه الكتب من الناشر فرين فى سلتها؟ إنه السؤال الذى لم أطرحه.. بل على العكس إنه لانطونيو باللير.

قلت للسيد اوزو: أعتقد هذا أيضًا.. والجيران، مررنا بعلاقة أكثر حميمية، مثل علاقات المتآمرين، غيرنا مشاعرنا حول السيدة ميشيل.. السيد أوزو أخبرنى أنه يراهن أنها أميرة خفية وباحثة.

هذه هى فكرتى العميقة لليوم، إنها المرة الأولى التى أقابل شخصًا يبحث عن الناس ويرى ما وراءهم، يبدو هذا مبتذلا ولكننى أعتقد، رغم ذلك، أنها عميقة، لم تر إبداعاً وراء يقيننا، والأكثر خطورة أيضاً، أننا تخلينا عن اللقاء، ولم نفعل شيئًا سوى أن نلتقى بأنفسنا دون أن نتعارف فى هذه المرايا الدائمة، إذا وضعنا فى الحسبان، أننا لا ننظر أبداً لأنفسنا فى الآخر، وأننا وجدنا فى الصحراء، سوف نصبح مهاويس، عندما قدمت أمى أقراص الحلوى باللوز والسكر من عند آل لاديريه إلى السيدة بروجلى، فإنها روت لنفسها قصة حياتها وراحت تعض نواجزها وعندما شرب أبى قهوته وقرأ صحيفته. تأمل فى مرآة مقعرة على طريقة كوى. عندما تكلمت كولومب عن مؤتمرات ماريان، فإنها طعنت فى رد فعلها، وعندما يمر الناس أمام البوابة، لا يرون سوى الفراغ لأنه ليس هم.

أتوسل إلى القدر أن يحالفنى الحظ كى أرى أبعد من نفسى، وأن ألتقى بشخص ما.

- ٣ -

تحت القشرة

ثم مرت بضعة أيام

ومثل كل ثلاثاء، جاءت مانويلا إلى مسكنى، كان لدىّ الوقت، قبل أن تغلق الباب، سمعت جاسينت روزن تتحدث مع الشابة السيدة موريس أمام مصعد يعرف السكان الأوائل.

قال ابنى إن الصينيين شرسون!

بدت كأنها أرغمت السيدة روزن ألا تقول الصينيين، لكن الصونيون(*).

حلمت دوماً "زيارة الصيون" فذلك أكثر أهمية من الذهاب إلى الصين، أعلنت لى مانويلا صاحبة الخدين الورديين والعينين اللامعتين:

- لقد صرفت البارون، ذهب الباقون معه.

(*) من الواضح أنها تلشغ فى الكلام.

تظاهرت بمظهر البراءة، تساءلت:

ـ نعم؟

صاحت مانويلا وهى تنظر لى بجحود: لكن السيد اوزو!

يجب أن أقول إن البناية طوال أسبوعين، لم تشهد سوى انتقال السيد اوزو إلى شقة الراحل بيير آرتين، فى هذا المكان المتجمد، وأنا المحبوسة فى مرآة السلطة، والفراغ، ووصول ساكن جديد، والوقائع غير الملموسة، التى حدثت تحت أوامر وتعليمات السكان القدامى يشكل الحساسية مما جعل نبتون نفسه يتجاوز فتورهم جميعًا ـ هذا الوصول، أثار ريحًا من الشجن والرعب المختلطين. وسط جاذبية الاحتفاظ بالتقاليد والرفض المنطقى والناتج لكل ما هو قريب أو بعيد، تثار الرغبة من جديد، مثل المباهاة فى أعمال الديكور، وشراء مكبرات الصوت أو تعسف أطعمة صاحب المطعم والجدل حول عطش أكثر عمقًا، مثبت فى خيوط أرواحها التى أعماها الملل: هذا هو الجديد. فى ٧ شارع جرينل الذى سوف يهتز طوال أسبوعين بإيقاع ذهاب عمال الدهان وإيابهم. والنجارين، والسباكين، وصناع المطابخ، وموزعى الأثاث، والسجاد، والأجهزة الإليكترونية، انتهاء بناقلى الأثاث الذين استأجرهم السيد اوزو كى يتغير الدور الرابع تماماً مما بعث الرغبة فى زيارته، آل جوس، وأسرة باللير لم يعودوا يستخدمون المصعد واكتشفوا قوة جديدة، يتسكعون فى الدور الرابع حيث يخرجون

من شقـقـهم. ثم يعودون إليـهـا صـاروا ذوى مـوضـوع.
أثارت برناديت بروجلى، الفضول بتناول الشاى عند
سولانج جوس بينما تصرفت جاسينت روزن عن رضا
كى تسلم إلى سابين بالليـر طرداً وضعته فى مسكنى
وكانت سعيدة أنها. فلتت من عمل مرهق.

أنا وحدى من بين الجميع، كنت أتجنب عن حذر
السيد أوزو، نتقابل فى المدخل، لكنه دائمـاً لديه
صحبة، يقوم بتحيتى بأدب، أرد عليه بمثلها، لا شىء
عنده يضر بمشاعر أخرى، كالملاطفة، وعطف بدون
اهتمام، لكن الأطفال تصرفوا خارج حدود اللياقة،
المادة الحقيقية التى يمتلكها البشر، رادارى الداخلى
أصابه الجنون فجأة، أخبرنى أن السيد أوزو كان
يحترمنى ويقدرنى بانتباه الحليم.

أثناء ذلك، راح سكرتيره يوفر له كافة المهام التى
تتطلب الاتصال بى. أراهن أن بول نجوين لم يكن
يتأخر فى انتظار وصول السيد اوزو وممارسته لكل ما
هو أصيل، إنه أجمل شباب آسيا، كان أبوه فيتنامى
الأصل، حيث اكتسبت الامتياز والصفاء الغامض، ومن
أوروبا، من أمه "روسية بيضاء" أخذ القامة الطويلة،
وخديه السلافيين، وأيضاً العينين الوضاحتين
المجملتين بخفة، ومنهما تنسكب الرجولة، والرقة،
وتتضح تركيبة جمال الذكر ورقة الشرق.

عرفت أصله، بعد ظهيرة ثقيلة فى مسكنى؛ حيث
رأيته منهمكًا للغاية، أمام بابى كى يخبرنى بالوصول
المبكر لجماعة من موزعى البضائع، فى اليوم التالى
دعوته إلى فنجان شاى فوافق بكل سهولة، وجلسنا

نتحدث فى استرخاء لذيذ، يبدو شاباً وسيماً، وكفأً، كان قد أخذ من كافة الأرباب، كأننا يمكن أن نحكم عليه، ونحن نراه ينظر إلى الأعمال، دون أن يبدو عليه أى إنهاك أو تعب. يرجع ذلك إلى ما يتسم به من هدوء، سوف يصير مجرداً من التعاظم؟ عندما غادر مسكنى، شكرنى بحرارة، تأكد لى أننى نسيت نفسى معه، حتى فكرة الإخفاء التى كنت عليها.

الآن أعود إلى أخبار اليوم.

– لقد رفت البارون، والباقى معه.

لم تخف مانويلا نشوتها وافتتانها، تركت آنا آرتين باريس وقد أقسمت إلى فيوليت جرليه أن توصيها بالمالك الجديد، السيد أوزو، الذى اشترى بضاعة ونزع قلبه، لقد وافق على استقبال الناس، وأن يتحاور معهم، استطاعت أسرة جرليه مدعومة من آنا آرتين، أن تجد مكانًا مختارًا فى منزل طيب، لكن فيوليت داعبت جنون الأمل بالبقاء هناك، وحسب كلماتها الخاصة، فإنها قضت أجمل سنوات حياتها. قالت إلىَّ مانويلا:

ـ السفر مثل الموت، لا أتكلم إليك يا ابنتى، يجب أن أحل لك كل المشاكل.

قالت مانويلا التى تبنت نصيحتى، وهى تتصرف كأنها سكارليت(*) منذ أن شاهدت فيلم "ذهب مع الريح": تحل مشاكل تارا.. لقد رحلت أما أنا فبقيت!.

(*) سكارليت أوهارا: هى البطلة المطلقة لرواية «ذهب مع الريح» تأليف مرجريت ميتشيل عام ١٩٣٦م، وهى فتاة متسلطة تعيش فى قرية «تارا» تقع في حب رجل لايعيرها انتباهًا، وتتزوج بـ «ريت بتلر».

سألت: هل يستأجرك السيد اوزو؟

قالت لى: لن تخمنى أبدًا. إنه يستأجرنى ساعتين، ويدفع مثلما يدفع أمير.

قلت: ساعتان! كيف ستتصرفين؟

أجابت وهى فى منتهى السعادة: سأترك السيدة بالليير، أنا لن أعتنى بالسيدة بالليير لكن؛ لأنه يجب أن أبذر فى الأشياء الجيدة.

كررت: نعم سأترك السيدة بالليير،

رددتها مرة أخرى.

احتفظنا بلحظة صمت، هذا التنامى من الشعور الجميل، قلت: وأنا أحطم تثاؤبنا:

- سوف أعد لك الشاى، شاياً أبيض، للاحتفال بهذا الحدث.

قالت مانويلا: آه، لقد نسيت، سوف أحضره لك.

أخرجت كيس نقود من سلتها مصنوعاً من ورق الحرير الكريمى.

رحت أربط شريط القطيفة الأزرق، فى الداخل، فاكهة مؤلفة من تين وعنب ولوز من الشيكولاتة السوداء، تبرق مثل الألماس الداكن، قالت مانويلا وهى تخرج الفناجين، ثم تجففها مجددًا:

- إنه يدفع لى اثنين وعشرين يورو فى الساعة، ولديه كلاب من طراز ليو اكتشفت العالم باثنين

وعشرين يورو! هل تصدقين؟. الآخرون يدفعون ثمانية، عشرة، أحد عشر! إنه أكرم من السيدة باللير، إنها تدفع لى ثمانية يورو وتترك سراويلها القذرة أسفل السرير.

قلت لها مبتسمة:

- لعله يترك سراويله القديمة تحت السرير.

قالت مانويلا التى فكرت فجأة: إنه ليس من هذا الطراز، أتمنى أن أعرف كيف يتصرف.

على كل حال، فهناك الكثير من الأشياء الغريبة بأعلى، هل تعرفين، إن هناك الكثيرين من النبلاء يزورونه؟

تتكلم مانويلا عن كرامات السيد أوزو، الكبيرة جداً، بصيغة شيقة ومجردة من السمات المزعجة التى تثير مشاعر غير رائعة، بدوا لى، أثناء حركاتهم فى المدخل، أنهم جاءوا من قرية أخرى، فى أبواق مليئة بالضجة، حيث تتضح الرؤية الهاربة لغاية بعيدة.

أجابت مانويلا: لم أتخيل أن مهندسى الديكور يفعلون ذلك، هدموا كل شىء، وأعادوا بناءه.

بالنسبة إلى مانويلا، فإن مهندس الديكور، هو كائن أثيرى يضع الوسائد فوق الأرائك الباهظة الثمن، يتراجع إلى الخلف خطوتين معبراً عن إعجابه بما يحدث. قالت لى قبل أسبوع: إنهم يضربون الحوائط ضربات شديدة. النفس قصير، وأنهم يصعدون السلم

أربع أربع بمكنسة غير مناسبة، هل تعرفين.. إنه رائع، الآن، أريدك أن تزوريها.

تساءلت دون أن أنزع روح النزوة الخطيرة عن مانويلا.

ـ ما أسماء هذه القطط؟

قالت وهى تصف ليو بشكل مذهل: آه، إنهم رائعون، بالغو الرقة، وهم يمشون بلا أية ضجة، يتصرفون هكذا.

ثم أدت حركات بيدها.

أعدت سؤالى: هل تعرفين أسماءهم المختصرة؟

قالت: القطة اسمها كيتى، لكننى لم أتوصل لاسم القط.

سقطت حبة عرق بارد بسرعة ملحوظة. بطول العمود الفقرى، ألححت:

– ليفين؟

قالت لى: نعم، هو ليفين، كيف عرفت؟

وعبست حواجبها.

– إنه ليس ثورجيا، أليس كذلك؟

قلت: لا، الثورى، هو لينين، لينين(*)، هو بطل رواية روسية شهيرة، كيتى هى المرأة العاشقة.

(*) لينين (١٨٧٨ ـ ١٩٢٤م) ثورى روسى، قاد الثورة البلشفية عام ١٩١٧م، وأسس المذهب اللينينى، ورفع شعار الأرض والخبز والسلام.

أكملت مانويلا التى تهتم بالروايات الروسية المهمة: لقد عبر كل الأبواب، الآن، هى تنزلق، حسناً، صدقينى، إنه أمر عملى أكثر، أتساءل لماذا لا يفعلون هذا، نحن نكسب الكثير من الأماكن، وهو أقل ضجيجًا.

ولأن هذا أمر واقع، فإن مانويلا، أثارت إعجابى باندفاع وافتعال، ولكن هذه الملحوظة أثارت فى نفسى مشاعر حساسة لأسباب أخرى عديدة.

ـ ٤ ـ

تكسير واستكمال

أمران، مرتبطان بأفلام أوزو.

الأول: يكمن فى الأبواب المنزلقة نفسها، منذ الفيلم الأول، "مذاق الأرز بالشاى الأخضر" وأنا مفتونة باتساع الحياة اليابانية، وهذه الأبواب المنزلقة التى تنزلق برقة فوق قضبان خفية؛ لأننا عندما نفتح الباب، نحول الأماكن بطريقة حقيرة. نحن نلطم الاتساع ونحدث ضررًا بنسب ما سيئة. إذا فكرنا جيداً فى شىء أكثر فجاجة من الباب المفتوح. فى الغرفة التى نوجد فيها، ندخل مثل مجموعة طفيليات إقليمية، نحطم وحدة الفضاء، فى الغرفة المجاورة، يحدث تصدع فضلاً عن أنها تكون حمقاء ضائعة، فى طرف جدار يفضل أن يكون داخلياً. فى كلتا الحالتين، فإن المساحة تبدو مشوشة دون رأى معاكس سوى الحق فى الدوران، يمكنها أن تتأكد من سوابق أخرى.

الباب المنزلق، يتجنب العقبات، ويُعظم الفضاءات، دون أى تعديل متوازن. يسمح بالتحول، عندما ينفتح، فإن مكانين يتواصلان، وعندما ينغلق، فإنه يعطى لكل مكان اكتمال القسم والاتحاد ويتماهى دون تداخل. تبدو الحياة هنا نزهة هادئة، تتضح فى جناح طويل من الضغوط، قلت لمانويلا:

حقًا، إنه عملى أكثر وأقل قبحاً.

جاء السبب الثانى من مشاركة الأفكار، أن الأبواب المنزلقة، تؤدى بى إلى أقدام النساء، فى أفلام أوزو، نحن لا نأخذ فى الحسبان عدد الخطط، حيث إن ممثلا يدفع الباب يدخل إلى الدار ويخلع حذاءه. النساء بشكل خاص يظهرن فى هذه المشاهد موهبة خاصة، يدخلن كى يزلقن الباب بطول الحائط. يخطون خطوتين سريعتين تؤدى بهما أسفل المساحة التى تتكون من غرف المعيشة، تخلع المرأة الحذاء دون تعليق الأحذية المنزوعة اللاكيه. وفى حركة سيقان منسابة ورائعة، تدور حول نفسها صاعدة المصطبة التى تحنى الظهر. ترتجف الجونلات بخفة عند ثنية الركبتين.

مطلوبة للارتقاء، مليئة بالطاقة، ومحددة، يتبع الجسم أمله فى نصف دائرة من الأقدام، التى تتبعها بتسكع محطم بشكل جاد، كأن العلاقات تعرقلها روابط.

عندما نمشى نحن ـ الغربيين ـ ولأن لدينا ثقافة نريدها هكذا، فإننا نحاول الاستمرار فى حركة

نحسها، دون إدراك أن ما نؤمن به هو جوهر الحياة: الفعالية دون عراقيل والنتائج المنسالة الظاهرة. فى غياب القطيعة فإن القفزة الحيوية التى تتم، هنا، أن الفهد المتحرك هو معيارنا، هذه الحركات تصنع إيقاعًا، لا يمكن أن نميز هذه عما قبلها. ويبدو لنا عداء المتوحش الأكبر أشبه بحركة وحيدة وطويلة لتعبر بالرمز عن كمال الحياة العميقة، لكن عندما تحط النساء اليابانيات بخطواتهن المبتورة يتأثر انتشار الحركة الطبيعية، وعندما يجب علينا أن نثبت الألم الذى يمتلك الروح لحركة الطبيعة المهانة. فإنها تولد فينا بهجة غريبة، وكأن القطيعة تولد المتعة. فى هذه الإهانة يوجد إيقاع مقدس للحياة، فى هذه الخطوة المتناقضة، ومن خلال الوليد الممتاز للتناقص، نتخذ لأنفسنا نموذجًا للفن.

إذًا نحن نريدها مندفعة خارج حدود الطبيعة وأن تستمر وقد صارت جاحدة ومحيرة، فإن الحركة تؤكد الإبداع الجمالى أن الفن هو الحياة، ولكن بإيقاع آخر.

فكرة عميقة رقم ١٠

قواعد اللغة

طبقة للوعى

تؤدى إلى الجمال

فى الصباح، استغل الوقت دوماً كى أستمع إلى الموسيقى فى غرفتى، تلعب الموسيقى دوراً مهماً فى حياتى، فهى التى تمكننى من التحمل.. حسناً.. إذا كان هناك من يحتمل فهى أختى، أمى، المدرسة، اشيل فرنيه هو الأخ الاكبر، إلخ. الموسيقى، ليست سوى متعة للأذن مثل التذوق باللسان أو الرسم للعيون، إذا سمعت الموسيقى فى الصباح، فليس هذا أمراً عارضاً، لأن هذا يعطى نبرة اليوم. إنه أمر سهل للغاية، وفى الوقت نفسه من الصعب شرحه: أعتقد أنه يمكننا اختيار أمزجتنا، لأن لدينا وعيًا متعدد الطبقات وهناك وسيلة للوصول إليها على سبيل المثال. كى

أكتب فكرة عميقة، يجب أن أضع نفسى فى حالة خاصة جدًا، وإلا ما أتت الأفكار والكلمات، يجب أن أنسى، وأن أكون فى الوقت نفسه بالغة التركيز، ليس هذا شأناً إرادياً، إنها عملية آلية متحركة، مثل أن يحك المرء أنفه أو أن يمشى للخلف. وكى تحدث الآلية، فليس هناك أفضل من قطعة موسيقى صغيرة، على سبيل المثال إذا أردت الاسترخاء أجد شيئًا ما يجعلنى أبلغ أعلى درجات المزاج، أو أشياء لم تحدث لى فعلاً، حيث أنظر إليها كأننى أنظر إلى فيلم " فيه طبقة الوعى مجردة". بشكل عام بالنسبة لهذه الطبقة فإنها موسيقى الجاز، أو شىء أكثر تأثيرًا من النوع نفسه، ولكن أكثر طولا فى تأثيرها، كأن نقول بوضوح عاش جهاز الـ MP3".

فى هذا الصباح، استمعت إلى موسيقى جلين ميللر(*) قبل أن أتوجه إلى المدرسة، يجب أن نؤكد أن الأمر لا يستغرق وقتاً طويلاً. وعندما تشتعل أفقد كل ارتباطاتى، فى حصة اللغة الفرنسية مع السيدة ميجر تبدو الحياة على نقيضها ، ترتدى اللون الوردى. أحب الوردى، وأجد أن هذا اللون مظلوم نوعًا ما. مثل لعبة طفل، أو امرأة متزينة بأعلى زينة على الرغم أن اللون رقيق ولطيف، الخطورة أنه موجود بكثرة فى الشعر اليابانى، لكن اللون الوردى للسيدة ميجر يبدو قليلاً

(*) جلين ميللر: موسيقى أمريكى (١٩٠٤ - ١٩٤٤م) عازف الساكسفون، لمع فى مجال الموسيقى، وقد جسد جيمس ستيوارت فيلما عن حياته عام ١٩٥٣م.

مثل المربى والخنازير، باختصار، فى هذا الصباح كانت عندى حصة فرنسية معها فهى كالشجرة والعمل المرهق، بلغ السيل الزبى، الفرنسية مع مدام مجريه تتلخص فى سلسلة من التدريبات الفنية. تمارس قواعد اللغة أو قراءة النصوص، معها، يقال إن نصاً قد كتب كى يمكن التعرف على هوية الأشخاص. الراوية، الأماكن، التقلبات المفاجئة، أزمنة النص إلخ.. أعتقد انه لم تأتها الفكرة أن نصاً هو قبل شىء مكتوب كى يقرأ بهدف إثارة الانفعالات عند القارئ، ونحن لا نطرح قط أسئلة من طراز "هل تحب هذاالنص/ هذا الكتاب؟"، هذا هو السؤال الوحيد الذى يمكن أن يعطى معنى لدراسة وجهات النظر القصصية أو بناء النص.. دون التكلم عن واقعة أن أفكار التلاميذ الداخلية هى أكثر انفتاحًا على الأدب من تلاميذ الليسيه، أشرح لنفسى: فى سنى هذا، أن علينا أن نتكلم عن بعض الأشياء بالعاطفة، وأن نوفر الأجيال الجيدة، عن الحب والتمرد، والشهوة وكل ما هو جديد، إلخ.

نحن لدينا الفرص للوصول إليها، يعرف مدرس التاريخ، السيد ليرمى، كيف يجمعنا فى محاضرتين ويشير إلى صور من النوع التى نمزقها بأيدينا، أو شفاهنا ونحن نطبق الشريعة الإسلامية لأنهم سرقوا أو دخنوا. ومع ذلك، فهو لم يفعلها ذلك. إنه أخاذ، نسمع المحاضرة بانتباه تتناول المحاضرة كل ما هو ضد جنون البشر، وليس بشكل خاص ضد الإسلام،

إذا كانت السيدة ميجر قد صار صعبًا عليها أن تقرأ بالصوت نفسه بعض أشعار راسين (ليبدأ اليوم ولينته اليوم/ دون أن يتمكن تيتوس من رؤية برنيس)، ترى أن المراهق، فى الأساس، هو شخص ناضج بالنسبة للمأساة العاطفية، فى الليسيه، يبدو الأمر أكثر صعوبة، يبلغ المرء سن الرشد رغم أنفه، يكون هناك حدس حول عادات الشخصيات الكبرى، نتساءل أى دور وأى مكان سوف نرث ما فى هذه المسرحية، ثم يفسد شىء ما. ويغدو القمقم قريبًا.

فى هذا الصباح، عندما أضيفت إلىّ الواجبات المرهقة المعتادة بدرس أدبى دون أدب، ودرس لغة دون ذكاء فى اللغة، برهنت عن مشاعر بلا أهمية، لم أستطع التماسك، وضعت مدام ميجر نقطة فوق حروف الوصف للمدح بحجة أن موضوعات الإنشاء الخاصة بنا قد أحبطت تماماً، عليك أن تكونى قادرة عليه ، من المستحيل أن نرى تلاميذ بلا داء فى القواعد.. أضافت وهى تنظر إلى اشيل جران فرنيه، لا أحب اشيل ولكن هنا، أنا أتفق معها عندما طرح سؤاله. أجد أن هذا يطرح نفسه، لقد نسى أستاذ الأدب الرفض، هذا يصدمنى مثل راع نسى الخرفان، ولكن فيم تفيد قواعد اللغة؟.. أتساءل: يجب أن تعرف ذلك، أجاب سيدنى هل يجب أن أدفع كى أعلمك إياه؟!

لا، أجاب اشيل بكل صفاء لمرة واحدة، لا أحد يمكنه أن يشرح لنا.. أطلقت السيدة ميجر تنهيدة من

نوع: هل يجب أن أطلق اسئلة غريبة.. وأجاب: هذا يفيد فى الكلام الجيد والكتابة الجيدة.

هنا، اعتقدت أن عندى أزمة قلبية، فلم أسمع من قبل بمثل هذه الحماقة، لا أريد أن أقول إن هذا كذب، أريد أن أقول إن هذا حمق حقيقى. تقول للمراهقين الذين يعرفون الكتابة والقراءة عن قواعد اللغة كأن نقول لشخص ما إنه يجب أن نقرأ تاريخ دورة المياه عبر القرون كى نعرف البول والبراز، إنه أمر خال من معنى! وقد بينت لنا الأمثلة، إننا فى حاجة إلى أن نتعرف على أرقام الأشياء فى اللغة. كى نستخدمها، إذًا، لماذا لا، إنها معدة ـ على سبيل المثال ـ لمعرفة تصريف فعل فى كل الأزمنة، وتفادى الأخطاء الكبرى التى تثير العار أمام الناس فى عشاء كبير، لقد جئت إليكم مبكراً، لكننى سلكت الطريق الخطأ، أو من أجل كتابة دعوة فى الأنظمة وأن نلحق بحفل راقص صغير، فى قصر فرساى، نعرف نظام التوافق بين الصفة والموصوف، سوف نوجز. صديقى العزيز، هل تود الحضور إلى فرساى هذا المساء؟ تأثرت كثيرًا، بالماركيزة جران -فرنيه، لكن إذا صدقت السيدة ميجر فإن أسلوبها يفيد قواعد اللغة. نحن نعرف كيف نقول، كيف تصرف فعلاً قبل أن تعرف أنه فعل، إذا ساعدت المعرفة، فلا أعتقد، أن هذا سيكون أمرًا نهائيًا.

أعتقد أن القواعد هى طريق الدخول للجمال، عندما نتكلم، عندما نقرأ، وعندما نكتب. نحس جيداً

عندما تكون جملة جميلة، ونحن نقرأ جملة واحدة، نحن قادرون فى التعرف على كل ما هو جميل وعلى الأسلوب البديع، لكن عندما نمارس قواعد اللغة، فإننا ندخل إلى بعد آخر من جمال اللغة، ممارسة قواعد اللغة يعنى أننا نحملها، ننظر كيف حدث ذلك، نراها عارية تماماً، بشكل ما. وهذا شىء رائع: نحن نتساءل: كيف أن هذا رائع. كم أن هذا فاشل بشكل جيد، كم أن هذا صلب، عبقرى، ثرى، ماهر!.. لا أحد يعرف أن هناك أنواعًا عديدة للكلمات يجب أن نعرفها ونحن نستخدمها وإمكاناتها المتاحة، أجد أنه ليس هناك شىء أكثر جمالاً، من فكرة قاعدة اللغة. هناك أسماء وأفعال، عندما ستملك هذا، سيكون لك قلب يعبر عن نفسه، هذا رائع، أليس كذلك؟ أسماء، وأفعال.

ربما، للوصول لجمال اللغة والقواعد الظاهرة، هل يجب أن نضعها فى حالة من الوعى الخاص؟ لدىّ حس يمكننى أن أحسه دون أى مجهود، أعتقد أن هذا يتم عند بلوغ العامين، وعندما سمعت البالغين، وقد فهمت، مرة واحدة، كيف تكونت اللغة. دروس القواعد كانت بالنسبة إلىّ تأليفًا لتاريخ لاحق وربما تفسيرات لغوية، هل يمكن أن نعلم التحدث والكتابة للأطفال، ونحن نطبق قواعد اللغة إذا لم يكن لديهم هذا التنوير الذى توصلت إليه؟ غموض أثناء انتظار كلام السيدة ميجر عن الأرض وهى تتساءل أية قطعة موسيقى يجب أن تعزفها أمام تلاميذها حتى يمكنهم أن يضعوها فى إطار قواعدى.

قلت للسيدة ميجر: أبدًا، إنها غلط تمامًا! ران صمت طويل فى الفصل، وكالمعتاد. لم أفتح فمى ولأنى كنت أختلف مع المدرسة نظرت إلىَّ، ثم بدت عليها الدهشة مثل كل المدرسين عندما يشعرون أن الريح تتجه نحو الشمال، وأن الفصل الصغير العجوز يدرس صفة الموصوف، يمكن أن يتحول إلى محاكمة لأساليبهم التربوية، ماذا تعرفين يا آنسة جوس؟ سألت أمى بنبرة خشنة، يحبس الجميع أنفاسه عندما تكون الأولى على الفصل غير مسرورة، الأمر سيئ لجسم التلميذ، بخاصة عندما يكون سمينا، هذا الصباح، كانت ألعاب سيرك بالسعر نفسه: ينتظر أن يسمع نهاية المعركة، ويتمنون أن تكون دامية.

قلت "حسنًا، عندما تقرأ جاكوبسون،(*) يبدو واضحاً أن القواعد هى وسيلة وليست هدفا. إنها مدخل للبناء ولجمال اللغة، ليس فقط حيلة تفيد فى حيلة! "حيلة"! كررت بعينين حاضرتين بالنسبة للآنسة جوس، لقد صارت القواعد حيلة!.

حين استمعت جيدًا إلى جملتى، أدركت أن الأمر لم يكن حيلة بالنسبة لىّ، لكن أعتقد أن الرجوع إلى جاكوبسون أفقدها توازنها، دون أن تأخذ فى الحسبان الذين يضحكون بسخرية، ومن بينهم كاتيل مارتن، دون أن نفهم شيئاً مما قالته، لكنه إحساس أقرب إلى قطعة جليد فى سيبيريا، كامن فى مدرسة

(*) جاكوبسون: لغوى اهتم بتغيير طبيعة ووظائف اللغات.

اللغة الفرنسية البريئة، فى الواقع، فأنا لم أقرأ جاكوبسون قط، أنت تفكر جيداً "إننى اشك، أفضل القصص المصورة. أو الأدب، لكن صديقة لأمى وهى مدرس فى الجامعة تكلمت عن جاكوبسون بالأمس وهى تكتب على الآلة الكاتبة فى الساعة الخامسة وكانت تتناول جبنًا بقريًا وزجاجة نبيذ أحمر، مثلما فعلت أنا فى الصباح.

فى هذه اللحظة، أحسست بالشفقة، تجاه السيدة ميجر، أنا لا أحب العقاب النفسى، إنه أمر لا يشرف أحدا قط، لم يطرأ بذهنى أن أحدًا سوف يبحث عن معرفتى بجاكوبسون، وأبدأ فى الشك فى واقع الذات.

تقهقرت، التزمت الصمت لقد شربت طوال ساعتين من الصمغ، وأنقذت السيدة جلدها كمدرسة، لكنها عندما تركت الفصل، أحسست بعينيها الصغيرتين القلقتين اللتين تتبعاننى حتى الباب.

وفى طريق البيت، تساءلت: ترى هل للفقراء روح مثلنا، هل يعرفون الذعر، وهل يدركون جمال اللغة؟

ـ ٥ ـ

شعور لطيف

لكن مانويلا إنسانة حساسة لخطى النساء اليابانيات، تبحر هنا نحو مجالات أخرى.

قالت:

– آل روزن تعد طبقًا ليس لديها مصباحان متشابهان.

سألت مندهشة: حقًا!

أجبت: نعم، حقًا، ماذا؟ آل روزن لديهم الأمور مزدوجة لا هم خائفون من الخطأ، هل تعرفون القصة المفضلة للسيدة؟

قلت مفتونة بما يدور، أو بالحديث الذى يسوقنا إلى "لا".

– أثناء الحرب، كان جدها قد خزن كل الأشياء فى كهفه، أنقذ أسرته وهو يخدم ألمانيا، كان يبحث

عن بكرة خيط كى يحيك زراراً فى زيه الرسمى، إذا لم تكن لديه هذه البكرة.

صوت حيوان، وكل الآخرين معه، وماذا لو تؤمن أو لا تؤمن، فى هذه السقيفات والكهف. كان كل شىء مزدوجاً، هل جعلها هذا أكثر سعادة؟ هل كان يرى أن الأفضل فى الغرفة أن يكون هناك مصباحان متشابهان؟

قلت: لم أفكر مطلقاً فى هذا، حقا، لقد زيَّنا دخائلنا بإسراف.

سألت مانويلا: كيف هذا؟

- بالتكرار.. مثلما حدث لأسرة آل ارتين، نفس المصابيح والزهريات المزدوجة، فوق المدخنة، نفس مقاعد الفوتيه المتجانسة فى كل جانب من القاعة، مائدتان منسقتان، وسلسلة من الأوانى المتشابهة فى المطبخ..

أجابت مانويلا:

ـ الآن جعلتنى أفكر، لم يبق سوى المصابيح، فى الواقع ليس هناك شيئان متشابهان عند السيد اوزو، حسنًا، هذا يولد شعورًا لطيفًا.

تساءلت: هل هو تعليق لطيف؟.

فكرت لحظة، والجبهة مجعدة.

- لطيف مثل الأعياد، عندما نأكل كثيراً، أفكر فى اللحظات التى غادر فيها الجميع.. زوجى وأنا،

ذهبنا إلى المطبخ، أعد مرقة الخضراوات الطازجة، وأقطع عيش غراب نيئ إلى رقائق، أكلنا مرقتنا وعيش الغراب بداخلها، لدينا الشعور أننا نخرج من عاصفة، وأن كل شيء صار هادئاً.

- لسنا خائفين من أخطائنا.. نحن سعداء فى اللحظة الراهنة.

- تحس أن هذا أمر طبيعى، ومثل هذا نأكل.

- يمكن أن نستفيد مم عندنا، لا شيء متضارب، إحساس بعد الآخر.

- نعم، لدينا أقل لكننا ننتهز أكثر.

- من يمكن أن يأكل أشياء كثيرة فى مرة واحدة.

- حتى المسكين السيد آرتين.

قلت وأنا أتذكر الواقعة : لدى مصباحان متلائمان فوق مائدتى الليلة.

قالت مانويلا: وأنا أيضاً.

وهزت رأسها.

ربما نحن مرضى، بقوة بالغة.

قامت وقبلتنى واتجهت إلى مسكن آل باللير فى عناء وكلل، بعد رحيلها، بقيت جالسة أمام فنجانى الفارغ، اقرض أسنانى بكل شراهة أمام ابتسامة غيرت أسلوب القضم الداخلى، مثل تذوق نكهات جديدة.

وأنا أفكر ملياً، وأتذوق السمات فى غير زمانها، هل عرف دومًا الخادمات والبوابات اللائى يقسمن الساعة والوقت، مجهزاً الحس الثقافى للديكور الداخلى، سوف تفاجئون لما تقوله الصغيرات ، إنهن يفضلن قصص النظريات القديمة ذوات المفاهيم، والصور والأفكار، هذا لا يمنع التفلسف، أيضاً هل نحن حضارات مقضومة بالفراغ وأننا لا نعيش سوى فى عذاب الافتقاد؟ ألا نستمتع بما نمتلك بأحاسيسنا عندما نمارس الاستمتاع أكثر؟ ربما أن اليابانيين يعرفون أننا لا نتذوق المتعة إلا لأننا نعرف أنها سريعة الزوال وإنها وحيدة لاتتكرر.

ملل، وكآبة وتكرار أبدى، ينزعوننى مرة واحدة من فكرى ، الملل يولد من الرتابة، وهذا هو باب مسكنى يقرع.

ـ ٦ ـ

وابـــــى

إنه جوال يلعك العلكة، مثل الفيل، بحكم القوة، بطول فكيه، هذه العلكة تضغط عليه، سأل:

– السيدة ميشيل؟

دس لى لفافة فى يدى، علقت:

– لا شىء نوقع عليه.

ثم اختفى.

لفافة مستطيلة مليئة بأوراق الكرافت، مثبتة بواسطة دوبار من النوع الذى يستخدم فى إغلاق حقائب البطاطس، أو ترك سدادة من الفلين لتسلية القط، أو لمضايقته فى التمرين الوحيد الذى يعيه، فى الحقيقة هذه اللفافة من الخيوط جعلتنى أفكر فى التغليف الحريرى لمانويلا، هذا النوع من الورق يبدو خشنا، أو على الأصح بالغ الأبهة، معتنى به جيداً

حسب المفاهيم السامية، شيء ما من التشابه والعمق الكامل. نحن نسجل أن تكوين المفاهيم النبيلة تتشكل بدءاً من الابتذال الأكثر خشونة، إنها المعادلة وهى فكرة سامية تظهر حول أطراف جوال مجتر.

الجمال، إذا فكرنا فيه قليلا وبجدية، فهو ليس سوى مبادرة مطبقة حسب المعادلة، هو نوع من الساموراى(*) فى أشكال أصلية، لقد قمنا بربط أنفسنا بمعرفة المعادلة، هى فى كل لحظة من الوجود، تسمح لنا أن نمسك كل ما به من صفاتها، فى هذه الفرص النادرة، حيث نستمتع بكل إيقاع. أنا لا أتكلم عن هذا النوع من الجمال المطروق فى الفن. الذى هو، مثلى، ملهم بعظمة الأشياء الصغيرة. الهروب حتى جوهر القلب. هناك، الآن الملابس اليومية، تدخل ضمن ترتيب الأشياء العادية، واليقين الذى يجب أن يشكل، من مفهوم "كل شىء جميل".

فككت الخيوط وانتزعت الورق، إنه كتاب، طبعة جديدة، جميلة مغلفة بالجلد البحرى، بروز ضخم عليه كلمة"ومابى".. باليابانية تعنى كلمة "وابى" شكل ممسوح الجمال، سمة من الجاذبية المغلفة بخشونة، لا أعرف بالضبط إن كان هذا هو المعنى المقصود، لكن هذه الحزمة هى "وابى".. أكيد وبلا نزاع.

وضعت نظارتى، ورحت أتصفح عنوان الكتاب.

(*) الساموراى: مجموعة من المقاتلين اليابانيين، يقومون بعمليات عسكرية، أو قتالية مقابل أجر من المال، أى أنهم من المرتزقة.

فكرة عميقة رقم ١١

شجرة بتولة

علمتنى أننى لا شىء

وأننى مدين للحياة

بالأمس أعلنت أمى عند العشاء، وكأن هذا دافع أن تصب الشمبانيا دفعات، إن عشر سنوات انطوت على بدايتها للتحليل، واتفق الجميع على أن يقولوا إن هذا -عـ - جـ - يبا! لا أرى أن التحليل النفسى قد صنع لمنافسة المسيحية فى حب الآلام المستمرة. هذا لم تقله أمى، استمر الأمر عشر سنوات نتعاطى المضادات ضد التوتر النفسى، ولكن بشكل ظاهر، فهى لم تعقد أية رابطة، أما أنا فأعتقد أن الأمر ليس لتخفيف الألم النفسى الذى تتناول من أجله مضادات التوتر، لكن من أجل تحمل التحليل النفسى. عندما تروى جلساتها فإنها تضرب برأسها على أقرب حائط يتمتم "همم" على فترات وبشكل منتظم، وهو يكرر

نهايات الجمل، لقد ذهبت إلى بيت لونتر مع أمى.: "همم، أمك؟" "أحب الشيكولاتة كثيرًا" : "هم.. الشيكولاتة؟" . فى هذه الحالة، أستطيع أن أجرب التحليل على نفسى فى اليوم التالى، وإلا فإنه سيجرب عليه علاجات حول "العلة الفرويدية"(*) التى تتفق بشكل عكسى مع ما يؤمن به. ليس بألغاز رمزية، لكن يتعين تفسير شىء ما جذاب، بالنسبة إلىّ، فهو ليس قيمة فى ذاته، فهناك أذكياء وهناك باقات، وهم كبير، وهناك الكثير من القمامة وأيضاً الكثير من الأفخاخ ولكن، الذكاء، فى حد ذاته، ليست له أية قيمة أو أية أهمية، هناك أشخاص بالغو الذكاء كرسوا حيواتهم فى مسألة جنس الملائكة، لكن الكثير من الأذكياء، لديهم نوع من الاعتقاد: إنهم يتخذون الذكاء كغاية، لديهم فكرة واحدة فى رءوسهم: أن تكون ذكياً هذا هو الغباء، وعندما يتم استخدام الذكاء كهدف، يتم توظيفه بشكل غريب: البرهان أنه موجود لا يتمثل فى العبقرية والبساطة، وما ينتج عنهما، ولكن فى غموض التعبير.. الأدب الذى ترويه أمى فى اجتماعاتها.. يمثل نموذجًا. انه يقف ضد الممنوع، حيث يتجاوز الواقع كثيرًا من الرياضيات ونظريات مشكوك فيها. حتى النصوص التى تقرأها كولومب "إنها تعمل فى محل جويوم اوخان، خريجة مدرسة الفرنسيسكان فى القرن الرابع عشر" أقل مهابة مثل أن تقول: من

(*) العلة الفرويدية: آمن فرويد بأن لكل ناتج سببًا، وكان هذا مفتاحه فى التحليل النفسى.

الأفضل أن تكون راهبًا مفكرًا من أن تصبح مفكرًا معاصرًا.

وعلاوة على ذلك، ففى اليوم الفرويدى، بعد الظهيرة، رحت آكل الشيكولاتة، أحب الشيكولاتة كثيرًا هذا هو المضاعف المشترك الأوحد مع أمى وأختى. وأنا أقرمش إصبعا منها بالبندق، شعرت أن إحدى أسنانى تفلق، أذهب لأرى نفسى فى المرآة، وأتأكد، بكل قوة أننى فقدت بحسرة جزءًا من سنتى، هذا الصيف فى كويمبر، فوق الدرب، وقعت بعد أن تعثرت قدمى فى حبل، وانكسرت نصف سنتى، ومنذ ذاك اليوم راحت السنة تتفتت من وقت إلى آخر، باختصار، فقدت سنتى الصغيرة، جعلنى هذا ساخرة؛ لأننى أتذكر ما تحكيه لى أمى عن حلم كانت تحلم به دومًا: إنها فقدت أسنانها. أسنان سوداء سقطت الواحدة تلو الأخرى، وهذا ما قاله محللها النفسى بالنسبة لهذا الحلم:

"سيدتى العزيزة، كل فرويدى أخبرك أن هذا حلم يسمى بعلم الموت، كم هذا غريب، أليس كذلك، وليست هذه سذاجة التفسير "أسنان تسقط = الموت، المظلة + قضيب الذكر، إلخ، كأن الثقافة لم تكن قوة هائلة، من الإيحاء والإشارة التى لا تتماشى مع واقع الأشياء. إنه السلوك الممنوع يرسخ السمو الفكرى، يقول ذلك عالم فرويدى، حول التبحر البعيد مما يعطى الانطباع أن ببغاء يتكلم.

لحسن الحظ، ومن أجل أن أسترجع نفسى، ذهبت اليوم إلى كاكورو لتناول الشاى والتهام الجاتوه بالبندق اللذيذ، هذا الرجل الرقيق للغاية، جاء يدعونى ويقول لأمى: "تعارفنا فى المصعد، وقد أجرينا حديثاً رائعاً، ما زال بيننا، قالت أمى مندهشة: "آه، حسناً؟ حسناً، أنت محظوظ، فابنتى لا تتكلم مطلقاً معنا".

تساءل كاكورو: ألا ترغبى فى تناول فنجان شاى، سوف أقدم لك قططى؟..

بالتأكيد، إن أمى التى تستطيع أن تمتلك القصة قد وافقت بكل ملاطفة، كانت أعدت خطط الدعوة إلى بيت الثرى اليابانى، يجب أن أقول إن أحد الدوافع هو الافتتان المشترك، بالنسبة إلى السيد اوزو تتمثل أنه بالفعل بالغ الثراء "كما يبدو". باختصار. لقد ذهبت لتناول الشاى معه وتعرفت على قططه. حسناً، فى هذا المخطط لم أكن مقتنعة بأسرتى لكن بهذا الكاكورو الأنيق على الأقل، استعرضت وجهة نظرى عن الكاكورو الذى أبلغنى أنه يؤمن بالإشعاع وحساسية شجرة بلوط.

واستمر الحديث حول تعريف الذكاء، سألنى إذا كان يستطيع أن يسجل رأيًا حول فروته: "إنه ليس هبة مقدسة، بل هو السلاح الوحيد للقيادات".

ثم عدنا إلى السيدة ميشيل، أدرك أن قطها يسمى ليو على اسم ليو تولستوى، واتفقنا أن نقول إن

بوابة تقرأ تولستوى، وأعمالا من الناشر فرين، ليست كياناً عادياً، كانت لديها عناصر موفقة كى تفكر أنها تحب آنا كارنينا كثيرًا.

قرر أن يرسل لها نسخة، وقال: سوف نرى رد فعلها.

لم تكن هذه هى فكرتى العميقة هذا اليوم، لقد جاءت من جملة نطق بها كاكورو، كنا نتكلم عن الأدب الروسى الذى لم أكن أعرفه بالمرة، شرح لى كاكورو ما يحبه فى روايات تولستوى، إنها "روايات عالمية". هذا يحدث فى روسيا، فى هذا البلد حيث هناك شجر البتول، فى كل ركن من أركان الحقول، وفى إبان حملة نابليون، صار على الطبقة الراقية أن تتعلم الروسية لأنها لم تكن تتكلم إلا الفرنسية، ليس من أجل ثرثرة الكبار، ولكن بدافع الخير، يتصرف كاكورو، بكل أدب، هذا الموقف من واحد يعطى الشعور للآخر بأنه موجود، حسناً، فى الحقيقة، فإن روسيا هى كبار الروس، وأنا لا أراها سيئة، هل يتكلمون الفرنسية؟ فى الوقت المناسب لم أفهم جيداً لماذا، كنت حساسة لأشجار البتول، تكلم كاكورو عن الريف الروسى، وأشجار البتول المرنة والصاخبة، وأحسست بنفسى بالغة الخفة.

بعد ذلك، وأنا أفكر قليلاً، فهمت، بشكل جزئى، هذه الفرجة المفاجئة عندما تكلم كاكورو عن شجر البتول الروسى، أعطانى الإحساس نفسه عندما نتكلم

عن الأشجار، لا يهم أية شجرة: التليو فى فناء المزرعة، الكستناء خلف الصومعة القديمة، أشجار الأرز الكبرى التى اختفت الآن، الصنوبر التى أحنتها الريح معها.. إلخ، هناك الكثير من الإنسانية فى المقدرة على جنى الأشجان، الكثير من الحنين للدهشات الأولى، الكثير من القوة أن تحس باللامعنى فى صدر الطبيعة.. نعم، هكذا: استدعاء الأشجار، وعظمتها المختلفة، والحب الذى يجلبه لا يعلمنا كم نحن متطفلون أشرار نزحف فوق سطح الأرض؛ لأننا مدانون فى الوقت نفسه بالحياة، ولأننا قادرون على إدراك الجمال الذى لا يفرض علينا.

تكلم كاكورو عن أشجار البتول، ونسى المحللين النفسانيين، وكل أنواع الأذكياء، الذين لا يعرفون ماذا يفعلون بذكائهم، أحسست فجأة بقوة أننى قادرة على إمساك الأشياء الكبيرة الجميلة بنفسى.

مطر الصيف

ـ ١ ـ

خفـــــاء

وضعت نظارتى وأنا أقرأ الخط الغامض للعنوان.

ليو تولستوى، آنا كارنينا

مع بطاقة.

سيدتى العزيزة

تكريماً لقطك

بكل المودة

كاكورو اوزو

إنه مشجع دائمًا. لقد اهتدى من جنون العظمة الخاص به.

لقد رأيت بدقة وخلعت القناع.

الرعب يشتد بى.

قمت بشكل آلى، ثم عاودت الجلوس، وأعدت قراءة البطاقة.

شىء ما يتحرك بداخلى، نعم، لا أعرف ماذا أقول، لدىّ احساس مضحك أن مقياساً بداخلى سوف يحل مكانه آخر، هذا لا يحدث لك قط؟ مما يجعلك تحس بتحركات داخلية بأنك غير قادر على وصف الطبيعة، لكن هذا شىء ذهنى ومكانى يحدث فى آن واحد.

تحية لقطتك مع حالة من الصدق غير مصطنعة، سمعت ضحكة صغيرة أشبه بالقهقهة تنطلق من حنجرتى، إنه مقلق، لكنه غريب.

تحول باندفاع خطير ـ كل الاندفاعات خطيرة لدى من يعيشون حياة خفية ـ سأبحث عن ورقة وعن ظرف وعن قلم جاف "برتقالى" وأكتب.

شكراً.. ليس هناك داع

البوابة

خرجت إلى البهو بحذر الهنود الحمر "السيو" ـ لا أحد، دسست الرسالة فى صندوق السيد أوزو، وعدت إلى مسكنى بخطى خفية. كنت منهكة، غصت فى الكرسى ذى المسندين، وأحسست بأن العمل منجز.

انتابنى إحساس قوى للاشىء.

للعدم

هذا الاندفاع الغبى، بعيد عن أن يضع الحد لامرأة طريدة، يتم تشجيعها بمائة ضعف، إنها غلطة

استراتيجية كبرى. هذا الإحساس الخفى بدأ يسرى فى أعصابى.

أمر بسيط. لا أفهم موقعه، البوابة، سوف تقع فى إطار المعنى، وأيضاً: أنت ارتكبت خطأ. سأعيد لك هديتك.

وبدون بهرجة، وبشكل مختصر ومحدد، خطأ فى المرسل إليه.

ماكر وبشكل محدد: لا أعرف القراءة.

أكثر اعوجاجًا: قطى لا يعرف القراءة.

حاذق: شكرًا. لكن هدايا رأس السنة تقدم فى شهر يناير.

وأيضاً، صيغة إدارية: رغبة فى الشكوى استقبال فتح المدارس.

وبدلاً من كل هذا، تدللت باستظراف وكأننا صالون أدبى:

ـ شكرًا على كل شىء.

وانتفضت من المقعد واتجهت نحو الباب.

تنهدت بصوت عالٍ ثلاث مرات.

وعبر الزجاج، رأيت بول نجوين الذى يحمل الرسائل، يتجه نحو المصعد.

أحسست بالضياع.

اختيار واحد هو: الموت.

مهما حدث، فأنا لست هنا، لا أريد شيئًا، لن أكتب، لا أكتب، ولن آخذ أية مبادرة.

مرت ثلاثة أيام، متوالية، واقتنعت بما قررت، أن أفكر أنه غير موجود، لكننى لم أكف عن التفكير فيه، لدرجة أننى لم أنس مرة واحدة إطعام ليو الذى كان آنذاك أقرب إلى الصامت الرفيق.

وفى نحو العاشرة طرق بابى.

ـ ٢ ـ

عمل الحس الكبير

فتحت.

وقف السيد أوزو أمام مسكنى، قال لى:

- سيدتى العزيزة، أنا سعيد أن رسالتى لم تزعجك.

انفعلت برعشة، أجبت وأنا أتماسك، وأحس بالعرق ينساب علىّ كالجاموس:

- نعم، نعم، أهه.. لا، .

استرددت عواطفى المثيرة ببطء ثم أجبت بصوت بطىء: حسناً، حسناً.

ابتسم لى برقة.

- السيدة ميشيل. لم آت إلى هنا لتشكرينى.

قلت وبى شىء من الحمية: (دعها تموت على

الشفاه). اقتسم فيه الفن مع فيدرا، وبرنيس، وهذا المسكين ديدون(*).

قال: جئت أرجوك أن تتناولى العشاء معى مساء الغد، ستكون أمامنا الفرصة أن نتكلم عن أذواقنا المشتركة.

تمتمت بشكل مختصر.. هيه.

أكمل بكل بساطة: عشاء وسط الجيران.

أكملت رغم التشوش فى رأسى:

- وسط الجيران؟ لكننى البوابة.

أجاب: من الممكن أن نمتلك صفتين فى آن واحد.

يا أمنا العذراء، ماذا أفعل؟

هناك دائماً الطريق السهل، رغم أننى أنفر من اتخاذه، فأنا لم يكن لدىّ أطفال، ولا أشاهد التليفزيون، ولست مؤمنة، وكل المشاعر التى تمتلك الناس أن الحياة تبدو لهم سهلة، الأطفال يساعدون فى تأجيل الواجب، المؤلم أن نواجه أنفسنا، والأطفال الصغار يدركونها فيما بعد، التليفزيون يلهى عن التعب اللازم لعمل مشاريع بداية من لا شىء، فى وجودنا العابث. كما أنه يخدع العيون بتفريغ العقل من المشاعر الكبيرة، الله، أخيراً يهدى مخاوفنا كثدييات، والمنظور غير المحتمل لملذاتنا التى سوف تنتهى يوماً ما، وأيضاً دون مستقبل ولا أنساب واصل مما يوحى

(*) ثلاثة من أبطال التراجيديا الإغريقية القديمة أعاد راسين تقديمهم فى مسرحياته.

بطابع الوحوش، الوعى الكونى، بالسخف واللامعقول، فى يقين النهاية.

واستباق قطار الشعور بالفراغ، يمكننى القول بأننى لم أختر طريقاً سهلاً.

ورغم ذلك سعيت بشكل جيد.

- لا ! شكراً أنا مشغولة.

هذا هو الإجراء الأكثر دلالة، يوجد الكثير من التغيرات المصقلة.

- هذا رائع بالنسبة إليك، ولكن عندى مفكرة وزير "مصدق قليلا".

- خسارة. سوف أرحل إلى ميجيف غداً "رائع".

- آسف ولكن لدىّ أسرة "ارشيفى".

- قطى مريض، لا أستطيع أن أتركه وحيداً "عاطفى".

- أنا مريضة، أفضل البقاء بالغرفة "مثير للوقاحة".

واستعددت فى النهاية أن أقول: شكراً ولكن لدىّ الكثير من الزوار هذا الأسبوع.

بدا الصفاء الدمث على السيد أوزو الواقف أمامى. فى الزمن ثغرة تبرق بسرعة خاطفة.

- ٣ -

خارج الزمن

أسفل الكرة الأرضية تسقط الندوف.

أمام عينى ذاكرتى، فى مكتب الآنسة، معلمتى فى فصل العظماء للسيد سيرفون ، كان لدينا الحق فى تدوير الكريات الزجاجية الصغيرة وإمساكها بباطن اليد، حتى سقوط الندفة الأخيرة تحت قدمى برج إيفل المدهون بالكروم.

لم يكن عمرى سوى السابعة عندما عرفت أن انشودة مغناة للأجزاء الصغيرة البطيئة المندوفة تمثل ما يحسه القلب خلال الفرحة العظيمة، تباطأت المهلة ثم اتسعت.

سقطت آخر ندفة، أدركنا أننا نعيش خارج الزمن الذى هو علامة عن التنوير الضخم، وأنا طفلة، كنت أتساءل دومًا إن كنت سأعيش لحظات مثيلة، وأن أدخل فى قلب البطء مع رقصات الندوف اللامتناهية.

وهأنذا أخيرًا، أنزع رعشة الزمن الرخو.

متى يحس هذا بالعرى؟ الملابس المنزوعة خارج الجسم، تبقى الروح منزعجة من التزين. فجرت دعوة السيد أوزو فى داخلى الشعور بهذا بالعرى الكامل الذى هو أيضاً عرى الروح الوحيدة، المحاطة بهالة من الندوف، تجعل قلبى يحترق احتراقًا لذيذًا

نظرت إليه.

ألقيت نفسى فى المياه الضحلة، العميقة، الباردة، الخارجة عن الزمن.

- ٤ -

عنكبوتى

بعد الظهيرة، رحت أتساءل أنا ومانويلا.

- لماذا، لكن لماذا، هل هو لوجه الله؟

قالت لى وهى تضع طاقم الشاى: كيف هذا؟ إنه رائع للغاية؟

تثاءبت: أنت تمزحين.

قالت: يجب أن نفكر بشكل عملى، الآن، لا تتصورى أنك ستذهبين بهذه التسريحة غير اللائقة.

ثم استكملت حديثها وهى تنظر إلىّ بعين خبيرة.

هل لديك فكرة عن مفاهيم مانويلا فيما يخص تصفيف الشعر! هذه السيدة الأرستقراطية القلب هى سيدة بروليتارية. الشعر، مجعد، مبروم، متوردة الوجه، تقوم برش خلاصة المادة العنكبوتية الشفافة، فالشعر حسب مانويلا يجب أن يكون بناء هندسيًا أو لا يكون.

قلت محاولة عدم التعجل: سوف أذهب إلى الكوافير.

نظرت إلىّ مانويلا بشكل مشبوه، سألت:

- ماذا سترتدين؟

بعيداً عن فساتينى المألوفة، فساتين البوابة المتنوعة، ليس لدىّ سوى نوع من المونج الأبيض لحفلات الزفاف، ملفوف بالنفتالين، إنه الثوب اللاهوتى الأسود الكئيب الذى أستخدمه فى الجنازات الدفن النادرة التى أُدعى اليها، قلت:

- سوف أرتدى ثوبى الأسود.

سألت مانويلا وهى تتحنى أرضاً: فستان الدفن.

- ليس عند غيره.

- إذًا، يجب أن تشترى واحدًا.

- لكنه ليس سوى عشاء.

أجابت المربية الفظة التى تكمن داخل مانويلا: أعتقد هذا، لكنك، لن تلبسى من أجل العشاء عند الآخرين.

ـ ٥ ـ

دانتيلا وزخارف نسائية

وبدأت الصعوبات: من أين نشترى فستاناً؟

بشكل عادى، فإننى أشترى ملابسى حسب التساهيل، ومن بينها الأحذية، والملابس الداخلية، والتريكو. أدارت رأسى، فكرة المحاولة لأعين فتاة شابة فاقدة الشهية فى الحياة، تحمل حقيبة، وتمر أمام المحلات دائماً، يريد البؤس لوصار الوقت متأخراً، أملا فى البيع والتسوق حسب الوقت.

لا تختارى سوى صديقة وحيدة، لكن اختاريها جيداً.

فى صباح اليوم التالى، زارتنى مانويلا فى مسكنى.

قامت بتغطية الملابس التى مدتها لى بابتسامة المنتصرة.

تزيد مانويلا عنى فى الطول خمسة عشر سنتيمتراً، وتزن أقل منى عشرة كيلو مترات، أرى امرأة وحيدة فى أسرتها يمكن لملابسها أن تناسبنى، إنها حماتها، الراهبة آماليا التى تشغف بدهشة بالدانتيلا والزخارف النسائية، رغم أنها لاتحب الغرائبيات، الطريقة البرتغالية فى الزركشة، تنم عن روكوكو: حالة تخيل تخلو من الرقة، بل عن هذيان التجمع، الذى يجمع الفساتين فى قمصان نوم ملفوفة، كأنما القمصان تدخل فى مسابقة احتفالية.

أنتم تعرفون كم أنا قلقة، هذا العشاء الذى يعلن نفسه مصلوباً، يمكن أن يكون من فارس، قالت مانويلا بشكل محدد:

- سوف تكونين أشبه بنجمة سينما.

بدت عليها الشفقة: أنا أمزح،

وهى تنزع الغطاء عن فستان بهيج انتزعت منه كل زخارفه، سألت وأنا أتفحصها:

- من أين حصلت على هذا؟

وبمجرد النظر، فهى طويلة القامة، وبرؤية العين أيضاً هذا فستان غالى الثمن، من الجبردين، والصوف الذى يبدو بسيطًا لكنه بياقة قميص وأزرار من الأمام. بالغ البساطة وشديد الأناقة، نوع من الفساتين التى ترتديها السيدة بروجلى.

قالت مانويلا بشكل ملائكى: ذهبت مساء الأمس عند ماريا.

ماريا هى حائكة برتغالية تسكن قريبًا من منقذتى. لكن هذه أفضل من مواطنة بسيطة، كبرت مانويلا وماريا معا فى فارو، وتزوجتا من اثنين من سبعة أخوات من أسرة لوبيز، وتتبعتها فى فرقة موسيقى إلى فرنسا: حيث أنجبتا أطفالهما بشكل عملى فى الأوقات نفسها، خلال بضعة أسابيع متقاربة. وامتلكن قطًا مشتركًا وذوقًا متشابها للحلويات اللذيذة.

سألت: هل تعنين أن هذا الفستان ملك شخص آخر؟

أجابت مانويلا بتكشيرة صغيرة: نعم. ولكن أنت تعرفين، فهى لن تعرف، المرأة ماتت فى الأسبوع الماضى، من هنا وحتى يضع فى الحسبان أن هناك فستاناً عند الخياطة.. أمامك دعوات للعشاء عشر مرات مع السيد أوزو.

كررت مرتعبة: إنه فستان امرأة متعوسة. لا أستطيع أن أفعل ذلك..

سألت مانويلا وهى تدعك رموشها: لماذا هذا؟ هذا أفضل مما لو كانت على قيد الحياة، تخيلى لقد أديت واجبى. يجب أن تقومى بالكى بالبخار وأن تجدى العذر، دعى القلق.

كانت النفعية عند مانويلا شيئاً كونياً، ربما يجب علىّ أن أمارس الإلهام باعتبار أن الموت يعنى العدم.

احتججت: لا أستطيع أن أفعل هذا.

قالت مانويلا وهى تنطق الكلمة كأنها تستغيثها: بروحانية، ماذا فى الأمر؟ ماذا تريدين؟ هل أصابك ألم؟

قلت: لكن هذا الأفضل من شخص وآخر، لا أستطيع أن أتناسب معه.

هتفت: إنها ميتة، وأنت لم تسرقيها، سوف ترتبكين هذا المساء.

عندما بدأت مانويلا فى الحديث حول الاختلافات علم الدلالة لم يكن أمامها سوى المحاولة.

- أبلغتنى ماريا ان هذه امراة بالغة الرقة، وهبت الفساتين، ومعطفاً أنيقاً ماركة البلاباجا التى لا تستطيع أن ترتديها لأنها صارت بدينة، هنا قالت لماريا: هل يمكن لهذه أن تكون مفيدة لك؟ انت ترين، إنها امرأة بالغة الرقة.

البلاباجا: هو نوع من حيوان اللاما، مختلف فى صوفه المتماسك، جدا، وعلى الرأس المزدانة بالباباظ.

قلت ببعض اللين، لا أعرف، أحس أننى أسرقه من امرأة بعينها.

نظرت إلىّ مانويلا فى غيظ.

- أنت ترتبكين، أنت لا تريدين، هل تريدين أن تصنع فستانها، المرأة المسكينة؟

لم يكن هناك سبب لهذا، قالت مانويلا وهى تغير الحديث، بكل جاذبية:

– إنها ساعة السيدة باللير.

قلت: سوف أقضى هذه اللحظة معك.

صاحت وهى تتجه نحو الباب. وهى تنتظر: سوف أذهب إليه، جرييه، اذهبى إلى الكوافير وسأعود بعد ساعة لأراك.

دققت فى الفستان لحظة، مشكوكة فيه، علاوة على التكتم الشديد حول فستان امرأة ميتة، أشك أنها تترك علىّ أثرًا فظًا، فيوليت جرييه هى سيدة مثل بيير آرتين وهى امرأة من حرير، أما أنا فمن فوطة المائدة، تتشكل من مطبوعات بنية أو أزرق بحرى.

وضعت البرهان عند عودتى.

تنبهت أننى لم أشكر مانويلا.

يوميات حركة العالم رقم ٤

إنه غناء جماعى جميل

بعد ظهر الأمس، أقام كورال المدرسة، فى مدرستى بالحى الراقى، حفلا موسيقيًا، لم ير أحد أن هذا مثير، جاهد كل الناس للذهاب إلى هناك، لكن الحفل اختير بعناية، السيد تريانون، مدرس الموسيقى، ثلاثى غنائى عند البوابة، سبب نجاح الكورال هو السيد تريانون بنفسه، شاب، جميل، يشدو أغنيات وألحانًا من الجاز القديم أكثر من الألحان الحديثة، أوركسترا الفصل، كل العالم يتطلع إلى الكورال المتكون من واحد وثلاثين فرداً يغنون أمام تلاميذ المدرسة، تمت دعوة آباء الأطفال المنشدين، سيكون هناك الكثير من الناس، امتلأت صالة الرياضة بالضوضاء، وسط عاصفة من الحماس.

بالأمس، ناحية صالة الرياضة ذات الخبب الصغير، تصرفت السيدة ميجر كعادتها، يوم الثلاثاء

بعد الظهيرة فى الساعة الواحدة، كنا فرنسيين، تحت قيادة السيدة ميجر تجمعنا كلمة حلوة كبيرة، بذلت كل ما بوسعها لمتابعة اللحن وهى تصفر مثل عصفور عجوز، حسنًا، وصلنا إلى صالة الرياضة، أخذ الجميع أماكنه على أحسن ما يكون.

كان علىّ أن أقف أمام وخلف وإلى جوار الناس، أستمع إلى حوارات خافتة الصوت"ستريو، محمول" موضة، محمول، من مع من، محمول المدرسين الذين لا جدوى منهم، محمول، أمسية كانيل، ثم دخل المطربون وسط الهتاف، يرتدون الزى الأحمر الموحد، مع عقد البابيون للغلمان، وفساتين طويلة، لها حمالات للفتيات، جلس السيد تريانون فوق مقعد بدون مسند، وقد أولى ظهره للجمهور، يرفع نوعا من العصى، يخرج منها ضوء أحمر فى الطرف، وما إن ساد الصمت حتى بدأ كل شىء.

فى كل مرة، يبدو الأمر أشبه بمعجزة، هؤلاء الناس، كل هذا القلق، كل هذه الأحقاد، وكل هذه الرغبات، وكل هذه الاضطرابات، كل سنوات المدرسة، لوقاحتها، وأحداثها الصغيرة والعظيمة. مدرسوها وتلاميذها المخلطون، كل هذه الحياة التى اندمجنا فيها تصرخ، وتبكى، وتضحك، ثم تحدث قطيعة، وآمال حانية، وفرص ضائعة، اختفى كل شىء فجأة عندما بدأ أعضاء الكورال فى الغناء.. تعقدت مسيرة الحياة فى الغناء، ساد فجأة انطباع أخوى، وتكاتف عميق، الحب يشع فوق قبح الحياة اليومية فى تجمع

رائع، كانت وجوه المطربين وضاحة. لم أر أشيل جران فرنيه "الذى له صوت تينور رائع" ولا ديبورا ليمور، ولاسيجولين راسيه ولا شارل سان سوفور، رأيت كائنات إنسانية تندمج فى الغناء.

فى كل مرة، يبدو الأمر متشابهًا، وددت البكاء، كانت حنجرتى مزمومة، بذلت ما بوسعى كى أسيطر على نفسى، لكن لمرات، كانت هذه هى حدودى، أستطيع أن أتماسك عن النحيب، عندما يكون هناك موقع، أنظر إلى الأمر وأحس أنه مؤثر، إنه جميل للغاية، بالغ القوة، نتواصل معًا، لست نفسى، أنا جزء من كل ينتمى إليه الآخرون. تساءلت دائماً فى هذه اللحظة لماذا لاتكون هذه قاعدة الحياة اليومية بدلاً من أن تصير لحظة استثنائية للكورال.

عندما توقف الكورال، هدأ الجميع، الوجوه مشرقة، المغنون مشعون، الأمر بالغ الروعة.

أخيرًا، تساءلت إذا كانت الحركة الحقيقية للعالم، عبارة عن غناء.

ـ ٦ ـ

انتعاش

هل تصدق أننى لم أذهب أبداً إلى الكوافير. عندما تركت القرية إلى المدينة، اكتشفت أن هناك مهنتين تبدوان لى بالغتى الضآلة فيما يمكن أن يقدمها مكتب تشغيل إلى شخص عليه أن يحقق ذاته، فأنا أعتبر اليوم أن باعة، الزهور ومحلات الكوافير ليست أبداً متطفلة، بل إنها تعيش من التطور الطبيعى الذى يحدث لكل شىء، مما يتكامل مع قوة منصفة، حيث تتولد منتجات عطرية أحس بها وحدى فى الحمام مع زوج من المقصات الجيدة.

سألت وأنا أشير إلى الحلاقة:

ـ من يقص لك شعرك هذا. إنه مجهود شاق؟

رحت أبوح لها عن سر بعنايتى بتسريح شعرى كخادمة.

حركت على كل جانب فى أذنى خصلتين بطول قياسى، أجابت وهى غير منشرحة. كأنها تلصق بى العار كى أتكلم بنفسى:

- أخيراً، لا أريد أن أسأل. الناس لا تحترم أحدًا، أرى هذا كل يوم.

قلت: أريد بعض التغيير.

لم أكن أعرف ماذا يعنى هذا، إنه رد كلاسيكى من المسلسلات التليفزيونية التى تعرض بعد الظهيرة، بها العديد من الشابات اللاتى وضعن الماكياج بشكل جيد، وجدن أنفسهن بشكل متنوع عند الكوافير، أو فى مركز قاعة التدريبات الرياضية.

قالت: انتعاش، لا يوجد ما يثير الانتعاش! كل شىء أنجز، يا سيدتى!.

نظرت إلى رأسى نظرة انتقادية، تبعتها بصفير خافت:

- لديك شعر جميل، يجب أن نطلق شيئاً ما.

فى الحقيقة، فإن كوافيرتى فتاة جميلة، تمتلك عنقا تتمثل شرعيته بشكل خاص من الجلوس فى ذاتها، ولأنه من الجميل أن تستعيد السيناريو الاجتماعى الذى يلزم كل منا، فقد اهتمت بى بكل رقة وفرحة.

ماذا يمكن أن نفعل بحفنة من الشعر شذبناه كى يعطى معنى للاتساع، وسط أفكارى القديمة حول

قص الشعر، ناحتة كتلة من الصخر لتأخذ شكلاً يعكس مفهومى لأوعية الشعر .

انتهت بأن قالت، وهى تبارك عملها. بكل رضاء ظاهر:

- لديك شعر جميل حقيقى، إنه كثيف وحريرى، لا يجب أن يقصه أى شخص.

هل يمكن للكوافيرة أن تحولنا إلى هذا الحد؟ أؤمن بذلك وأنا أنظر إلى انعكاس وجهى فى المرآة، الكاسكيت الأسود المسجون فى وجه، قلت بجحود إنه أصبح خفيفًا بشكل واضح حول وجه ليس دميمًا تمامًا، أكسبنى هذا شكلاً.. محترمًا، وجدت نفسى، فى مظهر مزيف، سيدة رومانية.

قلت وأنا أتساءل كيف نختلس هذا الجنون غير العابئ بنظرات المقيمين: إنه رائع.

لم أدرك أن الكثير من السنوات التى مرت، قد فشلت بضرب جنونى فوق مقعد من الرمل.

عدت إلى منزلى وأنا أحدد الحوائط بفرحة غير ملموسة، لا أكاد أصدق، يبدو لى أن ليو ينظر إلىّ بشكل غريب، اقتربت منه، ضرب أذنه للخلف، علامة الغضب أو الحيرة.

قلت له: هيا، ألا تحب؟ قبل أن أتحقق أنه يتنفس بشكل متقطع ما يحدث من حوله الغسيل بالشامبو.

وضعت وشاحًا فوق رأسى، وأفرغت فى كأسى كل الانشغالات العاطفية التى تتمثل فى تنظيف حقيقى للأزرار اللامعة فى مقصورة المصعد.

إنها الساعة الثانية إلا عشر دقائق.

وبعد عشر دقائق، خرجت مانويلا من السلم كى تراجع المهام التى تم الانتهاء منها.

لم يكن لدىّ الوقت للتوازن، نزعت وشاحى وخلعت ملابسى بسرعة، وارتديت ملابس البوابة البيج الذى تنتمى إليها امرأة ميتة، وطرقت الباب.

- ٧ -

مزينة مثل زهرية

قالت مانويلا: وواه.. طظ.

نبرات صوتية وألفة مماثلة فى فم مانويلا، لم أسمعها تنطق قط بكلمة مبتذلة، كم هو جميل أن يصيب النسيان أباها، فترمى بالسباب إلى الكاردينالات، لكن أين هذه القذارة من السلطة الدينية؟.

قلت: لا تسخرى من نفسك؟

قالت: أسخر من نفسى؟ آه يا رينيه. أنت رائعة.

وبكل اختلاج، جلست، أضافت:

- امرأة حقيقية.

هذا هو ما يقلقنى.

قلت وأنا أعد الشاى: سوف يكون شكلى سخيفًا وأنا أصحبك للعشاء هكذا. مزينة مثل زهرية.

قالت: أبداً. إنه أمر طبيعى، نحن نتعشى، ونحن نلبس، كل الناس ترى هذا أمرًا طبيعيًا.

قلت وأنا أضع يدىّ فوق رأسى، أحس بنفس الصدمة فى مس شىء ما هوائى:

- نعم، لكن هذا.

قالت مانويلا وهى تدعك أهدابها، وأنا أضرب سلتها بالدربزين المصنوعة من ورق الحرير الأحمر:

- وضعت شيئًا ما فوق رأسك، بعد أن صار كل شىء خلفه مسطحًا.

قالت: فراء الراهبة.

نعم، لنتحدث فى شىء آخر.

سألت: إذًا؟

تنهدت:

آه، إذا رأيت هذا، اعتقد أنها سوف تصاب بأزمة قلبية.

قلت:

السيدة باللير، أنا آسفة، لن أستطيع الحضور.

لم تفهم، كان يجب أن أردد ذلك مرتين! جلست، قالت لى: لكن ماذا أفعل؟

توقفت مانويلا، وتراجعت للخلف. ثم قالت:

- إذا سألت: ماذا سأفعل بدونك؟ تصبح لدى

الفرصة أن أضع روزى فى الاعتبار، اللهم إلا إذا قلت: السيدة باللير، يمكنك أن تفعلى ما تريدين، أكاد أن أج.

قال الأب: سلطة دينية مفلسة.

روزى هى واحدة من بنات أخت مانويلا العديدات، يعنى هذا أن مانويلا تغنى عند العودة أنها وسيلة نجاح مثمرة من ٢٧ شارع جرينل يجب أن تظل وسط أسرة - تدخلت روزي، وهى تتنبأ بيوم عظيم.

يا إلهى، ماذا سأفعل بدون مانويلا.

قلت وأنا أبتسم: ماذا سأفعل بدونك؟

انسابت الدموع من أعيننا فجأة.

سألت السيدة مانويلا وهى تجفف وجنتيها بمنديل كبير أحمر، على طريقة مصارع الثيران: هل تعرفين ماذا أعتقد، لقد تركت السيدة باللير، إنها علامة، سوف تحدث لها تغييرات جوهرية.

- هل سألتك لماذا؟

قالت مانويلا: هذا هو الحل الأفضل، فى بعض الأحيان، تصير التربية الجيدة مشكلة.

قلت: لكنها سوف تتعلم بسرعة جداً.

نفخت مانويلا بقلب رقيق: نعم، هل تعرفين؟ ثم أضافت: خلال شهر سوف تقولين: هذه لؤلؤة. روزى الصغيرة مانويلا: لقد مررت يدك بشكل جيد، هذه الثرية.. أشبه بمغارة!

قال الأب بعصبية وبلكنة إنجليزية. سلطة داعرة.

قلت: رغم ما حدث، فنحن صديقتان.

نظرت كل منا إلى الأخرى، ونحن نبتسم، قالت مانويلا:

- نعم، مهما حدث.

فكرة عميقة رقم ١٢

هذه المرة سؤال

حول القدر

وكتاباته الأولى

بالنسبة إلى البعض

وليس للآخرين

أنا غبية قليلاً: إذا أشعلت النار فى الشقة، فإننى أغامر بخسارة كاكورو، وأن أعقد وجود الشخص الوحيد الناضج، الذى يبدو لى جديرًا بالاحترام، رغم أن ذلك غير مناسب بالمرة، لكن إشعال النيران أمر مشروع أتمسك به. اليوم، عقدت لقاء عاطفياً، ذهبت إلى كاكورو لتناول الشاى، كان هناك بول، السكرتير، دعانا كاكورو، مرجريت وأنا، عندما قابلنا فى المعرض أنا وأمى، مرجريت هى أعز صديقاتى، نحن فى الفصل نفسه منذ عامين ومنذ البداية، كان هذا

ضربة حظ، لا أعرف إذا كان لديك أدنى فكرة عم تعنى مدرسة فى باريس اليوم، فى الأحياء الراقية، لكن بكل وضوح، ليس هذا مشابه للأحياء بشمال مارسيليا. لعله أكثر مضاعفة؛ لأنه حيث توجد الأموال توجد المخدرات، الأصدقاء الستون السابقون لأمى يسخرون منى بذكرياتهم المبتهجة، والغليون الشيشانى، فى المدرسة (شعبى رغم ذلك. كان أبى وزيرًا فى الدولة)، يمكننا شراء كل شىء، مياه غازية، كوكا ممتعة، إلخ. عندما أفكر فى الزمن حين كان المراهقون يرمون ياقاتهم فى دورات المياه، كان الأمر أشبه بطعم الخبيزة، زملاء المدرسة يغرقون فى المتعة مثلما يزدردون وميشوكو(*). ألا وهى، إنه فى ساعة مبكرة. هناك فى الدور السادس حيث هناك علاقات جنسية، أولا، أعتقد أن الجنس قتل الحب، هو شىء مقدس، لا أنادى بروجلى ولكن إذا عشت الى ما بعد البلوغ، سيكون لدىّ قلب أحقق به أعجوبة مقدسة، ثانيًا. مراهق يلعب دور البالغ يبقى رغم ذلك مجرد مراهق، أن يغرق ذات ليلة، والنوم يسدل عليك الستار فى العالم الداخلى، إنه مثل الاعتقاد التنكرى يصنع منك هنديًا.. ثالثًا: رغم أن له مفهومًا غريبًا عن الحياة فهو يريد أن يصبح بالغًا، وهو يحرك كل ما هناك نحو كارثة فى عالم البالغين.. أرى أمى تطلق النار على المعارضين وعلى المنوعات، إنه أمر يخصنى طوال العمر ضد هذا النوع من الجوهر. أخيرًا، فإن

(*) ميشوكو: شيكولاتة وحلوى يابانية.

المراهقين يعتقدون أنهم صاروا بالغين وهم يقلدون البالغين الذين يظلون كباراً ويهربون عبر الحياة. إنه أمر مثير للعواطف، لاحظوا أننى لو كنت كانيل مارتن، زميلتى فى الفصل، فإننى سوف أسأل عما سأفعله بأيامى ابتداء من مدخراتى. ومصيرها المكتوب على جبينها. طوال خمسة عشر عامًا، زواج ثرى، سوف تنزع من زوجها الذى سيبحث فى نساء أخريات عما يرضيه، زينة باردة، وزوجة تافهة، سيكون دائماً غير قادر أن يعطيها أى قدر من الحمية الآدمية والجنسية، سوف تبذل آنذاك كل طاقتها فى المنزل ولأولادها، كنوع من الانتقام اللاواعى، سوف تجرب أن تستنسخ، وسوف تفعل، وستلبس بناتها مثل المحظيات المتميزات، وتلقى بهن بين أحضان أول محمول يأتى، وستكلف أبناءها بغزو العالم، مثل أبيهم، الذى يخدع نساءه مع البنات الضائعات، هل تعتقد أننى شريرة؟ عندما انظر إلى كانيل مارتن، وإلى شعرها الطويل الأشقر المدخن، وإلى عينيها الزرقاوين، وإلى تنورتها القصيرة الإسكتلندية. وثنيات التى شيرت الحديثة وسمرتها الرائعة، أو كذلك أننى سوف أراها بجلاء، وأن هذا قد حدث.

أما الآن، فكل غلمان الفصل يسيل لعابهم أمامها، لقد أصابهم الوهم بهذا التكريم تجاه المراهقة الصغيرة بمثالية الاستهلاك الأنثوى التى تمثل كل العرفان بالجميل لسحرها الشخصى، أنت تعتقد أننى شريرة، أبدًا، هذا يجعلنى أعانى أكثر، وأصاب بالألم

إنه مؤلم بالنسبة إليها عندما رأيت مرجريت للمرة الأولى.. مرجريت من أصل إفريقى إذا كان اسمها مرجريت، فليس هذا لأنها تسكن "أوتى"، بل لأن هذا اسم زهرة، أمها فرنسية وأبوها من أصل نيجيرى من ميناء أورساى، لكنه لا يشبه أبدا الدبلوماسيين الذين نعرفهم، إنه رجل بسيط يبدو أنه يحب ما يفعله. ليس مجنوناً أبداً. هى فتاة جميلة، مثل النهار، مرجريت هى الجمال مجسد، بشرة، ابتسامة، شعر الأحلام، ابتسمت طوال الوقت عندما غنى لها أشيل جران - أغنية (ديك الفصل)، فى اليوم الأول.. "ميلسا ملونة ابييزا تعيش دائما مجردة الملابس"، أجابها لتوه، ومع ابتسامة عريضة: آلو، ماما بوبو.كيف تفعل هذا بى وأنا لست جميلة.. هذا لدى مرجريت، هناك شىء ما أعجب به. ليس هبذا سهم مفهوم الاتجاه، أو موضوعى. لكنها لديها حس الرحيل غير المباح. إنها موهبة، أنا، أنا ممتثلة للتفكير أما مرجريت، فهى مفارقة أولية، كنت أتمنى أن أكون مثلها. أنا، أجد هذا الرد فى خمس دقائق متأخرة للغاية وأقيم الحوار فى رأسى، تقول كولومب، إن مرجريت عندما جاءت إلى المنزل لأول مرة، قالت لها "مرجريت.. هذا جميل. إنه اسم جدتى" أجابتها من هنا وهناك، على الأقل ليس هذا اسم العصفور، ظلت فاغرة الفم، كولومب، إنها شهية! كان عليها أن تجتر طوال ساعات، أمام الإجابات السهلة لمرجريت وهى تحكى لنفسها أن كل شىء يحدث بالصدفة، لكنه أمر مريك.. رغم ذلك إنه

الشىء نفسه تكرر، عندما قالت لها جاسنيت روزن، الصديقة الحميمة لأمى، لا يجب أن يكون قص الشعر سهلا، شعر مثل شعرك. المرجريت أشبه بلبؤة فى السافانا، أجابت: أنا لم أفهم ما قالته السيدة البيضاء.

صار حوارنا المفضل مع مرجريت هو الحب، ما هذا؟ كيف تحب؟ من؟ لماذا؟ أفكارنا تتباعد، بشكل حاد، لدى مرجريت رؤية فكرية عن الحب، لأننى رومانتيكية. إنها ترى فى الحب ثمرة اختيار عقلى "من نوع www.mosgouits.com" بينما أنا أمثل طرفاً لغريزة لذيذة. نحن على العكس على اتفاق فى شىء: الحب. يجب ألا يكون وسيلة، يجب أن يكون هدفاً.

موضوعنا الآخر فى الحوار عن الصفاء هو استعراض القدر، كانيل مارتن، الإهمال والخداع من زوجها، زوج ابنته إلى ممول. وشجع ابنه على أن يخون زوجته، وأن ينهى حياته فى شاتو فى غرفة إيجارها ثمانية آلاف يورو فى الشهر، أصبح اشيل جرارفرنيه: مصابًا بالبطولة ما بين العلاج فى عشرين عامًا، أو استعادة الحقائب البلاستيكية التى يمتلكها أبى، أن يتزوج بشقراء ملونة. يتبنى ابنًا فصامياً وفتاة عصابية، أصبحا سكيرين، مات من سرطان الكبد فى الخامسة والأربعين، إلخ. وإذا أردت نصيحتى، فإن الأمر أكثر رعباً، ليس سوى أن تلعب هذه اللعبة: إن هذه ليست لعبة.

دائمًا ما نتقابل فى بهو القاعة، مرجريت، وأمى، وإن قال كاكورو: عندى أبناء أخى الصغار الذين أتوا إلى بيتى بعد هذه الظهيرة، هل تريدون اللحاق بنا؟، قالت أمى: نعم، نعم بالتأكيد.. قبل أن يكون لدينا الوقت لنقول أوف، نحس بدنو ساعة نزولها إلى الدور الأسفل، إذًا لقد ذهبنا، ابنة شقيق كاكورو تدعى يوكو، إنها ابنة أخته اليز التى كانت أيضًا ابنة أختها ماريكو فى الخامسة من العمر، إنها أجمل الفتيات على الأرض، رائعة، ومع هذا، تزقزق، وتغرد، تنظر إلى الناس بنفس الشكل الطيب، منفتحة، على شقيق جدها، لقد لعبنا الاستغماية، وعندما عثرت عليها مرجريت فى صندرة المطبخ، ضحكت لأنها تبولت فى كيلوتها، ثم أكلنا كعكة الشيكولاتة وهى تتناقش مع كاكورو. تسمعنا وتنظر الينا برقة، بعينيها الواسعتين (والشيكولاتة حتى رموشها).

عند النظر إليها، تساءلت: هل سوف تصبح ايفا مثل الأخريات؟ حاولت أن أتخيلها قبل عشرة أعوام، مقززة فى حذاء طويل وسيجارة ذات مبسم، وأيضا بعد عشر سنوات أخرى فى معقمة داخلية، فى انتظار عودة أولادها وهم يلعبون لعبة عريس وعروسة باليابانية، ولكن هذا لن يدوم.

أحسست بسعادة بالغة، انها المرة الأولى فى حياتى التى أقابل فيها شخصاً لم يتحدد مصيره بعد، شخص ما طريقه فى الحياة يظل مفتوحًا، شخص

ملىء بالطزاجة والبساطة، تساءلت: "أوه. نعم، يوكو، أرغب أن أراها تكبر". وأنا أعرف أن هذا ليس سوى وهم مرتبط بشبابها؛ لأنه ليس أحد من أطفال أصدقائها، ومن والدى الذى لم يقبل هذا الشعور قط. قلت أيضا إن كاكورو يجب أن يكون على هذه الشاكلة، عندما كان صغيرًا، تساءلت إذا كان أحد، فى تلك الفتاة، قد نظر إليه مثلما أنظر إلى يوكو، بكل متعة وفضول، وأنا أنتظر أن أرى البابيون يخرج من شرنقته وهو جاهل، يبوح عن دوافع داخلية.

طرحت سؤالا، لماذا، لماذا هؤلاء وليس الآخرون؟

ثم سؤال آخر: وأنا؟ هل مصيرى ماثل فى جبينى، إذا أردت أن أموت، لأننى أؤمن به.

لكن، إذا كان هذا عالمنا، فإنه تتحقق فيه إمكانية أن نصبح مما لم تكن عليه.. هل سوف أستطيع ، ممارسة حياتى فى حديقة أخرى غير حدائق أبوىَّ؟

\- ٨ -

بالجحيم

فى الساعة السابعة، ميتة أكثر منى حية، توجهت نحو الدور الرابع، وأنا أصلى أن أتمكن من تحريك مفاصلى، حتى لا أقابل أحدًا.

بهو المدخل سميك

والسلم خال

والسلة فارغة أمام شقة السيد اوزو .

هذا الخواء الصامت الذى يجب أن يغمرنى، يملأ قلبى حدس مظلم، انتابتنى رغبة عارمة فى الهروب، فجأة بدا لى مسكنى المظلم ، أشبه بمأوى ناعم ومشع، انتابنى إحساس بالحنين وأنا أفكر فى ليو القابع أمام التليفزيون الذى لم يبد لى أبدا ناقمًا، وبعد كل ذلك، ماذا ينقصنى؟ أستطيع أن أدور حول نفسى، وأنزل السلم، لأعود إلى مسكنى، لا شىء سهل

لا شىء يسقط بلا معنى، على عكس هذا العشاء الأقرب إلى اللامعقول.

ضجة فى الدور الخامس، تسقط فوق رأسى، تقاطع أفكارى وخوفى، بدأت فى التنفس تلقائيًا ـ شعرت بالامتنان ودون أن أتفهم الحركة ضغطت الجرس بكل عصبية.

ليس هناك وقت لامتلاك القلب حين يخفق، انفتح الباب.

استقبلنى السيد أوزو بابتسامة عريضة، قال لى بتباسط غير ملحوظ:

- عمت مساء يا سيدتى.

يا للجحيم. تحدث ضجة فى الدور الخامس، شخص ما يغلق الباب، قلت:

ـ أسعدتم مساء.

وشجعت مضيفى بشكل عملى كى يستكمل.

قال السيد اوزو وهو يكمل ابتسامته كثيرًا:

ـ دعينى أخلصك.

مددت له حقيبة يدى، وأنا أدقق النظر فى الممر الطويل.

كانت نظرتى تحمل بعض المعانى.

- ٩ -

ذهب منطفئ

أمام المدخل، فى ممشى الضوء توجد لوحة.

هذا هو حالى: أنا، رينيه، فى السابعة والخمسين، هناك تورم فى قدمى، مولودة فى وحل، ومكتوب علىّ أن أظل فيه، أتوجه إلى العشاء عند الثرى اليابانى الذى أنا بوابة عنده، إنه مزيج أوحد تشبعت به على غرار "آنا كارنينا" أنا رينيه، المفزوعة والمرعوبة حتى أعماق مخى، السبب أننى سوف يغمى علىّ من عدم لياقتى وسمات تجديفية لحضورى إلى هذا المكان الذى رغم أنه بالغ الاتساع بما يكفى، لا يشبه أى عالم أنتمى إليه ويخص البوابات، أنا رينيه ألقى النظرة المباغتة نحو السيد أوزو فوق شعاع من الضوء يسقط فوق لوحة ذات إطار من الخشب الداكن.

لن تنجح كل روعة الفن كى تفسر الإغماء المفاجئ لوعيى جعلنى أشعر بالإهانة لما اتسم به من

جمال لا أعرف لماذا، أنا أجاور السيد اوزو، الذى أدهشته رؤيتى.

إنها طبيعة ميتة تمثل مائدة مقامة من أجل وجبة خفيفة من المحار والخبز، فى الصف الأول يوجد طبق من الفضة، ليمون مقشور، وسكين ذات نصل كالمقص، وفى الصف التالى هناك بطاقتان مغلفتان، ووميض من القواقع، صدفة مرئية وطبق من القصدير يحتوى على الفلفل الأسود، بين الاثنين زجاجة نائمة، وخبز صغير من اللباب الأبيض المنزوع، وعلى اليسار، زجاجة كبيرة مملوء نصفها بسائل ذهبى، كالأبنوس مثل قبة مقلوبة على قدميها العريضتين الأسطوانيتين المزدانتين بأقراص جلدية زجاجية حيث تكسب التشكيلة الكرومى اللون الأصفر لونًا أبنوسيًا فى العمق ذهب منطفئ، متسخ قليلاً.

أنا عاشقة متحمسة للطبيعة الميتة، أحضر من المكتبة كل اللوحات المرسومة العميقة، هناك توجد لوحات من نفس النوعية، لقد زرت اللوفر، واورساى، ومتحف الفن الحديث ورأيت تطورًا وصعودًا ـ معرض شاردان عام ١٩٧٩ فى القصر الصغير، لكن كل أعمال شاردان لا تساوى لوحة صغيرة من الرسم الهولندى فى القرن السابع عشر، الطبيعة الميتة لبيتر كلايسر[١]. فيللم كلايسز ـ هيدا[٢]. وفيللم

(١) بيتر كلايسز (١٥٩٦ ـ ١٦٦٦م) فنان هولندى من باكورة عصر الباروك، اهتم باستخدام اللون الرمادى والأسمر والأحمر.

(٢) فيللم كلايسز ـ هيدار (١٥٩٤ ـ ١٦٨٠م) فنان هولندى، اشتهر بلوحاته فى الطبيعة الصامتة واهتمامه بسطح اللوحة.

كالف[1]، أوزياس بريت[2] هى أحسن لوحات من نوعها. وأعظم الأعمال القصيرة التى أعطت. بدون أى تردد، الأربعمائة الطلاينة.

لا، فهذا، بدون أى شك، أكثر ثباتًا من بيتر كلاسز.

قال السيد أوزو من ورائى: نسيت أن أبلغك أنها منسوخة، هذا الرجل يجعلنى أرتجف أيضًا.

أرتجفت.

استعدت جأشى، تماسكت، وأنا أقول شيئًا على غرار:

- إنه جميل، كم أن الفن سهل سهولة جمال اللغة.

تماسكت وسيطرت على نفسى، واستعدت دورى كحارسة عقار منفرجة، وأنا أتابع قائلة:

- ماذا يعنى أننا غير قادرين أن نفعل اليوم (ردًا على أنها منسوخة)، واستعددت دومًا أن أوجه ضربة القدر نحو شكوك السيد اوزو الذى لم تتضح نواياه، وهو الذى سيحاصر للأبد جوهر إهانتى.

- هذه الزجاجات غريبة.

استدرت

---

(١) ڤيللم كالف فنان تشكيلى من عصر النهضة. هولندى له لوحات عن الطبيعة الصامتة.

(٢) أوزياس بريت (١٥٨٠ ـ ١٦٢٢م) فنان هولندى من عصر النهضة، تميز بلوحات عما يسمى بالطبيعة الميتة.

استعدت الكلمات:

- نسخة من ماذا؟

وقررت فجأة أن أردد العبارات الأكثر ملاءمة التى تخف فى حلقى

بدلاً من أن أقول:

- كم هى جميلة.

ـ ١٠ ـ

أى تطابق؟

من أين يأتى الإعجاب الذى نشعر به أمام بعض اللوحات؟ يولد الإعجاب عند النظرة الأولى، وإذا اكتشفنا فيما بعد، فى وجهة النظر التى نطرحها عند تفسير الأسباب، إن كل هذا الجمال هو ثمرة مهارة لا تتكشف سوى فى فحص مهام ريشة تعرف كيف تحدد الظل والضوء، وإعادة تجميل الأشكال والنصوص ـ شفافية الزجاج الساحرة، بذور صاخبة للصدف مخملية واضحة للعيون ـ هناو لايمكن تفسير غموض الانبهار الأول.

إنه لغز يتجدد دومًا: الأعمال الكبرى هى أشكال مرئية تحدث فينا اليقين فى معادلة أبدية، من الواضح أن بعض الأشكال تكمن وراء المظهر الخارجى الذى يمنحها سماتها. تعبر تاريخ الفن وزخارف العبقرية الفردية، التى تتضمن الكثير من أضلاع

العبقرية العالمية. إلى شىء ما من العمق المطلق، أى تطابق بين لوحة كلاسز ولوحات روفائيل، أو روبنز(*) أو هوبر؟ على حساب تنوع الموضوعات، والفروض، والتقنيات لحساب التفاحة، وحضارة الوجود دائمًا تحاول ألا تكون سوى زمن واحد وثقافة واحدة، وأيضا حسب وحدة كل النظرات التى لا ترى سوى دستورها الذى يعانى من فقر هويته الشخصية. عبقرية الرسامين الكبار التى تخترق قلب الغموض إلى حد النبش، بأشكال متعددة، منها الشكل النهائى الذى تبحث عنه فى المنتج الفنى، أى تطابق بين كلاسز، وروفائيل، وروبنز، أو هوبر؟ تجده العين دون أن تبحث عن شكل يطلق المشاعر الأبدية، لأنها تبدو لكل واحد كأنها جوهر الجمال نفسه، دون تنوع أو تحفظ، دون أى مجهود. فى الطبيعة الميتة لليمون، متعذر تبسيطه عند عظمة التنفيذ، تتدفق مشاعر المعادلة، الأحاسيس التى هى أيضا ما يجب أن تكون عليه، تسمح بمرور قوة الأشياء وتداخلها، وأن تمسك نظرتها بقوتها، وبالمجال المغناطيسى الذى يجذبها أو يدفعها، الرباط الأبدى الذى ينسجها. هذه الموجة السرية غير المفسرة التى تولد حالات من الضغط، وتوازن الشكل -يجعل تدفق المشاعر المعادلة، وموقع الأشياء، والأطعمة التى تبلغ هذا العالم فى توحده، فى أبدية الشكل المعادل.

(*) روبنز (١٥٥٧ ـ ١٦٤٠م) . وهو أعظم مصورى المدرسة الفلمنكية. من لوحاته النزول على الصليب.

ـ ١١ ـ

وجود بلا ديمومة

فيم يفيد الفن؟ فى منحنا المختصر، ولكن بشكل براق، وهم الكاميليا، نحن نفتح طوال الوقت خصلة عاطفية تبدو متعذرة للحيوان العاقل. كيف يولد الفن؟ انه يتعانق مع مقدرة الروح فى نحت المجال الحسى. ماذا يفعل الفن لنا؟ يكون شكلا ويجعلنا نرى عواطفنا. ونواقيضها المخفية داخل خاتم الخلود الذى يشمل كل الأعمال، عبر شكل خاص، تعرف كيف تتقمص عالم التأثيرات الإنسانية.

خاتم الخلود.. أى حياة غائبة فى هذه الأطعمة. والكئوس، والسجاجيد، وهذه الزجاجات التى تبالغ فى قلبنا، فيما وراء حدود اللوحة، بلا شك، فإن صخب الحياة ومللها، وهذه الجولة المتعبة التى لا تتوقف فى الفن ـ ولكن فى داخلها، يبدو الكمال معلقًا، للحظة، ومرتبطًا بزمن الاشتهاء الإنسانى،

الاشتهاء الإنساني: نحن لا نستطيع أن نوقف الرغبات، يمتعنا هذا ويقتلنا، الرغبة: إنها تحملنا، وتصلبنا، وتقودنا كل يوم إلى ميدان المعركة حيث نفتقد البارحة، وتبدو الشمس من جديد أرضا للغزو. ونبنى أنفسنا، ونموت فى اليوم التالى. إمبراطوريات مكتوب عليها أن تصبح ترابًا، مثل المعلومات التى نعرفها عن السقوط القادم، إنها لا تجلب سوى العطش.. توحى لنا بمنبع الإرادة، وما لا نقدر على امتلاكه، وترهبنا ذات صباح صغير فوق عشب مكدس بالخبث، يسوقنا إلى ميتتنا فى مشروع مكتمل أحيانًا ونهضوى أحيانا، لكنه شديد القوة فنحن نرغب بلا توقف.. نحن نأمل تقريبًا فى متع بلا هدف. نحلم بحالة من السعادة لا بداية لها ولا نهاية. والجمال الذى لا نهاية له محدود يصبح بمثابة الوضوح لطبيعتنا، هذه الحالة هى الفن، ترى هل لأن هذه المائدة يجب أن أوجهها؟ هذه الأطعمة هل يجب أن أطعم كى أراها؟ من ناحية أخرى، فالبعض ينشد هذه الوجبة، ويأمل فى هذه الشفافية المعدنية وتتابع متعة مداعبة اللسان الحريرى المملح للمحار ذى الليمون، يجب أن أرى هذا المشروع. المرصع فى مائة محارة أخرى، ويندفع إلى ألف، هذه النية من الأعداد تتذوق وليمة من المحار ـ هذا المشروع حقيقى، كى تأخذ اللوحة شكلها.

لكن عندما ننظر إلى طبيعة ميتة، عندما نتلذذ دون أن نتابع هذا الجمال الذى تنبثق منها الواجهة

المجمدة والساكنة للأشياء، فإننا نتمتع بعالم نمتلكه ونشتهيه. نحن نتأمل ما لا نرغبه. إذًا فالطبيعة الميتة، تكشف جمالا يتكلم عن رغباتنا، لكنها تنام فوق طبيعة أخرى تمس متعتنا دون الدخول فى أى خطط. لأنها تعطى نفسها والمجهود الذى نأمله. يتقمصه العنصر الخامس للفن.

هذا اليقين نحو الأبدية، فى مشهد السكون دون حياة ولاحركة، يتقمص زمنا استثنائيا من مشاريع للعواطف المرتبطة بالديمومة ومللها الجشع. متعة دون رغبة، وجود بلا ديمومة وجمال بلا إرادة.

لأن الفن هو العواطف دون رغبة.

يوميات حركة العالم رقم ٥
سيتحرك لن يتحرك

اليوم، اصطحبتنى أمى عند طبيبها النفسى، الدافع، اننى اتخفى. هذا هو ما قالته أمى: "عزيزتى. أنت تعرفين أن هذا يصيبنى بالجنون وأنك تتخفين هكذا، أعتقد أن هذه فكرة طيبة أن تذهب للتحدث مع الطبيب تيد، خاصة بعد أن قلت فى آخر مرة". الدكتور تيد، ليس طبيباً سوى فى المخ، أثار القلق أمى، ليس طبيباً أو بصاحب حق فى هذا الأمر.. لكن هذا يستثيرها بشكل احتجاجى، تشعر أمى برضاء كبير للغاية كى تقول "دكتور"، مما يتفق مع الطموح الذى عليه أن نتسم به ظاهرياً. استغرق الأمر"١٠ سنوات"، إنه يسارى قديم امتهن علم النفس بعد عدة سنوات من الدراسة. ليس فقط فى نانتر، بل فى أماكن أخرى، حيث استخدم الدافع الفرويدى ثانيًا، لا أرى أين تكمن المشكلة "اختبئ" ليس حقيقة. فى الحقيقة أنا أنعزل هناك حتى لا يمكن لأحد العثور

علىّ. أريد فقط أن أتمكن من كتابة أفكارى العميقة، ويوميات حركة العالم فى سلام. فيما قبل، كنت أريد التفكير بهدوء داخل رأسى، دون أى قلق تسببه لى أختى التى تتكلم أو تسمع الراديو، أو دون أن تزعج أمنا التى جاءت تهمس لها "مامى. هناك عزيزتى، تعالى اعملى له بيزو" إنها جملة من بين الجمل الأقل جاذبية التى أعرفها.

عندما بدت عينا أبى غاضبتين، سألنى: لماذا تتخفين؟ لم أرد. ماذا يجب أن أقول؟" لأنكم تسببون لى العصبية. ولدىّ عمل ارتبط به لأكتبه قبل أن أموت". حقًا، لا أستطيع، إنها المرة الأخيرة التى أمارس فيها الإبداع، قصة درامية. بدوت تائهة قليلة. قلت وأنا أنظر إلى أبى وبصوت رخيم: "هذا بسبب كل الأصوات فى رأسى"، تبأ.. هذا هو الاستعداد للمعركة العامة! كان لأبى عينان تكادان أن تخرجا من رأسه، وأمى وكولومب تبرطمان عندما تذهبان للبحث عنى، يتكلم الجميع إلىّ فى الوقت نفسه : "عزيزتى، الأمر ليس جسيماً. سوف تخرجك من هناك" "بابا"، "اسمى الدكتور تيد، على التو" "ماما"؛ "كم من الأصوات تسمعين" "كولومب" إلخ، كانت لأمى خطتها للأيام الطويلة، التى تمزج بين القلق والإثارة، :إذا كانت ابنتى حالة اختبار للعلم؟ أى خوف، ولكن أى مجد! حسنًا، ونحن نراها مجنونة هكذا، قلت "أبدا، أنا أمزح!" لكن، كان يجب أن أكرر لمرات عديدة قبل أن يسمعونى، وقبل أن يصدقونى، وأيضًا، لست واثقة أن أراهم قد

اقتنعوا.. باختصار أخذت أمى موعداً معى، ومع الدكتور "ت" وذهبنا هذا الصباح.

فى البداية جلسنا فى قاعة الانتظار الأنيقة، والتى بها مجلات حديثة متنوعة، مجلات "جيو" منذ عشر سنوات حتى العدد الأخير، موضوعة فوق بعضها، ثم وصل الدكتور (ت)، مؤكداً صورته إلى مجلة أشارت إليها أمى لكل الحاضرين، ولكن فى الحقيقة هذا يعنى الألوان والرائحة: كستنائى وبرميلى، النشاط الخمسينى، الاعتناء بشكل خاص بالشعر، واللحية الحليقة، والصبغة "اختبار سيشل"، البلوفر، البنطلون، الحذاء، وسوار الساعة: كل شىء كستنائى، اللون كستناء حقيقى، أو مثل الأوراق الميتة، هناك رائحة التبغ العالمية، التبغ أشقر، عسل وفاكهة مجففة، قلت لنفسى: حسنا، هيا لعقد اجتماع صغير خريفى فى ركن من النار بين أشخاص ولدوا فى ظروف طيبة، حديث ساحر، ثقافى، وربما حريرى "أحب هذه الصفحة".

دخلت أمى معى، وجلسنا فوق مقعدين أمام مكتبه، الذى جلس خلفه، فوق مقعد فوتيه كبير، له بروز بأذنين غريبتين، من طراز مسلسل "رحلة إلى النجوم"(*) عقد يديه حول بطنه، وهو ينظر إلينا، قال "أنا سعيد لرؤيتكما، أنتما ـ الاثنتين ـ".

(*) رحلة إلى النجوم Stat thek مسلسل تليفزيونى أمريكى (١٩٦٦) من نوع الخيال العلمى، تحول إلى سلسلة أفلام سينمائية أحدثها الخامس عشر عام ٢٠٠٩.

إذًا، الأمر يمشى بشكل بالغ السوء، هذا يسخن الاذنين، عبارة تجارية فى أية سوق تجارية لبيع فرش الأسنان ذات الوجهين، إلى امرأة وابنتها الجاثمة خلف المكتب. ليس هذا ما ننتظره من محلل نفسى، ومع ذلك، فإن غضبى توقف تماماً عندما تنبه وعيىّ إلى أننى متعاطفة من أجل يوميات حركة العالم، نظرت جيداً وأنا أركز كل قواى، وأقول: لا، ليس مستحيلاً، نعم، نعم! إنه ممكن! غير معقول، كنت مندهشة، لحد أننى أكاد أسمع أمى تحكى كافة مآسيها الصغيرة "ابنتى تخفى نفسها، ابنتى تخيفنا وهى تحكى لنا أنها تسمع أصواتاً، ابنتى تتكلم إلينا، نحن قلقون على ابنتى، وهى تردد "ابنتى، مائتى مرة، كنت على مسافة خمسة عشر سنتيمترًا منها، وعندما تكلم إلىّ فجأة، ارتجفت.

يجب أن أشرح لكم، أعرف أن الدكتور (ت)، يمكن أن يعيد حيًا لو سار أمامى، لكنه ظل جالسًا، تكلم ولكن بالنسبة إلى الباقى، كان يمكن أن يكون أيضاً ميتاً، لم يكن يتحرك، مرة واحدة تكلم فى مقعده الكبير، أكثر من حركة شفاه تتململ ولكن بالكثير من الاقتصاد. أما الباقى، فهو صامت، ساكن تماماً، كالعادة، عندما نتكلم لا تتحرك سوى الشفاه، مما يؤدى إلى القيام بحركة أخرى. عضلات الوجه، حركات بالغة الخفة ليدين، والرقبة، والكتفين، وعندما لا يتكلم، فمن الصعب جداً أن يظل ساكناً. هناك دائماً اشتباكات فى مكان ما، رمشة أهداب، حركة مستمرة للقدم، إلخ.

لكن هنا: لا شىء، باللو، لا شىء! تمثال حى! قال لى وهو يصيبنى بالارتجاف: يا فتاة، ما قولك فى كل هذا؟، كان من المؤلم أن أجمع كل أفكارى لأننى مرتجفة. تماماً مثل سكوته، بدأت أستعيد وقتى للإجابة، راحت أمى تتحرك بعصبية فوق مقعدها وكأنها مصابة بنزيف رعاف، لكن الدكتور نظر إلىّ دون أن يرمش، قلت لنفسى: يجب أن أجعله يتحرك، يجب أن أجعله يتحرك، هناك شىء ما يجب أن أجعله يتحرك، قلت له "لن أتكلم إلا فى وجود المحامى الخاص بى.. آملاً أن يضحكه هذا بشكل كامل، لا حركة واحدة، تنهدت أمى مثل قديسة، لكن الآخر ظل ساكنًا تمامًا. "محاميك.. هم م م" قال دون أن يتحرك، حسنا، صار التحدى عاطفيا، هل سيتحرك أم لا؟ قررت أن أرمى عليه كافة أعماق معركتى. قال مضيفًا "هذه ليست محاكمة، أنت تعرفين هم م م"، قلت لنفسى إذا استطعت أن أجعله يتحرك، فإننى سوف أتألم، لا، لا أريد أن أفقد يومياتى!، قال التمثال "حسناً، يا عزيزتى سولانج، سوف أدير حديثًا صغيرًا بمفردى مع هذه الفتاة". قامت "عزيزتى سولانج" وهى توجه إليه نظرة مبللة بالدموع وتركت الغرفة، وهى تحدث الكثير من الحركات اللامجدية دون شك كى تكافئه.

قال لىّ مهاجمًا، وقد نجح ألا يحرك سوى شفتيه الخارجيتين: أمك تكن لك الكثير من المحبة"، فكرت لحظة وقررت أن أسلوب الاستفزاز هذا لن يفيده

معى. هل تريد أن تضع طبيبك فى يقين من التسلط؟ هل تستثيره مثل مراهق يستفز أبويه، اخترت أن أقول له بكل جدية: "هل تعتقد أن من اللائق أن تنادينى باسم الأب؟ هل تعتقد أن هذا سوف يحركه؟ أبدًا. ظل ساكناً، بلا حركة، لكنه بدا لى أنه يرى شيئاً ما فى عينىّ، كأنه يترنح، قررت أن أجد وسيلة لنجاحى بدت "هم م.." لا أعتقد أنك فهمت ما قلت ـ تنهدت، لكن هناك شيئاً ما لا أفهمه عند لاكان، (*) إنها الطبيعة الصحيحة لتقريزه أو لبنائيته، فغر فاه كى يقول شيئا، لكننى كنت أسرع منه "آه، آه. نعم ثم الرياضيات أيضاً. كل هذه القصة، إنها مشوشة قليلا، هل فهمت شيئا، لقد مر وقت طويل عرف فيه العالم أن هذا احتيال، أليس كذلك"، هنا، أدركت أننى أحرزت نقطة، فليس لديه الوقت أن يغلق فمه، أخيراً ظل فمه مفتوحاً، ثم تماسك، وفوق وجهه الساكن أطلق تعبيرًا دون أن يصدر أية حركة: "هل تريدين أن تلعبى معى هذا ياجميلتى؟.. أريد أن ألعب معك. يا أيتها المارون جلاسيه. انتظرت، قال "أنت شابة صغيرة بالغة الذكاء" وأنا أعرف ذلك".. تسعيرة هذه المعلومة التى استقاها من "عزيزتى سولانج" تعنى ستين يورو فى النصف ساعة. لكن ربما شديدة الذكاء، وفى الوقت نفسه شديدة التجرد، بالغة الصفاء، وبالغة التعاسة ودون أن يضحك، وجدت هذا فى أعمال بيف جادييه،

(*) جاك لاكان: فيلسوف فرنسى معاصر، وعالم اجتماع له العديد من المؤلفات كان صديقًا لجان بول سارتر.

فشلت فى أن أسأل، وفجأة أردت أن أركب رأسى، كنت أمام رجل تسعيرته قرابة ستمائة يورو فى الشهر من أسرتى، منذ عقد من الزمن، والنتيجة كما نعرف: ثلاث ساعات يوميًا تمشيط نباتات خضراء واستهلاكات عاطفية للفواتير. أحسست بمشاعر شريرة تصعد إلى أنفى، وتعلقت بالمكتب، قلت بصوت خفيض تماماً: اسمعنى جيداً.

تجمد السيد فى مكانه، سوف يتقاضى أجرًا بسيطًا مقابل ذلك، سوف يتركنى فى سلام، ونحن نتبادل الكلام، لن أدمر تجارتك الصغيرة ، وأنت تنشر الأشرار وضجيجهم فوق باريس فى كافة الأعمال والسياسة، صدقنى إذا كنت قادرًا على رؤية إلى أى حد أنا ذكية، فهذه هى كافة أحبالى.. حسب رأىّ لا يمكن أن ننطلق، أنا لا أصدقه، يجب أن تكون فطيرة كى تنسج نسيجًا يمثل قدرًا من الحماقة، لكنه لا يصدق. يبدو القلق فوق وجه الدكتور تيد. أعتقد أنه عالجنى، هذا شىء ساحر: إذا كان هناك شىء لم أفعله من قبل فإن هذا يولد ضوضاء غير حقيقية عليها أن تتجاهل شخصاً، لقد أورثتنى جمهورية أبى ما يسمى فيروسات الأدبيات، ووجدت هذا عبثاً أكثر من الآخرين، وثقت فى نفسى بكل قوة لكن الطبيب الماهر ليس لديه سوى أم يقيس الأسرة عليها، ويقرر بشكل ظاهرى أن التهديد حقيقى، فضلا أن المعجزة حركة! يحرك المسند، ويفرد ذراعه، ويمد يده نحو المكتبة ويضرب براحته فوق يديه بغضب، حركة حنق

لكنها أيضاً تقارب، ثم قام بكل رقة واختفى، ذهب وراء الباب، ونادى على أمى التى أرقها أسلوبه حول صحتى، الحقيقة أن هذا سوف يوقف حيلته، وأننا جعلناه يفلت من وراء مكتبه.

فى البداية، كنت سعيدة من نفسى، لقد نجحت فى أن أجعله يتحرك، ولكن بالتتابع، وفى خلال النهار أحسست أكثر بالإحباط، لأن ما حدث عندما تحرك، أنه قام بالسير بضع خطوات، خطوات، كان علىّ أن أعرف أن فلكيًا، أقنعه باللجوء إلى الحكمة، لكن هاهو أقبح وأشد قسوة. إننى عرفت أنه يكفى أن أوثر فيهم اليوم حتى تسقط الأقنعة، وعندما يحدث هذا مع العنف، فإن الأمر يؤلمنى، وعندما ضرب براحته، فكان هذا يعنى: حسنًا، أنت ترين من أنا، من غير المفيد أن نستكمل المهزلة. نتصافح هناك من أجل اتفاقك البائس، وقومى من أريكتى بسرعة، حسن، أو لقد آلمنى هذا، نعم، لقد آلمنى، فلدى معرفة كثيرة أن العالم قبيح، ولا أرغب فى رؤيته. نعم، لنترك هذا العالم يتحرك كاشفاً عن قبحه.

ـ ١٥ ـ

موجة أمل

جميل أن أقترب من علم الظاهراتية متوحدة بدون قط، فقد كرست حياتى إلى الأبدية.

لكن من يطارد الخلود يحصد الوحدة.

قال وهو يمسك حقيبتى: نعم، أعتقد ذلك أيضاً، إنها حالة من الاستكشاف، ورغم ذلك، هى أيضاً إيقاعية كبرى.

شقة السيد أوزو، كبيرة جدًا وجميلة للغاية. نصوص مانويلا جعلتنى يابانية فى داخلى، لكن إذا كانت هناك أبواب جرارة، وستائر داكنة، وسجادة سميكة سوداء مطرزة بالرمادى، وأشياء آسيوية المنشأ مائدة منخفضة مدهونة داكنة أو طولية أسفل النوافذ، وستائر من المامبو. مسحوبة بشكل مختلف، تعطى للغرفة أجواءها. هناك أيضاً أريكة وفوتيهات، وحوامل، ومصابيح، ومكتبة على الطراز الأوروبى، إنها

بالغة الأناقة، وهكذا مانويلا وجاسينت روزن قد تركتا أثرهما، على العكس، لا شىء أطول من اللازم، ليس هذا أكثر نقاء ولا فراغًا مثلما أقدمها، وأنا أضع ما وراء أفلام اوزو فى مستوى أكثر تميزاً، لكن أكثر هوية بشكل حسى فى التجريد الوصفى لهذه الحضارة الغريبة.

قال السيد اوزو: تعالى. لن نبقى هنا. انه احتفال كبير. سوف نتعشى فى المطبخ، نعم فأنا الذى أقوم بالطهى.

تحققت أنه يرتدى مئزراً أخضر فوق بلوفر ذى ياقة دائرية بلون كستنائى. وبنطلونًا من التيل البيج. وفى قدميه خف من الجلد الأسود.

مشيت خلفه حتى المطبخ، مأساة، فى مثل هذه الظروف النادرة، أردت أن أطهو مثل كل يوم حتى ولو من أجل ليو. لا شىء يمكنه أن يكون عاديًا وأنا أفتح علبة روترون يجب أن تكون لذيذة، قال السيد أوزو بكل بساطة:

- أنا فخور بمطبخى.

قلت، بدون أى ظل للسخرية: هل يمكنك؟

كل شىء أبيض، خشب فاتح، ومسطحات طويلة، وحاملة أطباق كبيرة مليئة بالأطباق وأكواب من الخزف الأزرق، والأسود، والأبيض، وفى الوسط، الفرن، وأطباق ثمينة، حوض له ثلاث حنفيات، وبار

واسع فوق أحد مقاعد الاستقبال، جلست عليه كى أكون فى مواجهة السيد أوزو الذى اهتم بالفرن، وضع أمامى زجاجة ساكى حار صغيرة، واثنين من الكئوس الخزفية الزرقاء. قال لى:

- لا أعرف إذا كنت تعرفين المطبخ اليابانى.

أجبت: ليس بشكل جيد.

جذبتنى موجة أمل، ولاحظت أننا، حتى الآن، تبادلنا عشرين كلمة فقط، وأنا أتماسك فى ترقب معرفة السيد اوزو الذى يطبخ مرتدياً مئزراً أخضر، ويعد مائدة هولندية، ساحرة، لا يمكن لأحد مقاومتها، وسبق ترتيبها فى إطار الأشياء المنسية.

فى المساء، تتضح مكانة المطبخ الآسيوى، وتسود وكل الشكوك أن السيد اوزو، ساكن جديد، قليل الضجة، دعا البوابة لعشاء أجنبى، تحدثا عن الوجبة اليابانية، وحبوب فول الصويا.

هل يمكن أن يجد المرء نفسه فى ظروف أفضل من هذه؟

إذاً لقد بدأت الكارثة.

- ١٣ -

مثانة صغيرة

فى البداية. يجب أن أعترف أن مثانتى صغيرة، كيف أفسر أن أصغر فنجان شاى، يرسل بى دون سابق إنذار إلى ركن صغير فى الحمام، وأن البراد يجعلنى أكرر الشىء بمعياره الصحيح؟ مانويلا هى جمل حقيقى: إنها تتبول ما تشربه بعد ساعات، وتعض ناجذيها دون أن تتحرك من فوق مقاعدها، بينما أنا أقوم بالتحرك ذهابا وإيابا مرات عديدة إلى دورة المياه، مساحة مسكنى، ستون مترًا مربعًا، لذا، فإن دورة الحياة ليست أبداً بعيدة، قابعة مكانها منذ وقت طويل للغاية.

آه، مثانتى الصغيرة تنقلب علىّ، وبكامل الوعى أحتسى لترات من الشاى المستهلك بعد الظهيرة نفسها، يجب أن أستمع إلى ندائها: أن أفرغها بشكل ذاتى.

- كيف يحدث هذا فى العالم؟

- أين الساخرون؟ لا تبدو لى بشكل جاد مناسب.

بل على العكس.

- هل تريد أن ترشدنى إلى المكان؟ رغم الحساسية فى المجهود المبذول فى عدم تسمية الشىء، مخاطرة قصيرة من اللاوعى، ومع ذلك، ارتباك مضاعف.

- أريد أن أعمل "بى بى".

مثل هذه الكلمات، لا تقال على مائدة حتى ولو لشخص مجهول.

طرحت السؤال: أين دورة المياه؟ إنه سؤال شديد البرودة.

كم أحب هذا!

- أين الدورة. منطقة الدورات، هى مكان تفوح منه الطفولة والبيئة فى أعماق الحديقة، لكن هناك أيضاً مفهومًا آخر أنها مكان تنبعث منه الروائح الكريهة.

هناك إذًا ضوء عبقرى يجتازنى.

- الرامن هو نوع من الرخويات ومنه يعد حساء صينى الأصل، لكن اليابانيين يأكلون دائماً فى الظهيرة، وفى حالة أن تقول إن السيد اوزو تسمع فى الجو كمية عاطفية من الزوائد التى وضعها لتوه فى المياه الباردة.

- أين بيت الراحة، أرجوك: هو التعليق الوحيد الذى أطلقته.

هذه، أمنحها لكم، بكل خفة.

قال السيد أوزو، بتلقائية ملحوظة: آه، أنا آسف، لن أشير لك إليها، فالباب خلفك، الثانى على اليمين فى الممر.

هل يبدو كل شىء بسيطًا للغاية.

يجب أن تصدق أنه "لا".

يوميات حركة العالم رقم ٦
كيلوت فان جوخ

اليوم، مع أمى، ذهبنا للشراء من التصفيات فى طـريق سـان اونـوريه، هـنـاك رصيف أمـام بـعض المحلات، أفكر أنك سوف ترى أيًا من الحوانيت، فى طريق سان اونوريه، حيث نقابل الكثير من المعاناة فى شـراء الإيشـاربات والقـفـازات بثمن أقل، ورغم ذلك، فإنها تساوى سعر فان جوخ، إنه شئ مذهل، هؤلاء السيدات، يفعلن ذلك بعاطفة حادة، وأيضاً مع بعض الجليطة.

رغم ذلك، لا أستطيع أبداً أن أشكو من اليوم لأننى يمكن أن أدون حركة مهمة للغاية. هه.. حركة جمالية للغاية، على العكس، فهى بالغة التميز، نعم! ومسلية أيضاً، أو مأسوية، لا أعرف جيداً. منذ أن بدأت هذه اليوميات، لم أفعل ذلك بشكل سيئ، فى الواقع، فإننى جزء فى فكرة اكتشاف إيقاع حركة

العالم ووصلت فيها إلى نساء متميزات يتصارعن من أجل كيلوت من الدانتيلا، لكن حسنًا.. أفكر أننى، بأية طريقة، لن أومن بها، لكن بدافع العمل، وأيضاً بدافع التسلية قليلا..

هذه هى القصة: دخلت مع أمى، محل ملابس داخلية رقيقة، هل هذا شىء جذاب كاسح، أم ماذا؟ هل هناك ملابس داخلية خشنة؟ حسنا فى الواقع، يعنى هذا ملابس داخلية مثيرة. لن تجد هناك كيلوتات قديمة من القطن تناسب الجدات، لكن لان هذا هو طريق سان اونوريه، فبالطبع فإن هناك ملابس داخلية من الدانتيلا، صناعة يدوية، وسراويل حريرية، وملابس من الكاشمير المقلم. ليس فى الإمكان عمل الذيول، لكن هذا كان أيضاً جيداً، لأنه فى الداخل، كانت الكيلوتات متجاورة، أحسست أننى أعود إلى حبات الكرز المجفف، فوق الكعك، سرعان ما أصاب أمى غثيان وهى ترفل فى ملابس داخلية ملونة مغلقة "سوداء، وحمراء، أو زرقاء بترولى"، تساءلت أين يمكن أن أختفى وأضع نفسى فى ملجأ الزمن بينما وجدت أمى نفسها" فى أمل بسيط" بيجامة قطنية، تحركت خلسة خلف مقصورة القياس، لم أكن وحدى، كان هناك رجل، رجل واحد، يبدو عليه البؤس، مثل نبتون عندما أفتقد مؤخرة اتينا، هذا؟، إنها الخطة السيئة "أحبك يا عزيزتى"، كان البائس قد أصيب بحالة من التمرد من كثرة قياس الملابس الداخلية الأنيقة. وجد نفسه فى أرض العدو. مع

ثلاثين امرأة يمشين على الأقدام ويطلقن عليه نظرة أينما كان المكان، حاول أن يلقى دعاباته كرجل، أما بالنسبة إلى صديقته الرقيقة، فها هى، وقد انتابها الغضب، وكأنها مستعدة للقتل من أجل الطائر الوردى، هوشيا.

ألقيت عليه نظرة تعاطف أجاب عليها بنظرة حيوان مطارد، من هناك حيث كانت لى نظرة محصنة، مثلما يحدث فى كل المحلات، خاصة مع أبى، وأمى، سال لعابى أمام نوع من مشد الصدر صغير جدًا جداً بالدانتيلا البيضاء "على الأقل هكذا" لكن له أيضاً زهرة ضخمة موف. أمى فى الخامسة والأربعين، ولها بعض الوزن الزائد، لكن الزهرة الضخمة، الموف لم تخيفها. بل على العكس، فإن القناعة وأناقة اللون البيج وحدتا شلل الخوف. باختصار، هذه أمى التى ستجرب بصعوبة مشد صدر صغير جداً مزهر بدا على مقاسها، وقد وصل إلى الكيلوت المتعدد الألوان، ثلاثة أدوار أسفل، تطلعت لأعلى بكل اهتمام، لكن، فجأة دعكت أهدابها: فعند أطراف الكيلوت، كانت هناك سيدة أخرى سحبت القطعة الداخلية، وهى تدعك أهدابها أيضاً، تبادلنا النظرات، نظرنا إلى رجل، يقوم بمعاينة الكيلوت، كأنه الأخير من نهار طويل من التصفية، وكأنها تدخل معركة تتراشق فيها مع المرأة الأخرى.

هذه الحركات الطليعية المهمة: كيلوت ثمنه مائة وثلاثون يورو، لا يزيد مقاسه ـ رغم ذلك ـ على بضعة

سنتيمترات من الدانتيلا الرقيقة، يجب أن تبتسم للآخر، ان تمسك الكيلوت جيدًا، وأن تسحبه دون أن تمزقه، قلت لكم كل شىء بوضوح: لأنه فى عالمنا، فإن قوانين الطبيعة ثابتة، وليس هذا ممكنًا، بعد ثوان من الهدنة، امتثلت النساء لنيوتن لكنهن لم يتخلين عن مواقفهن، يجب أن نتابع الحرب بطريقة أخرى، بمعنى الدبلوماسية "واحدة من الأساليب المفضلة لأبى". مما يتيح المهمة التالية: يجب أن تتجاهل أن شد الكيلوت بقوة، إذًا هذه أمى، والسيدة التى لم يعد الكيلوت فى يدها فجأة، كما لو كانت غير موجودة، راحت السيدة وأمى تتحدثان بهدوء عن كيلوت موجود على الحامل، لم يحاول أحد أن يتواءم مع القوة، أين هى اليد اليمنى! هاربة! مسروقة! اختفت! مكان الدبلوماسية.

مثلما يعرف كل الناس، فإن الدبلوماسية تفشل دوماً عندما تتوازن القوى، لم نر أبدا قبولا للأوضاع الدبلوماسية للآخر بشكل قوى، فجأة، بدأت المفاوضات فى التوحد إلى واحد: "آه، لكنه اعتقد أننى كنت أكثر منك سرعة، يا سيدتى العزيزة"، شىء كبير، عندما وصلت إلى جانب أمى، كررت "لن أتركه"، ولربما من السهل أن نصدق المحاربتين.

بالطبع، لقد ضاعت أمى، عندما صارت إلى جوارها، تذكرت أنها أم لأسرة محترمة وأنه ليس من اللائق بالنسبة إليها، أن تفقد كل كرامتها أمامى، وهى تطلق يدها اليسرى فى وجه الأخرى، لقد استعادت

استخدام يدها اليمنى، والتقطت الكيلوت وبالاخرى مشد الصدر، كانت لأمى روح قتالية أخرى عند العشاء، عندما سأل أبى عم حدث: أجابت: أنت غلطان يجب أن تنتبه إلى تبديل العقلية الحضارية.

لكن لنعد إلى الحدث المهم: امرأتان فى تمام الصحة العقلية، فجأة لا تعرفان كثيراً جزءًا من جسديهما، يعطى هذا بعض الغرابة لرؤيته، كانت هناك علامة عن الواقع، ثقب أسود لا ينفتح فى رحلة الزمن، مثلما فى رواية خيال علمى حقيقية، حركة سلبية، نوع من الحدث فى الدرك الأسفل" ماذا؟

تساءلت، إذا كان يمكن أن يتم تجاهل اليد اليمنى، ماذا يمكن أن نفعل.. تجاهل الآخر؟ هل يمكن أن تمتلك قلبًا سلبيًا، وروحًا من الدرك الأسفل؟

ـ ١٤ ـ

واحدة من هذه اللفائف

مرت المرحلة الأولى للعملية بشكل جيد.

وجدت الباب الثانى على اليمين، دون أن أحاول فتح السبعة الآخرين طالما أن مثانتى صغيرة، وأننى أعملها بتخفف لأن عسرى لا يكدرنى، كان هناك فارس يستجوب السيد أوزو فى مقصوراته، مقصورات أكثر بياضًا من بياض الجليد، وحوائط بطول الأحواض بنظارة نظيفة عليها يجرؤ المرء أن يستريح، خشية من أن تتسخ، كل هذا البياض كان موقوتاً من النوع الذى لا يروق العينين. براقاً، وخفيفاً، وموكت أصفر كالشمس الهادئة، من ينقذ المكان من أجواء كئيبة، استوعبت هذه الملاحظات باحترام كبير للسيد أوزو، البساطة الحقيقية للأبيض، بدون رخام ولا زخارف ـ ضعيفة رغم أن هناك دائماً أشياء تبدو مبتذلة -رقة موكت شمس. فى دورة المياه، المعادلات

نفسها، ماذا نبحث ونحن نتجه إليها؟ هى من الوضوح لدرجة أننا لا نفكر فى كل هذه الظلمات السحيقة التى تتجمع، وشىء ما فوق الأرض كى نؤدى واجبنا دون أن نمسح الأقدام، ونحن نذهب إليها أثناء الليل.

ورق التواليت، هو أيضًا طموح إلى الشرعية، هذه العلامات على الأغلفة دليل على ثراء من يمتلكونها، على سبيل المثال، نوع مسراتى أو ماركة جاجوار. ورق التواليت هذا مصنوع من أجل الأثرياء، أناس يهتمون بالعلامات التجارية للسلع التى يقومون بشرائها، كان الورق عند السيد اوزو سميكاً، رخواً، رقيقاً، معطراً بشكل رائع، يأخذ فى الاعتبار هذا الجزء من أجسادنا، أكثر من أى ورق آخر، إنه بشكل خاص شهى. كم ثمن واحدة من هذه اللفافات؟ أتساءل وأنا أضغط الزر الأوسط لشطافة المياه، المحاطة بزهرتين من اللوتس، مثانتى الصغيرة تدفع بقوتها الذاتية ذات قدرة كبيرة، وزهرة تبدو لى مضبوطة تماماً.

وهكذا دارت الأشياء.

قصف متوحش، أصاب أذنى، يحاول أن يهزنى فى مكانى، إنه شىء مخيف، لم أتوصل إلى تحديد هويته الأصلية، ليس هكذا يتم التحكم فى المياه، لم أسمع عن ذلك، إنه يأتى من أعلى، ثم يسقط علىّ بأسفل، لدى قلب يخفق بقوة، أنتم تعرفون البدائل الثلاثين، امام الخطر، اضرب، أطير أو تجمد.. أنا أتجمد، إذًا علىّ أن أطير فجأة. لم أعرف كيف أفتح

مزلاج الباب، البدائل تضرب فى عقلى؟، دون أى صفاء، هل دست على الزر الخطأ، -أى حدس ، أى كبرياء، رينيه، زهرتا لوتس تسهمان فى السخرية ـ وأنا معاقبة بالتبعية لأن العدالة الإلهية تضرب أدائى، هل أتلذذ كثيراً وبامتياز. لذة المشهد فى هذا المكان، عندما يجب أن نعتبرها مكاناً عفناً؟ هل تركت نفسى فريسة للرغبة، هل اقترفت، دون غموض، هذا الخطأ القاتل؟ أصابعى المتضخمة من العمل اليدوى هل تتعامل، تحت تأثير وعى غاضب، بشكل سيئ مع الآلية البارعة لزر اللوتس مم ولد كارثة فى أعمال السباكة التى قد تهدد بانهيار الدور الرابع.

حاولت بكل قوة أن أهرب، لكن يدى غير قادرة على إطاعة أوامرى، دست الزر النحاسى، الذى يعمل بكفاءة كى يحررنى، لكن لم يسفر الأمر عن شىء.

فى هذه اللحظة، اقتنعت أننى صرت شديدة الجنون، لدرجة بلوغ السماء، لأن الصوت راح يتتابع بشكل غريزى، وغير متوقع، أشبه بأعمال موتسارت.

بمعنى "لحن" و"قداس" لموتسارت..

يشدو صوت جميل سوبرانى.

صرت بالغة الجنون.

سأل صوت من خلف الباب: السيدة ميشيل، هل أنت بخير؟

إنه صوت السيد اوزو، أكثر عمقًا، وكأن القديس بيير هو الذى عند الباب.

قلت: أنا.. لا أستطيع فتح الباب.

حاولت بكل السبل أن أطلب من السيد اوزو أن يخلصنى.

وحدث هذا فعلا.

ألح الصوت الوقور للقديس بيير: يمكن أن تديرى الزر فى الاتجاه الآخر.

اعتبرتها لحظة لاستقاء المعلومات، تبللت بصعوبة طريقى حتى أبلغ الهدف، ثم أدرت الزر فى الاتجاه الآخر.

انفتح الباب.

وتوقفت الموسيقى تماماً، إنه دش لذيذ من الصمت أغرق جسدى تماماً.

قلت للسيد أوزو لأنه لم يكن هناك سواه: أنا.. أنا... أخيراً.. هل تعرف.. لحن القداس؟

كان يجب أن أنادى قطى.

قال: آه.. أراهن أن الخوف أصابك. كان يجب أن أخبرك. إنها طريقة يابانية، أرادت ابنتى أن تستوردها هنا. عندما نشد مضخة المياه، تتبعث الموسيقى، هى طريقة جميلة.. ألا ترى ذلك؟

وجدنا أنفسنا فى الممر، أمام دورة المياه، كأننى سوف أسحق من كل مدافع العبث.

قلت: آه.. أوه.. لقد بوغت، أو مررت على كل خطاياى فى يوم الديمومة؟

قال السيد أوزو برقة: لست الأولى، إنها حالة من التسامى مع الشفاه المميزة.

أجبت بهدف استعادة جأشى، وقد أحبطنى التحول الذى أكسبته للحديث الذى دار ونحن نغادر الردهة، ونقف وجهاً لوجه، الذراعان تهتزان، غير واثقتين:

- لحن قداس.. فى دورة المياه، إنه خيار.. مدهش.

نظر إلىّ السيد أوزو.

ونظرت إليه.

شىء ما يعتمل فى صدرى، بنبض حاد، مثل سدادة تنفتح، وتحلق ببطء، ثم قمت خائرة بعمل اهتزازات خفيفة تهز جذعى، وكأن الأمر متعمد، بدا لى أن المشاعر نفسها تحرك أكتافى وجهاً لوجه.

تبادلنا النظرات، المترددة.

ثم انطلقت تأوهات مننا، ضعيفة، خارجة من فم السيد أوزو.

تأكدت أن التنهدات الرقيقة نفسها قد تلبدت، لكنها صعدت فى حنجرتى. أطلقنا هذه التنهدات معاً، برقة، ونحن نتبادل النظرات الجامدة.

ثم تصاعدت تأوهات السيد أوزو.

أما تنهداتى أنا فقد كانت أشبه بصفارة إنذار.

راح كل منا يبادل الآخر النظرات ورئتانا تطلقان تنهدات تتصاعد أكثر فأكثر.

فى كل مرة يهدأ. ننظر إلى بعضنا، ثم نعاود التنهد لدرجة أوجعت بطنى. بكى السيد أوزو بكل عمق.

كم من الوقت ظللنا هكذا، نضحك بشكل متتابع أمام باب دورة المياه؟ لا أعرف، ولكن هذا الاستمرار كان طويلاً بما يكفى بحيث رمينا كافة قوانا أرضاً. ونطلق الجديد من التنهدات المتهالكة، من التعب أكثر من شبع، واستعدنا جديتنا.

قال السيد أوزو: لنعد إلى القاعة.

علينا أن نبلغ أولاً خط الوصل من الأنفاس المستعادة.

ـ ١٥ ـ

متوحشة متحضرة جــدًا

أول شيء قاله لى السيد أوزو فى المطبخ: المرء لا يشعر بالملل معك.

استرخيت بكافة الاسترخاء فوق مقعدى. تناولت الشاى الدافئ، الذى أرى أنه أقل نكهة مم يكفى. ثم أضاف، وهو يمد لى كوبًا أبيض مليئًا بمعجنات صغيرة لا تبدو عليها أنها مقلية ولا مدخنة، لكن شيئًا من الاثنين معًا. وقد وضع إلى جانب المعجنات سوس الصويا: أنت شخص أكثر من العادى. ثم قال محددًا: تتناولين من هذا اللحم "جوزاس".

أجبت: على العكس. أعتقد أننى شخص عادى جداً. أنا بوابة، حياتى مليئة بكوارث عديدة. قال: بوابة تقرأ تولستوى وتستمع إلى موتسارت، لا أعرف ماذا تفعلين فى حياتك اليومية.

غمز لى بعينه، وجلس بدون تكليف على يمينى، ومد لى بعضاً من اللحم المطبوخ "جوزاس" لم أعرف

مثيله طوال حياتى، بمثل هذا الإحساس كيف أقول لك: للمرة لأولى، أحس بثقة كاملة فى نفسى، رغم أننى لست وحدى، حتى مع مانويلا التى أبوح لها بكل حياتى.

لا توجد مشاعر مجردة من الأمان تولد من اليقين الذى نفهمه، فمعنى أن تخصص حياتك ليس سوى أن توزع روحك، وإذا كنت أحب مانويلا كأخت، فلا أستطيع أن أشاركها ما ينسج القليل من المشاعر، والأحاسيس مع وجودى غير المتوافق مع العالم.

تذوقت عصيان اللحم "جوزاس" المصنوعة من الكزبرة واللحم المعطر، معبرة عن الدهشة والذهول، وأنا مازلت أتحدث مع السيد أوزو. قلت:

- يجب أن أشرح، أنا أذهب إلى المكتبة البلدية وأبذل كل ما بوسعى.

سألنى: هل تحبين الرسم الهولندى؟

ودون أن ينتظر إجابة: إذا كان لديك الخيار بين الرسم الهولندى، والرسم الإيطالى، فأيهما تختارين؟

تحججنا بالزمن الماضى المزيف حيث تأججت حماساً بلوحات فيرمير، لكنه سرعان ما انتبه أننا توافقنا بسرعة.

سألت: هل تعتقد أن هذا رجسٍ؟

أجابنى وهو يهز المعجنات بقوة من اليسار إلى اليمين فوق الكوب: أبدًا. أبدًا عزيزتى إننى سوف

أشترى نسخة من لوحات مايكل أنجلو كى أعرضها فى الممر.

أضاف وهو يضع أمامى سلة من الصفصاف مليئة بالخضراوات التى تنبعث منها رائحة الفستق، إنها "الزلامنية"، طبق من المكرونة الباردة مع صلصة بها القليل من السكر.

- يجب أن نقلب المكرونة فى هذه الصلصة أخبرينى أنك تحبينها.

ومد لى بفوطة من الخيوط المنسوجة.

- هناك خسارة مضاعفة انتبهى إلى فستانك.

قلت: شكرًا.

وأضفت: هيا نعرف لماذا؟

- أنا لا أهتم بهذا.

أطلقت تنهيدة كبيرة، وأنا أقول: أنت تعرف أننى أعيش وحدى منذ وقت طويل ولا أخرج قط. أخشى أن أكون متوحشة قليلاً.

قال لى مبتسماً: متوحشة بالغة التحضر!.

مذاق المكرونة المخلوطة بصلصة الخضراوات رائع. أعرف كيف أبدو بفستان ماريا. ليس من السهل أن نغوص فى متر من المكرونة الشريطية فى صلصة نصف سائلة، وأبتلع دون ارتكاب أى خطأ. لكن السيد اوزو التهم مكرونته بتلذذ محدثاً جلبة، أحسست أننى

أتخلص من التعقيدات، وأنا أطمح باستخدام أظافرى الطويلة.

قال لى السيد أوزو: بجدية.. ألا تجدين هذا رائعاً؟ قطك اسمه ليو، وقطتاى تسميان كيتى وليفين. نحن ـ الاثنين ـ نحب تولستوى، والرسم الهولندى، ونسكن فى العمارة نفسها، ما احتمال أن يسفر مثل هذا الشىء؟

قلت: عليك ألا تقدم لى هذا الطبق الرائع. الأمر غير مؤلم.

أجاب السيد أوزو: سيدتى العزيزة، هل يعجبك هذا؟

قلت: حسنًا، هذا يسعدنى جداً، كما أنه يخيفنى تعرف أننى لا أريد أن يتخيل الناس أننى هنا.

أكملت: من أنت؟ لماذا؟

– لا أريد اختلاق القصص، لا أريد شيئًا من بوابة لديها مباهاتها.

– مباهاة، لكن أنت تعرف المباهاة، لقد جربتها، الأضواء، والمكانة!.

قلت: أنا بوابة، لم أتلق تعليماً، ولست من نفس العالم.

قال السيد أوزو بالطريقة نفسها: شىء جيد!. تعتقدين أن مانويلا تثير الضحك بالنسبة إلىّ.

ورفع حاجباً متسائلاً:

قلت محاولة أن أشرح له: إنه الشعور المفضل لأعز صديقاتى.

ـ ماذا تقول عن أعز صديقاتك بشأن أفكارها؟

ـ بذمتى، لا أعرف شيئاً.

قلت: أنت تعرفها، مانويلا.

قال: آه، السيدة لوبس، هل هى صديقتك؟

– صديقتى الوحيدة.

ـ إنها امرأة عظيمة أرستقراطية. أنت ترين أنك لست الوحيدة التى ترتقين إلى المجتمعات الكبرى، أين السوء إذاً؟ نحن فى القرن الواحد والعشرين، ياللشيطان؟

سألت، وقد أصابتنى عصبية: ماذا كان والداك يعملان؟

تخيل السيد أوزو أن تميز الطبقات قد اختفى منذ إميل زولا.

– كان أبى دبلوماسياً، لم أعرف أمى قط، توفيت عقب ميلادى مباشرة.

قلت: معذرة..

أشار بيده، كى يقول إن هذا حدث منذ وقت طويل.

استكملت أطروحتى.

– أنت ابن دبلوماسى، وأنا ابنة فلاحين فقراء، ومن غير المناسب أن أتناول عشائى عندك هذا المساء.

قال: ومع ذلك، فأنت تتعشين هنا هذا المساء.

أضاف بابتسامة لطيفة للغاية: وأنا أتشرف بهذا.

واستمر الحديث، بسعادة وتلقائية. وولجنا فى عوالم ياسوجيرو أوزو (أحد الأقارب البعيدين) وتولستوى، وليفين وهم ينطلقون فى البرية مع فلاحيهم. وسط المنفى وموروثات الثقافات وأشياء أخرى عديدة، ارتبطنا بها بكل حماس ونحن نأتى على آخر ما لدينا من مكرونة شريطية وسط التشويش المشابه فى مسيرتنا الروحية.

إلى أن حانت اللحظة التى قال فيها السيد أوزو:

- كنت أحب أن تسمينى كاكورو. إنه أقل تكلفًا. هل يضايقك أن أناديك رينيه؟

قلت: أبدا. وأنا أفكر فى ذلك حقًا.

من أين جاءتنى هذه السهولة المفاجئة فى التواؤم؟

الساكى الذى لاطفنى بكل لذة. أعاد السؤال المرعب الأكثر عجالة. سأل كاكورو:

- هل تعرفين ماذا يعنى الأزوكى؟

قلت وأنا أبتسم متذكرة النهاية: مرتفعات كيوتو.

سأل: كيف؟

قلت وأنا أجاهد فى أن أتكلم بشكل غريزى: مرتفعات كيوتو لها ألوان الأزوكى.

سأل كاكورو: هل كان هذا فى فيلم، أليس كذلك؟

– نعم، فى نهاية فيلم "الأخوات مونا كاتا".

– رأيت هذا الفيلم منذ فترة طويلة لكننى لا أتذكره جيداً.

قلت: ألا تتذكر الكاميليا فوق عشب المعبد؟

أجاب: لا، أبدا، لكنك أعطيتنى الرغبة أن أشاهده، هل يدفعك هذا أن نراه معا. ذات يوم؟

قلت: عندى الشريط، ولم أعده إلى المكتبة.

سأل كاكورو: ربما فى نهاية الأسبوع.

ـ هل لديك جهاز عرض؟

قال مبتسماً: نعم.

قلت: حسنا، اتفقنا، أقترح عليك الآتى، يوم الأحد، سنشاهد الفيلم فى ساعة الشاى، وسأحضر الحلويات.

أجاب كاكورو: كل هذا معاً.

واستمرت الأمسية، بينما ظللنا نتكلم دون أن نحس بالتلاحم ولا بالوقت، ونحن نرتشف المشروب المغلى لأحد الأعشاب، دون مفاجأة. كان يلزمنى أن أتواءم مع النظارة ذات لون الجليد. والموكت الشمسى، اخترت الزرار الذى عليه زهرة لوتس واحدة لقد بلغت الرسالة ـ فقد تحملت طبق الطعام بكل صفاء الدروب الكبرى. التى اجتمعت فى مرة واحدة رائعة مع كاكورو اوزو، وأن هذا الحماس والبراءة اللامعة

تثيران الامتثال، وتلقى حكمة كبيرة. لست معتادة على مثل هذا الأمر فى حياتى. يبدو لى أنه يتعامل معى بكل تسامح وفضولية، وأن الآخرين هم بشر يعاملهم بكل تحد ولطف (مانويلا) سذاجة ولطف (أوليمب) أو عجرفة وقسوة (بقية العالم)، وقوة الشهية، وصفاء وأريحية وجه برىء، وكوكتيل غير مسبوق، ثم نظرت إلى ساعتى.

إنها الثالثة.

انتصبت فوق قدمى.

قلت: يا إلهى: هل ترى الساعة؟

نظر إلى ساعته، ثم رفع عينيه نحوى، قلقًا.

- نسيت أنك ستعملين صباحًا مبكرًا، أنا على المعاش، ولا أهتم بهذا، هل انتهى الوقت؟

قلت: حسناً. بالتأكيد، يجب أن أنام قليلاً.

الحقيقة أننى، حسب سنى المتقدمة يجب أن يعرف أن العواجيز ينامون قليلاً. يجب أن أعمل طوال ثمانى ساعات كى يمكننى السيطرة على خوف العالم برابطة جأش.

قال لى كاكورو عند باب شقته : إلى يوم الأحد.

قلت: شكراً جزيلاً، قضيت أمسية رائعة جدًا، وأنا معترفة لك بالجميل.

قال: أنا الذى أشكرك، لم أضحك هكذا منذ

وقت طويل، ولم أتحدث مثل هذا الحديث الرائع، هل تريدين أن أصحبك إلى مسكنك؟

قلت: شكراً، لا داع.

هناك نباتات خضراء موجودة على السلم. قلت:

- حسناً إلى يوم الأحد، ربما نتقابل قبلها.

قال أيضاً بابتسامة واسعة مشرقة. شكراً يا رينيه.

وهو يغلق بابه ورائى، وأنا أتوجه إلى مسكنى، رأيت ليو يزمجر بقوة فوق مقعد التليفزيون، وبدأت أحسبها: لأول مرة فى حياتى أحسست أن لى صديقاً.

- ١٦ -

إذاً

إذاً، إنه مطر الصيف

ـ ١٧ ـ

قلب جديد

كم أذكر مطر هذا الصيف.

يوماً وراء يوم نعبر حياتنا مثلما نمر فى ممر.

أفكر فى مكان مناسب للقط.. هل رأيت بطانيتى، إنها المرة الثالثة التى يسرقونها منى.. إنها تمطر بقوة وكأن النهار ليل.. هناك دائماً ساعة للاجتماع.. هل تريد أن أنزع ريحك الثقيلة.. فنجان شاى مر.. صمت ما بعد الظهيرة.. ربما نحن مرضى بقوة.. كل هؤلاء الطيبين قد.... هؤلاء العباقرة الذين يؤدون مهاماً كبرى.. إنها تمطر ثلوجاً.. هذه الزهور هى أسماؤها.

هى قطة فقيرة تتبول فى كل مكان تقريبًا.. شمس الخريف، كم هى حزينة.. ينتهى اليوم مبكرًا.. لماذا تفوح القمامة فى الممر.. أنت تعرف أن كل شىء يأتى فى ميعاده.. لا، أنا لا أعرف بشكل خاص.. إنها

أسرة مثل بقية الأسر. يقال إنها آزوكى.. قال ابنى إن الصينيين شرسون.. ماذا تسمى القطط.. هل يمكن أن نستلم باقات.. كل أعياد الميلاد. كل أغانيها تثير الملل.. كى نلتهم حبة بندق ضرورية.. هناك الهاتف الذى يرن.. الجو حار رغم أنها الساعة العاشرة.. قطعت عيش الغراب إلى قطع صغيرة، والتهمنا الحساء مع عيش الغراب بالداخل.. تركت سراويلها الصغيرة أسفل السرير.. كان يجب أن أعيد ترتيب السجاد..

ثم... مطر الصيف

هل تعرف ما مطر الصيف؟

فى البداية، الجمال النقى يغطى سماء الصيف، هذا الخوف المبجل الذى يغشى القلب، تحس بالسخرية وهى فى قمتها. بالغ الهشاشة والانتفاخ وعظمة الأشياء، مذهولاً، مفتوناً بسخاء العالم.

ثم، تبلغ ممراً، وفجأة، تدخل غرفة النور، أبعاد أخرى، يتولد اليقين. ليس الجسد سوى غلاف خارجى، والروح تسكن الغيوم، وقوة الماء هى قوته، تعلن الأيام السعيدة عن نفسها، فى ميلاد جديد.

ثم، مثل الدموع، أحياناً، عندما تكون كريات، وقوية، ومتوحدة، تترك خلفها شاطئاً طويلاً من الارتجال والمطر، والصيف، يوقف الغبار الساكن، ويترك بالنفس تأثيرات مثل التنفس بلا نهاية.

وهكذا فإن بعض مطر الصيف يتخشب فينا مثل قلب جديد يدق مع وحدة الآخر.

ـ ١٨ ـ

نعاس رقيق

بعد ساعتين من النعاس الرقيق. نمت بكل ارتياح.

فكرة عميقة رقم ١٣

من يؤمن

أنه قادر على صنع العسل

دون أن يشارك النحل فى مصيره؟

فى كل يوم، أقول إن أختى لا يمكنها أن تغوص بعمق فى مستنقع من العار، وفى كل يوم أفاجأ أن أراها تفعل ذلك.

بعد الظهيرة، عقب المدرسة، لم يكن هناك أحد فى البيت. تناولت الشيكولاتة بالبندق فى المطبخ، وذهبت لآكل فى القاعة، استرخيت على الأريكة، ورحت أقرقع شيكولاتتى وأنا أفكر فى فكرتى العميقة التالية، فى أعماقى، هناك فكرة عميقة حول الشيكولاتة أو حول الطريقة التى تقرقع فى فمى، مع سؤال رئيسى، ما الجميل فى الشيكولاتة؟ الجوهر نفسه أم تقنية الأسنان التى تقرمش؟

وجدت هذا بالغ الأهمية، دون أن آخذ فى الحسبان أن أختى عادت مبكرة على غير العادة وأنها بذلك سرعان ما أفسدت حياتى وهى تتكلم معى بالإيطالية. منذ أن ذهبت إلى فينسيا مع أسرة تيبير (فى دانيليى)، لم تتكلم كولومب سوى بالإيطالية، منتهى المأساة، اليوم السبت تذهب لتتعشى عند أصدقائها فى جرينبار الذين لديهم عقارات فى توسكان، لا تنطقها سوى "توسكان"، كولومب راضية، وأمى أغمى عليها. أعلمكم إياه. آل توسكان ليس لديهم الآن الهكتارات، إنهم غير موجودين سوى لدى بعض الأشخاص مثل كولومب. أمى أو آل جرينبار سيحركان غريزة الامتلاك. تنتمى لهم "توسكان" فى ثقافتهم، والفن وكل ما يمكن كتابته بحرف كبير.

بالنسبة لـ "توسكان" إذاً، كان لدىّ الحق فى ركوب الحمير، وزيت الزيتون، وأشعة الغروب، والحياة الجميلة، وأن أعيش على سجيتى، لكن مثل كل يوم، فإننى أنخسف برصانة، أما كولومب فلا يمكنها أن تجرب عليها قصتها المفضلة. إنها تسرع إلى وهى تكتشفنى فوق الأريكة، فتدمر ذوقى وفكرتى العميقة القادمة.

فوق أراضى أصدقاء آباء تيبير، هناك خلايا عسل نحل. كاف لإنتاج العسل لمدة عام. آل توسكان يستأجرون عمال نحل، يقومون ببيع العسل تجارياً فى "محال فيلياجى"، بالطبع ليس هذا بهدف المال، لكن

عسل "محال فيلباجى" يعتبر أحسن عسل فى العالم، وهذا يسهم فى مكانة الملاك "أصحاب الدخل"؛ لأنهم يقدمونه فى المطاعم الكبرى لمشاهير الزبائن الذين يفضلونه فى أطباقهم.. كولومب، تيبير، وآل تيبير لديهم الحق فى التهام العسل وكأنه نبيذ، وكولومب تقبل على العسل بشغف.فعسل نبات إكليل البحر. يجعلها تحس أنها كبيرة. إلى هذا الحد من النص، فإننى أراها شاردة، وأنا أفكر فى "قرقعة الشيكولاتة" وأقول لنفسى إن هذا يمكن أن يوقفها. فأنسحب إلى شأنى الخاص.

لا يجب أن آمل فى شىء كهذا مع كولومب، فجأة، تستعيد هيبتها البغيضة، وتبدأ فى الحكى عن عادات النحل، بشكل ظاهر، فلديهم الحق فى منهج دراسى كامل، ويضرب الأمل الصغير المشوش لكولومب فوق شعائر زواج ملكات النحل، والنواقيس المزيفة. والمنظومة العجيبة للخلية لا تترك الكثير من الأثر، وأجد مع ذلك أن هذا أمر عاطفى.

بشكل عام، أعتقد أن الحشرات لديها لغة مشتركة، محددات لا يمكن أن يدركها الذكاء إلا كتخصص إنسانى، لكن هذا، يثير اهتمامى وليس لكولومب التى تعد رسالة علمية فى الفلسفة، إنها على العكس، فكل شىء منعش تماماً بالنسبة إلى الجنس عند الحشرات الصغيرة.

سوف ألخص لكم الرحلة، ملكة النحل، عندما تكون مستعدة، تبدأ فى طيرانها الزوجى وتستكمله،

يطاردها الذكور المزيفون، وأول من يلحق بها ويكون ثنائياً معها يموت لأنه، بعد الحدث، فإن عضوه الذكرى يبقى كامنًا فى النحلة، لقد تم بتره، مما قتله . أما الذكر الثانى المزيف الذى يلحق بالنحلة فعليه كى يكون ثنائياً معها أن يسحب بمخالبه العضو الذكرى السابق، وبالتأكيد سوف يحدث له الشىء نفسه. وهكذا، حتى الذكر العاشر، أو الخامس عشر، الذى يملأ جيب الملكة المنوى، ويسمح لها طوال أربع أو خمس سنوات أن تنتج مئتى ألف من البيض كل عام.

هذا ما حكته لى كولومب وهى تنظر لى بشكل أموى، وهى تزخرف النص الوقح فى نوعه: ليس لديها الحق مرة واحدة، هه، انها تستهلك خمسة عشر ذكرًا!.. إذا كنت تيبيير فلن أحب أبداً أن تحكى صديقتى هذه القصة إلى كل العالم، فلا يمكن أن نمنعها من ممارسة القليل من علم النفس بثمن بخس، عندما تحكى فتاة هائجة أنه يلامسها خمسة عشر ذكرا فإن هذا يسعد الأنثى، وكى تثيرهم، فإنها تجذبهم، وتقتلهم بكل قوة هذا يطرح الأسئلة، فإن كولومب مشدوهة. إن هذا هو إطلاق نيران فتاة متحررة منفلتة تمارس الجنس -الجنس -مع - الطبيعة. نست كولومب تماماً أنها تحكى لى هذه القصة بهدف أن تصدمنى، وأن للقصة مضمونًا غير أخلاقى وبالنسبة لشخص مثلى تفكر أن الرجل حيوان، فإن الجنس ليس أمراً مشيناً لكنه عمل علمى. أجد أن هذا عاطفى.، أتذكر كولومب وهى ترفع يدها

ثلاث مرات يومياً، وتصرخ عند أقل وسوسة، تصرخ للشعرة الخفية فى الدوش (الشعرات الخفية أكثر أهمية)، لا أعرف لماذا. لكننى أجد أن هذا سيذهب بسرعة مع جنس الملكات.

إنها مثل رجال يضاجعون الطبيعة، ويعتقدون أنهم يهربون منها، إذا حكت كولومب هذه القصة بتلك الطريقة، فلأنها تفكر أن الأمر لا يخصها. وإذا سخرت من لهوها المؤثر مع الذكور المزيفة، فلأنها مقتنعة أنها لا تشارك نوعها، ولكن أنا لا أرى شيئاً صادماً، فى رحلة طيران الملكة الزوجى، وفى الذكور المزيفة، لأننى أحس بعمق مشابه لكل هذه الحيوانات، حتى وإن كانت لى عادات مختلفة، ان نحيا، ونأكل وننتج، ونؤدى واجبنا الذى من أجله ولدنا ونموت، ليس لهذا أى معنى، هكذا تكون الأشياء، عجرفة الرجال فى التفكير انهم يستطيعون إرغام الطبيعة، والهروب إلى مصيرهم كأشياء صغيرة حيوية.. وهذا العماء الذى لديهم فيما يخص القسوة، أو عنف أساليبهم فى الحياة والحب والإنتاج، وشن الحرب على أقرانهم.

أعتقد أن هناك شيئًا واحدًا يجب عمله: أن نؤدى الواجب الذى ولدنا من أجله، وأن نبلغه على أحسن ما نستطيع. ويكل قوانا، دون أن نبحث عن الظهيرة حتى الساعة الثانية، ودون أن نؤمن أنه لا توجد مقدسات فى حياتنا الحيوانية، هكذا فقط سيكون لدينا

الإحساس أننا نمارس أشياء ثنائية فى نفس اللحظة، التى يأخذنا فيها الموت. الحرية، الفرار، الإرادة، هذا كل شىء. إنها خرافة. نحن نؤمن أننا قادرون على إنتاج العسل دون مشاركة أقدار النحل، لكن نحن أيضاً لسنا سوى نحلات مسكينة مكرسة لبلوغ واجبها، ثم تموت.

بالومـــا

\- ١ -

مشحون

فى الساعة السابعة من الصباح نفسه، قرع جرس بابى.

احتجت إلى بضع لحظات لبلوغ الفراغ، ساعتان من النوم لا تكفيان للشعور بالاكتفاء لكائن بشرى، وللعديد من قرعات الجرس المتتابعة بينما أرتدى فستانى، وحذائى، وأمرر يدى على شعرى المزبد بشكل خانق، لا لغيرتى اللحوحة.

فتحت الباب، ووجدت نفسى أمام كولومب جوس. قالت لى:

\- حسناً، استبد بك الكسل.

أصابنى ألم أعتقد أننى أدركته. قلت:

\- إنها السابعة.

نظرت إلىّ، وقالت:

\- نعم، أعرف.

لوحت وأنا أبذل مجهودًا كى أتماسك: المكان يفتح فى الثامنة.

سألت بشكل تصادمى: كيف هذا، فى الثامنة، هل هناك ساعات؟

لا، مقر البوابة هو مكان مقدس محمى، لا يعرف المكانة الاجتماعية، ولا قوانين التسعيرة.

قلت، غير قادرة على النطق بكلمة أخرى: نعم.

قالت بصوت كسول: آه حسنًا، لكن أنا هنا.

قلت وأنا أغلق الباب فى وجهها، ثم أتجه نحو طبق الشوربة: عليك أن تعودى فيمابعد.

سمعتها تصرخ من وراء الزجاج: إذًا، لقد بلغ السيل!..ثم أدارت جذعها الغاضب وداست بغضب على زر استدعاء المصعد.

كولومب جوس، هى الابنة الكبرى لآل جوس، كولومب جوس شقراء ترتدى مثل بوهيمية مفلسة.. كم أكره هذا النوع من الأثرياء الذين يتصرفون كالفقراء. نوع رخو من طواقى الصوف الرمادية، وأحذية المتشردين، وأقمصة عليها زهور تحت البلوفر المتهالك، ليس هذا فقط شيئًا قبيحًا، لكنه مهين، لا شىء أكثر حقارة من ازدراء الأثرياء لرغبة الفقراء..

للأسف، فإن كولومب جوس تقوم بعمل دراسات مهمة، هذا الخريف، استأنفت الدراسات العليا، قسم الفلسفة.

أعددت لنفسى الشاى، مع البسكويت ومربى الجانرك، وأنا أحاول أن أسيطر على اهتزازات يدى، بينما يتسرب ألم جانبى أسفل جمجمتى. أخذت حماماً سريعًا، وارتديت ملابسى، وقدمت إلى ليو فطوره المعتاد ما بقى من لحم الخنزير، خرجت إلى الفناء، ووضعت زهور النبتون فى صناديق القمامة. فى الساعة الثامنة، تركت كل هذه الأعمال وعدت مجدداً إلى مطبخى، باحثة عن أقل قدر من السكينة.

فى أسرة جوس، هناك أيضاً الابنة الصغيرة بالوما، إنها بالغة الغموض والشفافية. أعتقد أننى لم أرها أبداً رغم أنها تذهب وتعود من المدرسة، هذا كل شىء بالنسبة إليها، فى الساعة الثامنة تماماً، أرسلتها لى كولومب. وكنت فى دورة المياه.

يا لها من مناورة جبانة.

الطفلة الصغيرة (فى أى سن هى، الحادية عشرة، الثانية عشرة) كانت واقفة فى طريقى. حادة مثل العدالة، تنهدت قليلاً ـ لم أعبأ بالغضب البرىء الذى يحدوه مكر ـ وحاولت أن أبتسم بشكل طبيعى.

قلت: صباح الخير يا بالوما.

انسحبت أسفل الجيليه الوردى، وقالت بصوت مترقب:

- صباح الخير.

نظرت إليها باهتمام، كيف يمكن أن أفتقد ذلك؟ بعض الأطفال لديهم موهبة من الصعب أن يفهمها الكبار. لا شىء، فى مسكنهم، لا يتفننون مع مقاييس

أعمارهم. إنهم بالغو المهابة، جادون للغاية، بالغو الرصانة، وفى الوقت نفسه، فإنهم مشعوذون بشكل مرعب. نعم، مشعوذون، فعند النظر إلى بالوما مع الكثير من التنبه. فإننى أميز بحدة. حكمة باردة لا أستطيع أن أبلغها، قلت لنفسى، إنه من المستحيل بالنسبة لى أن أتخيل أن بذاءة كولومب لايمكنها أن تحدث توافقاً إنسانياً مع أختها.

قالت بالوما:

-أرسلتنى أختى كولومب لأخبرك أن شخصاً أرسل لها مظروفاً يهمها كثيراً.

قلت، وأنا آخذ فى اعتبارى ألا أغير من نبرة صوتى، مثلما يفعل الكبار عندما يتكلمون إلى الأطفال: حسنًا.

أكملت بالوما: إنها تسأل أن كان يمكنك توصيلها إلى المسكن.

قلت: نعم.

قالت بالوما: حسنًا

وظلت فى مكانها.

إنه أمر مثير جدًا.

ظلت تنظر إلىّ بهدوء، دون أن تتحرك، وذراعها بطول جسمها، فمها مفتوح خفيفًا، لديها جديلة قصيرة ونظارة ذات يدين ورديتين، وعينان وضاحتان جدًا.

سألت، بشكل محدد: هل يمكن أن أقدم لك شيكولاتة؟

هزت رأسها، وهى لا تزال جامدة. قلت:

- ادخلى، فقط أتناول الشاى.

وتركت باب المسكن مفتوحاً، كى أقطع الشك لكل الاتهامات، سألت:

افضل الشاى أيضاً، ألا يضايقك هذا؟

أجبت: لا، بالتأكيد.

وقداندهشت قليلا، وأنا أفكر بشكل عقلى أن بعض الهبات بدأت فى التجمع: للإنسانية أشكال جميلة مثل تقديم الشاى.

جلست فوق مقعد، ووازنت قدميها فى الفراغ، وهى تنظر إلىّ بينما أمد لها الشاى بالياسمين. وضعته أمامها، وجلست أمام فنجانى.

أعلنت لى بعد أن تناولت رشفة صغيرة: أفعل الشىء نفسه كل صباح، فأختى تعاملنى باحتقار، أختى تقضى طوال الأمسيات مع أصحابها فى التدخين والشراب، والتحدث مثل شباب الضاحية، لأنها تفكر أن ذكاءها لا يمكن أن يكون محل شك.

هذا يمشى جيدًا مع نظامSDF (*).

أكملت بالوما وهى تنظر إلىّ دوما بحدة، وقد

(*) SDF تعنى الأشخاص الذين بلا مأوى يعيشون فيه.

امتلأت عيناها بصفاء: أنا فى ضيق لأن هذا لا يتلاءم معى.

قلت بأدب: حسنًا، هذا يمنحنا الفرصة للتعارف.

قالت، وقد بدا بعض التوسل فى صوتها: هل يمكن أن أعود؟

أجبت بهدوء: بالتأكيد، أهلا بك، لكن أخشى أن تتضايقى هنا، لا يوجد شىء مدهش تفعلينه.

عقبت علىّ: أريد فقط أن أكون هادئة.

ـ ألا يمكن أن تكونى فى هدوء فى حجرتك؟

قالت: لا، لست هادئة، إذا كان العالم كله يعرف أين أنا، قبل كل شىء، أنا أتخفى. الآن، صارت كل مخابئى مكشوفة.

– أنت تعرفين، كم أنا منزعجة تمامًا أيضًا، لا أعرف إذا كان يمكنك أن تفكرى بهدوء.

– يمكن أن أظل هنا (أشارت إلى مقعد الفوتيه أمام التليفزيون الذى يعمل بصوت خفيض). يأتى الناس كى يروك، إنهم لن يزعجونى.

قلت: أنا موافقة، لكن يجب أن تسألى أمك إذا كانت موافقة.

اجتازت مانويلا الباب المفتوح، وهى التى تبدأ عملها فى الثامنة والنصف، بدت كأنها تود أن تقول لى شيئاً ما عندما اكتشفت بالوما وفنجانها الذى تنبعث منه الأبخرة.

قلت لها: ادخلى. نحن نتبادل وجبة خفيفة .

حركت مانويلا رموشها، مما يعنى بالبرتغالية على الأقل: ماذا تفعل هناك؟ هززت كتفى تلقائياً، بللت شفتيها، وبالعكس، سألتنى فجأة، وهى غير قادرة على الانتظار:

- إذًا؟

قلت بابتسامة عريضة: هل ستعودين فيما بعد؟

قالت، وهى ترى ابتسامتى: آه.. حسنًا جدًا، حسنًا جدًا، نعم، سأعود كالعادة.

ثم، وهى تنظر إلى بالوما:

- حسنًا، سأعود لتوى.

وبكل أدب:

- إلى اللقاء يا آنسة.

قالت بالوما وهى تفرد ابتسامتها الأولى: إلى اللقاء.

طفلة مسكينة، ذات ابتسامة صغيرة، غير ملموسة، أخفقت قلبى. قلت:

- يجب أن تعودى إلى بيتك الآن، سوف تقلق أسرتك.

قامت واتجهت نحو الباب وهى تجر قدميها. قالت لى:

- من الواضح أنك بالغة الذكاء.

وكأنني لم أقل شيئاً مصدومة:

ـ سوف تجدين محباً جيداً.

ـ ٢ ـ

هذا التخفى

مظروف وضعه ساعى البريد فى مسكنى، موجه إلى صاحبة العصمة كولومب من عائلة ركاى، مفتوح.

مفتوح من كل أطرافه الأربعة، دون أن يكون مربوطاً، بدون باقة ولكنه مزين بشريط أبيض، المظروف يبدو قديمًا كاشفًا عن كومة من الأوراق الخاصة.

لماذا لم يكلفوا أنفسهم عناءً لإغلاقه؟ تساءلت وأنا أضع فروضًا لشخص واثق فى أمانة ساعى البريد، والبوابات، وافترض الثقة فى محتويات المظروف .

أقسم بكل الآلهة إنها المرة الأولى، وأتوسم أنهم وضعوا فى حساباتهم الوقائع "ليلة قصيرة. مطر الصيف، بالوما، إلخ".

سحبت المحتوى برقة خارج المظروف.

كولومب جوس، قواعد الطغيان المطلق، مذكرات الماجستير تحت إشراف السيد البروفيسور ماريان، جامعة باريس: السوربون.

هناك بطاقة محددة فى غلاف الأوراق الأولى.

عزيزتى كولومب جوس

هذه تعليقاتى. شكراً لساعى البريد.

سنلتقى فى سلشور غدا

مع المعزة

ج.ماريان

يتعلق الأمر بفلسفة القرون الوسطى. وأيضاً بمدخل إلى الشىء الذى أعلمه، إنها مذكرات حول جويوم دوخام(*)، أقل الفرنسيسكان والفلاسفة الوضعيين فى القرن الرابع عشر، أما بالنسبة لسلشوار، فهى مكتبة لـ "علوم الأديان والفلسفات"، موجودة فى الشارع الثامن. يملكها الدومانيكيون، إنها تملك مراجع مهمة من أدب القرون الوسطى، وبها توجد الأعمال الكاملة لجويوم أوخام باللاتينية فى خمسة عشر جزءًا. هل أعرفها؟ لقد ذهبت إلى هناك منذ بضع سنوات. لماذا؟ لا لشىء، لقد اكتشفت فى طريق باريس هذه المكتبة التى تبدو مفتوحة للجميع، وجعلتنى هاوية جمع كتب. لقد اجتزت ممرات المكتبة،

(*) جويوم دوخام: فيلسوف مسيحى من الفرانسيسكان، عاش فى القرن الرابع عشر.

وهى مضاءة، مزدحمة بشكل متتابع بالسادة العواجيز والباحثين أو التلاميذ المزعومين. كنت منبهرة دوماً بإنكار الذات التى به نحن البشر قادرون أن نخصص طاقة كبيرة فى خدمة لا شىء فى خضم الأفكار غير المجدية والعبثية. لقد تناقشت مع شاب متخصص فى الفكر اليونانى، وسألنى كيف أن الكثير من الشباب يمكنهم أن ينهاروا فى خدمة العدو.

عندما نفكر جيداً فى الواقعة التى تشغل المرء قبل كل شىء.. انه الجنس، والإرهاب، والتكوين الاجتماعى والتفكير حول معنى الصلاة عند أوجستين ديبون الذى يبدو تافهاً بشكل واضح. البعض يتوقف بدون شك عند واقعة أن الإنسان ينجذب فى إحساسه إلى ما وراء الغريزة. لكننى رددت أن هذا حقيقى فعلا "اللهم إلا ممارسة الأدب". إنه مزيف للغاية: فالمعنى، هو أيضاً من الغريزة، إنها الغريزة نفسها التى تبلغ أعلى درجات من المتعة. والتى تستخدمها بطريقة أكثر علواً لبلوغ الذروة، لأن هذه المهمة من الحس والجمال ليست دليلاً على طبيعة شامخة للإنسان الذى يهرب من حيوانيته، ويجد فى النور أمل العدل لوجوده، إنها سلاح مشحوذ لخدمة النهاية المادية والمبتذلة، وعندما يأخذ السلاح نفسه كمادة، وأن تكون طرفًا فى هذا التلاحم النورانى الذى يميزنا عن الحيوانات الأخرى، فإن ذلك يسمح لنا أن نعيش بكل وضوح، الذكاء يقدم لنا إمكانية التعقيد دون تعميق، فالفكر بدون فائدة، والجمال بدون وظيفة، مثل حشرة، إنها ملابسات

بدون ملابسات، لحدة ذهن أدمغتنا وهى انحراف يستخدم فى أن تخسر ثوابت جاهزة.

عندما تتوقف الأمور عن الهذيان، فهذا أيضاً ضرورة لاختراق الحيوانية، فالأب، مثلاً، لديه وظيفة نفعية، مثل كافة أشكال الفن، لديه إجابة مهمة لإتمام كافة واجباتنا الحياتية كى نكون مثل كائن بشرى، يجرب مصيره بقوة التفكير، والمرونة والمعرفة والسمات غير المحتملة لكل صفاء مجرد، نحن نعرف أننا حيوانات، مدانون لسلاح استمرار الحياة، لسنا آلهة يوظفون العالم حسب أفكارهم الخاصة، وهناك شىء ما لهذه الحكمة التى أصبحت متسامحة، شىء ما ينقذنا من الحزن، وحمى خالدة لمصائر الأحياء.

لذا ابتكرنا الفن. نحن حيوانات نعى أننا فى النهاية نوعنا الحى.

الحقيقة أننا لا نحب شيئًا طالما أن بساطة الواقع هى درس كان على كولومب جوس أن تحصل عليه من قراءتها فى العصور الوسطى، وممارسة بهرجة تتناسب مع خدمة لا شىء طالما أن الفائدة تندرج فى العمل، انه واحد من هذه الضفائر اللامجدية، وهو أيضاً التبذير المخجل للنبوغ.

تصفحت الأوراق وعليها الملاحظات. قبل أن تأخذ صورتها النهائية لم أنا مندهشة ونحن نعتبر أن الآنسة ريشة لا تدافع عن نفسها بشكل سيئ، رغم أنها أصغر سنًا، لكن لتموت الطبقة المتوسطة من أجل تمويل عرقهم، وضرائبهم، وأبحاث مغرورة تجعلنى

آجامع نفسى. سكرتيرات، محظيات، عمال، وموظفون من الطبقة الدنيا، وسائقو تاكسى، وبوابات تغرفن فى حياة يومية من الصباحات الصغيرة حتى نهاية زهرة شبابهم الفرنسى، لديها مسكنها، ومرتبها، تسرف فى عمل الكثير من الأشياء السخيفة ضد طبيعتها.

هذه الأولوية أكثر حساسية: هل هناك عوالم أو فقط أشياء مفردة، هى المسألة التى تحدث فيها جويوم عن ضرورة الحياة، أجد أن هذا سؤال ساحر: كل شىء، هل هو جوهر خاص، وفى أية حالة، هو مشابه لشىء آخر وهذا منحى لغوى، يمتلك بالكلمات والمفاهيم بشكل عام ذات مدلول، يتضمن أشياء كثيرة خاصة. ترى هل هى موجودة حقّا، أشكال عامة تشارك فيها الأشياء الخاصة التى لا تكون وقائع بسيطة للغة؟ عندما تقول مائدة، عندما تنطق بكلمة مائدة، وعندما يكون مفهوم المائدة، يشير دائماً إلى هذه المائدة، ونذهب نحن بشكل واقعى إلى جوهر مائدة عالية فى أعماق الواقع لكل الموائد الخاصة الموجودة! "فكر" المائدة هل هى حقيقة لا تنتمى إلى روحنا؟ لماذا تتشابه بعض الأشياء؟ هل هى اللغة التى تجمعها بشكل حرفى، وتجعلها متلائمة الإدراك الإنسانى فى مراحل عامة، وهل يوجد شكل كونى يشارك فى كافة الأشكال الخاصة؟

بالنسبة إلى جويوم، فإن الأشياء متفردة، والواقع الكونى مغلوط، لا يوجد سوى الوقائع الخاصة، العمومية، هى من الروح واحدة، والتعقيد من البساطة

الذى يفترضه وجود المسائل العامة، لكن هل نحن واثقون؟ أى توافق بين لوحة لروفائيل وأخرى لفرمير. تساءلت مساء الأمس، العين تعرف فيها شكلاً عاماً، وأعتقد من ناحيتى أنه يجب أن يكون الواقع فى هذا الشكل. وألا تكون رسالة بسيطة للروح البشرية التى تضيف كى تفهم، حيث لا يمكن أن نصنف ما نستبعده. لا شىء يتجمع وهو غير قابل للتجمع، مائدة لن تكون أبداً "منظر خفى"، الروح البشرية لا يمكنها أن تخلق هذا الخفاء. وعلى المنوال نفسه ليست هناك قوة ميلاد للوحدة العميقة التى ترسم طبيعة ميتة هولندية وعذراء الطفلة الإيطالية، كل شىء أشبه بمائدة تشارك فى جوهر لا يعطيها شكلها جوهراً يمنحها شكلها. عمل الفن هو المشاركة فى شكل كونى يمكنه فقط أن يعطيه هذا الخاتم. بالتأكيد، نحن لا نلاحظ بشكل مباشر، هذه الكونية، إنها واحدة من الأسباب التى تعتمد عليها الفلسفة واعتبار الجواهر مثل الواقع لأننى لا أدرى أبداً أن هذه "المائدة"، وإن هذه اللوحة ليستا سوى الجوهر الجميل.

ورغم ذلك، رغم ذلك، فهى هناك، تحت أعيننا، فى كل لوحة للسيد الهولندى هى تقمص، ظهور ساطع لا يمكننا تأمله إلا عبر التفرد، ولكننا نعطى المفاتيح للخلود بشكله النهائى.

إنه الخلود، هذا الشىء غير المرئى الذى نرنو إليه.

- ٣ -

العدل الصليبى

هل تؤمن أن كل هـذا يـهم مشـاعـرنـا فى اطـار المجد العقلانى؟

لا، لا، أبدًا.

تفتقد كولومب جوس، الجمال، أما بالنسبة لمصير الموائد، فإن أى اعتبارات تأتى بعد ذلك، تثار حول انبثاق فكرة لاهوت أوخام حسب معانى علم الدلالة، الأمر الأكثر تمييزاً هو النية التى تحوذ بالمشروع: يتعلق الأمر بعمل أفكار أوخام الفلسفية، ونحن نستغرق سنوات من الاجتهاد الفلسفى فى صف الإطارات الثانوية للأفكار اللاهوتية، إنه قدرى، يسرى مثل النبيذ المغشوش وخاصة لكاشف وظيفة الجامعة: إذا أردت أن تمارس وظيفة. خذ نصاً هامشيًا وغريبًا مثل (مجموع المنطق -لجويوم أوخام)، إنه أقل انبثاقاً، يهين جسد الأدب، ويبحث عن نوايا المؤلف نفسه التى

لم يقصدها (لأن كل واحد يعرف أن عدم العلم بالمفهوم أقوى من كل المعانى الظاهرة)، تتفكك حتى نقطة التشابه مع موضوع رئيسى (إنها القوة المطلقة لله الذى خلق تحليلاً منطقياً تظل فيه الرهانات الفلسفية مجهولة) تحترق وهى تصوغ كل الأيقونات (الإلحاد، الإيمان فى العقل ضد عقل الإيمان، حب الحكمة، وتفاهات أخرى حول الاشتراكية)، كرس سنة من حياته فى هذه اللعبة الصغيرة التى لا تستحق العناء أن تستيقظ فى الساعة السابعة، وترسل عاملا إلى مدير أبحاثك.

فيم يفيد الذكاء إن لم يتم استخدامه؟ لا أتكلم عن العبودية المزيفة التى يرتكبها كبار رجال الدولة، وتستعرض بكل فخر كدليل على ما يتسمون به من فضيلة، إنه أمر مثير للخجل أنه ليس سوى زهو واستحياء. يبرز كل صباح فى الفخر المتواضع لخادم كبير. أقنعتنى اتيان دوبروجلى بمكانة طبقتها الاجتماعية. على العكس، فإن الامتيازات التى تعطيها الواجبات الحقيقية تنتمى إلى النوادى الصغيرة المغلقة على الصفوة، يجب خدمة معيار المجد، الوجود المادى الذى يعتبر ثمنًا لهذا الانتماء. هل أنا مثل كولومب جوس، شابة طبيعية، المستقبل مفتوح أمامها؟ يجب أن أنشغل بتطور البشرية، وحلول مشاكلى الصليبية كى نجعلها مستمرة الوجود، أو ارتقاء الجنس البشرى، فوقع الجمال فى العالم والعدل الصليبي وصحيح الفلسفة ليست أشياء مقدسة. هناك خيار، والحقول

واسعة، نحن لا ندخل الفلسفة كأننا فى دائرة بحثية، حاملين السيف وصوت متفرد للمصير، هل يعرفون آراء أفلاطون، وابيقور، وديكارت، وسبينوزا، وكانط، وهيجل، وأيضاً هوسرل؟ حول علم الجمال، والسياسة، والمعنويات، وعلم المنطق، والميتافيزيقا؟ هل يمكن أن نخلص إلى التعليم أو إلى دستور عامل، والبحث، والثقافة؟ إنه أمر مختلف؟ لأنه فى ظاهر المادة، هناك شىء واحد يجلب النوايا، تربية الفكر، والمساهمة فى الخدمة العامة، أو الانضمام إلى مدرسة ليس لديها هم سوى إعادة الإنتاج، ووظائف أخرى غير الإنتاج الذاتى من خصوبة الصفوة، حيث صارت الجامعة عملاً سخيفًا.

فكرة عميقة رقم ١٤

اذهب إلى أنجلينا

كى تتعلم

لماذا تحترق السيارة.

اليوم، حدث شىء ما من العاطفة!

ذهبت إلى السيدة ميشيل أطلب منها أن تحضر رسالة كولومب التى سلمها ساعى البريد فى مسكنها، فى الحقيقة، فإن ذاكرتها يسيطر عليها جويوم اوخام، إنه أول كتاب كان على مديرها أن يقرأه وأن يخبرها بكل تعليقاته. الشىء البالغ الغرابة، أن كولومب واثقة فى السيدة ميشيل لأنها دقت على باب مسكنها فى الساعة السابعة كى تحضر لها الباقة، كان على السيدة ميشيل أن توبخها "المسكن يفتح فى الثامنة" لأن كولومب صعدت غاضبة إلى المنزل وهى تزمجر أن البوابة امرأة عجوز خرفة تتصرف على أنها هانم لكن.. هل حدث هذا مراراً؟

بدا على أمى أنها تتذكر، نعم، فى الواقع، فى البلاد المتقدمة والمتحضرة، يجب عدم إزعاج البوابين مهما كان السبب فى أية ساعة من النهار أو الليل (كان عليها أن تذكر كولومب ألا تنزل) لكن هذا لم يهدئ أختى التى استمرت غاضبة حتى الصباح لأنها خدعت فى الوقت، أو أنه ليس من حقها أن تغلق الباب فى وجهها، تركتها أمى تصرخ، لو كانت كولومب ابنتى (داروين تملكنى) لصفعتها صفعتين.

بعد عشر دقائق، جاءت كولومب إلى غرفتى بابتسامة معسولة تماماً. وأنا لا أستطيع. لا يمكن أن أتحملها. أفضل أن تصيح فىّ: "بالوما يا برغوتى. هل تريدين أن تؤدى إلىّ خدمة جليلة؟" صرخت، فأجبت عليها "لا"، أطلقت تنهيدة، وهى تأسف أننى لن أكون خادمتها الخاصة، يمكنها أن تجلدنى. أحسست أنها صارت أفضل، مما أصابنى بالعصاب. أضفت "لنعقد اتفاقاً" تمتمت بتنهيدة خفيفة: أنت تعرفين ما أريد.. قلت:

– تريدين أن أذهب لمقابلة السيدة ميشيل..

ظل فمها مفتوحًا، تكاد أن تقول إننى ضعيفة. انتهت بأن اعتقدت هذا، قالت كولومب. "حسنًا إذا لم تسمعى صوت الموسيقى فى غرفتك طوال شهر"، "أسبوع" اذهبى إلى هذه العجوز الخرفة، وأبلغيها أن تحضر لى باقة ماريان التى وصلت إلى مسكنها.. ثم خرجت وهى تضرب الباب.

وذهبت لمقابلة السيدة ميشيل ودعتنى على احتساء الشاى.

حتى اللحظة، فإننى أختبرها، لا أعنى أمرًا جسيماً. نظرت إلىّ باستغراب، وكأنها ترانى للمرة الأولى، لم تقل شيئاً عن كولومب، إنها بوابة حقيقية، كان عليها أن تقول أشياء عديدة مثل "نعم، حسنًا، لكن أختك: يجب ألا تعتقد أن كل شىء مباح لها" بدلاً من ذلك قدمت لى فنجان شاى، وحدثتنى بأدب جم، وكأننى شخص ناضج.

فى مسكنها كان التليفزيون مفتوحًا، لكنها لا تنظر إليه، هناك تحقيق تليفزيونى حول الشباب الذين يشعلون السيارات فى الضواحى، تساءلت وأنا أرى المناظر، ماذا يمكن أن يدفع شاباً لإحراق سيارة؟ ماذا يمكن أن يدور فى رأسه؟ وماذا بعد، انتابتنى هذه الأفكار؟ وأنا؟ لماذا أريد إحراق الشقة؟ يتكلم الصحفيون عن البطالة والفقر، وأنا أتكلم عن الأنانية وزيف أسرتى، لكن هذا لغو. هناك بطالة دوماً، والفقر، والأسر المتعثرة. ومع هذا، لا يحرقون السيارات ولا الشقق كل صباح ! قلت لنفسى. أخيراً، كل هذه أسباب مزيفة، لماذا نحرق سيارة؟ لماذا أريد إشعال النيران فى الشقة؟

لم أجد إجابة على سؤالى، حتى ذهبت لعمل دراساتى مع خالتى هيلين، شقيقة أمى، وابنة خالتى صوفى، فى الواقع، فإن الأمر يتعلق بالذهاب لشراء

هدية لعيد ميلاد أمى الذى ستحتفل به الأحد القادم. اتفقنا أن نذهب معاً إلى متحف دابر، وفى الحقيقة فإننا ذهبنا إلى محلات الديكور فى المنطقة الثانية، وحتى السابعة، الفكرة أن نجد مظلة مطر، وأن أشترى هديتى أيضاً.

بالنسبة للمظلة، فالأمر غير محتمل. استغرق الأمر ثلاث ساعات، وبالنسبة لىّ فكل ما رأيناه كان ضائعًا تماماً. هناك اسطوانات بالغة الغباء، وآلات مع قطع حديدية من الطراز القديم. وكله باهظ الأسعار، هذا لن يزعجك من ناحية ما. أنت لديك فكرة أن المظلة يمكنها أن تتكلف مائتى وتسعة وتسعين يورو؟ إنه السعر الذى دفعته هيلين من أجل شىء، من "الجلد العتيق" عينى، التى دعكتها بفرشة من الصلب. نعم مع ندوب كالسروج، كأنها تسكن فى زريبة. أما أنا فاشتريت لأمى علبة صغيرة لمنوم مطلية باللون الأسود من محل آسيوى، ثلاثون يورو، وجدت أنها غالية جداً، لكن هيلين سألتنى إذا كنت أريد أن أضيف شيئاً ما، لقد رأت أن العلبة ليست شيئاً كبيراً، زوج هيلين هو العالم، وأستطيع أن أضمن لك، إنه عالم الأطباق، هما ليسا شديدى الفقر.. لكننى مع ذلك أحب هيلين وكلود لأنهما.. حسنا، لا أعرف جيداً ماذا أقول.. إنهما سعيدتان بحياتهما، أعتقد، أنهما لا يمثلان شيئاً آخر غير كونهما، لديها صوفيا، ابنة خالتى صوفيا ثلاثية الفكر. لست من الطراز الذى ينجذب إلى ثلاثى الفكر، وكأنه من الإيقاع الذى فى أسرتى (حتى

كولومب تؤمن به) الحوارات المقنعة. إنهما تعانيان رغم ارتباطهما الكامل، متعاطفتان تماما، ومؤثرتان تماماً بشكل شخصى. أجد أن حضور صوفيًا بالغ الصعوبة: فهى تسيل لعاباً، وتصرخ، وتستاء، وتمارس نزواتها، ولا تفهم شيئاً. لكن هذا لا يعنى أننى لم أوافق على هيلين وكلود، إنهما تقولان بنفسيهما إنهما ستمران، وأن المسار الحقيقى أن تكون لهما ابنة ثلاثية الفكر لكنهما يهتمان بها كثيرًا. أجد أن هذا، من سماتهما الداخلية ومما يجعلنى أحبهما أكثر، وعندما أرى أمى وهى تؤدى دور المرأة العصرية فى جلدها، أو جاسينت روزن التى تؤدى دور البرجوازية منذ أن كانت فى المهد، هذا يجعل هيلين التى لا تؤدى أيًا من هذه الأدوار، تشعر كم هى سعيدة بنفسها، فهذا بالغ اللطف.

باختصار - بعد سيرك المظلة - ذهبنا نأكل كعكة ونشرب شيكولاتة عند انجلينا، قاعة الشاى فى شارع ريفولى. ستقول لى إنها غير بعيدة عن أنظار شباب الضاحية الذين أشعلوا السيارات! رأيت شيئًا ما فى محل انجلينا سمح لى أن أفهم شيئاً آخر. على مائدة مجاورة، كان هناك زوجان مع طفل رضيع، زوجان من البيض مع طفل آسيوى، طفل صغير اسمه نيو، تلاطفت هيلين معهم وتحادثوا للحظة، كانا لطيفين كأبوين لطفل مختلف، بالطبع، هكذا تعارفوا وابتدأوا الحديث. عرفنا أنهما تبنيا بنو منذ خمسة عشر شهراً عندما أتيا به من تايلاند"، وان أبويه ماتا فى

تسونامى، وأيضاً كل إخوته وأخواته، نظرت حولى، وتساءلت: كيف سيتصرف؟ نحن عند انجلينا وكل هؤلاء الأشخاص يرتدون ملابس أنيقة، يقرقعون فى تلذذ كل الحلويات المقرمشة. ومن ليس هناك من أجل... رغم ما يعنيه المكان، فإن الانتماء لعالم معاً، مع اعتقاداته وشفراته، ومشاريعه وتاريخه إلخ. هو أمر مثالى. وعندما نحتسى الشاى عند انجلينا فنحن فى فرنسا، فى عالم ثرى، فوضوى، عنصرى، ديكارتى، بوليسى، كيف يفعل ذلك، الصغير نيو؟ لقد قضى الشهور الأولى من حياته فى قرية الصيادين بتايلاند، فى عالم شرقى تحكمه قيم ومشاعر خاصة، حيث الانتماء النموذجى، يبدو هذا واضحاً فى عيد القرية عندما يحتفلون بإله المطر، أو يسبح الأطفال فى إيمان خيالى، إلخ. هذه فرنسا، فى باريس، عند انجلينا، هو منغمس، فى ثقافة مختلفة، وفى وضع مغاير من النقيض إلى النقيض: من آسيا إلى أوروبا، من عالم الفقراء إلى عالم الأثرياء.

فجأة، تساءلت: نيو، سيرغب بلا شك أن يحرق السيارات فيما بعد، لأن هذه حركة غضب وإحباط، ربما أن الغضب الأكبر، والإحباط الأكبر، ليس بسبب البطالة، وليس بسبب الفقر، ليس هذا هو غياب المستقبل، إنه الشعور بأنه لا يمتلك الثقافة؛ لأنه حائر بين الثقافات، والنماذج المتناقضة. كيف نتحقق إذا لم نكن نعرف أين نكون؟ هل يجب أن أتحمل فى الوقت نفسه ثقافة الصيادين التايلانديين وثقافة البرجوازيين

الكبار الباريسيين؟ من أبناء المهاجرين وأعضاء أمة عريقة محافظة؟ إذًا هم يشعلون السيارات؛ لأنهم عندما لا تكون لديهم ثقافة، يشعرون كأنهم حيوان متحضر، حيوان متوحش، هو الذى يحرق، ويقتل، ويسلب.

أعرف أن هذا ليس عميقًا جدًا، ولكن رغم ذلك فهى فكرة عميقة، وعندما أتساءل: وماذا عنى أنا؟ ما هى مشكلتى الثقافية؟ فيم أتعلق بين القناعات؟ وفيم إذا كنت حيواناً متوحشًا؟

إذًا، لقد جاءتنى لحظة تنوير، تذكرت اعتناء أمى الشديد بالنباتات الخضراء، الأساليب الجنونية لكولومب، ومعاناة أبى لأن أمى فى حالة استيداع بمنزلها.

كل هذا حالة من حالات عديدة مثلها. تؤمن أمى أنها يمكن أن تشتم فجأة. مثل أولاد الشوارع، وكولومب يمكنها أن تتخلص من المعاناة وهى تغسل يديها، أما أبى، فهو طفل عاق، ستتم معاقبته لأنه ترك أمه، أخيراً فلديهم قناعات خيالية، قناعات بدائية، لكن على عكس صيادى تايلاند، لا يمكنهم أبداً الاضطلاع بالأمر لأنهم فرنسيون متعلمون ـ أثرياء ديكارتيون.

وأنا. ربما أنا أكبر ضحية لهذا التناقض. لأنه، لسبب مجهول، أنا مفرطة الحساسية تجاه كل ما هو نشاز، وكأننى أمتلك أذنًا مطلقة من النشاز

والتناقضات، هذه التناقضات وغيرها.. فجأة. تعرفت على قناعة أخرى، فى واحدة من هذه الثقافات المألوفة. المتفككة.

ربما أنا نموذج للتناقضات العائلية، واننى يجب أن أختفى، كى تغدو الأسرة أفضل.

- ٤ -

توازن القاعدة

عندما عادت مانويلا فى الثانية ظهرًا من عند آل بروجلى، كان لدّى الوقت لاستعادة الذكريات من مظروفها، الذى يجب أن أسلمه إلى منزل آل جوس.

كانت أمامى فرصة فى حديث مهم مع سولانج جوس.

نحن نتذكر أنه، بالنسبة لمحلات الإقامة، فإن البوابة تهتم بالحاشية المليئة برؤيتهم الروحية، والمادية، لم تمثل سولانج جوس استثناء، هى متزوجة من برلمانى، وهى تبذل مجهوداً، قالت لى وهى تفتح الباب وتأخذ المظروف الذى أمده لها:

- صباح الخير.

رحت أبذل مجهودًا، وهى تكمل:

- تعرفين أن بالوما طفلة صغيرة بالغة الحساسية.

تنظر إلىّ كى تتحدى معرفتى عن الكلمة. بدوت محايدة، وهذه إحدى صفاتى، أن أترك الحرية لكل أنواع المفاهيم.

سولانج جوس امرأة اشتراكية لكنها لا تؤمن بالإنسان.

علقت كأنها تتكلم إلى شخص بطئ الفهم:

- أعنى أنها غريبة قليلة.

قلت وأنا أتسم بالجدية وأكسب الحديث قليلاً من الآدمية: "إنها بالغة اللطف".

قالت سولانج جوس بنبرة تريد بها آن تصل إلى نقطة ما، لكن يجب أن نبلغها مرحلة وراء أخرى مع ما تعارضه من ثقافة الآخر: نعم، نعم، إنها طفلة لطيفة، لكنها تقوم أحياناً بأشياء غريبة. إنها مثلا تحب التخفى، إنها تختفى لساعات.

قلت: نعم، أخبرتنى بذلك.

إنها مخاطرة بسيطة، مقارنة باستراتيجية الانتقال. لا تُمارس، وغير مفهومة.

لكننى أعتقد أننى أستطيع أن أمسك الخيط دون أن أخون قناعاتى وطبيعتى.

- آه، هل أخبرتك.

فجأة بدأت نبرة سولانج جوس فى التضخم، فكيف تعرف أن البوابة فهمت ما قالته بالوما؟

والسؤال الذى يمثل الإدراك والتركيز أكسبها مظهر التائهة.

أجبت: نعم، أخبرتنى: يجب أن أقول إن هذه موهبة فى الاختزال.

لاحظت خلف سولانج جوس أن القط كونستاسيو يمر متمهلاً، قالت

- انتبهى، انه القط.

خرجت وهى تغلق الباب خلفها، كى تترك القط يخرج، والا تترك البوابة تدخل، أنه التوازن لدى النساء الاشتراكيات.

آجابت: باختصار أخبرتنى بالوما أنها تود الحضور إلى مسكنك بين وقت وآخر، إنها طفلة حالمة جداً. كى أخبرك بكل شىء، كم أحب أن تفعل ذلك فى المنزل.

قلت: آه.

- لكن من وقت لآخر، ألن يزعجك هذا. سوف أعرف، على الأقل، أين هى، نحن نصاب بالجنون حين نبحث عنها فى كل مكان، كولومب عليها أن تعمل فوق رأسها، أليس هذا سعيد جداً إننا يجب أن نقضى ساعات فى تحريك السماء والأرض كى نعثر على أختها.

تركت الباب نصف مفتوح، كى تتحقق أن القط تخلص من اللوح، سألت:

- ألا يضايقك هذا. لعلك منشغلة بشىء آخر.

قلت: لا، إنه لا يزعجنى.

قالت سولانج جوس التى لفت انتباهها تماماً شىء عاجل بالغ الأهمية:

- حسنًا، حسناً جدًا.. شكرًا، شكرًا، إنه لطيف منك.

ثم أغلقت الباب.

ـ ٥ ـ

نقيض

وصلت إلى مكتبى كبوابة، ولأول مرة فى النهار، صار لدىّ وقت فى التفكير العميق، مساء البارحة رجعت إلىّ بكل جدية. هناك عطر رائع من الفستق، لكن ذلك مؤشر لبدايات معاناة صامتة. أحاول أن ألتفت إليها، وأنا أنشغل فى رى النباتات الخضراء فى كل أنحاء العمارة، الطراز نفسه من المهام التى أقدم بها على نقيض السلوك البشرى.

فى الساعة الثانية إلا دقيقة، وصلت مانويلا، تبدو مخلوبة وأخذ نبتون يختبرها فى مهارة تقشير الكوسة.

علقت دون أن تنظر، وهى تمد لى زهور المادلين فى سلة صغيرة، مستديرة من العظام: إذًا؟

قلت: أنا فى حاجة مجدداً لخدماتك.

اعتدلت وهى تسحب نفسها بقوة، ورغم أنها ضغطت على كلمة "حسناً".

- حسنًا..

لم أر مانويلا قط فى مثل هذا الحال من التألق. قلت:

- سوف نتناول الشاى يوم الأحد، وسأحضر الحلويات.

قالت مشرقة: أوووه، حلويات.

وبكل برجماتية(*) عاجلة:

- يجب أن أفعل لك شيئاً ما.

تعمل مانويلا حتى ظهيرة السبت. أعلنت بعد قليل من التفكير:

- مساء الجمعة، سوف أصنع لك العصيدة.

العصيدة هى نوع من الجاتو الإلزاسى. شهية قليلا.

لكن حلوى مانويلا هى أيضاً ذات رحيق، كل ما هو إلزاسى له رائحة فواحة، ، والنواشف تتحول بين يديها إلى أعبق الروائح.

سألت: هل سيكون لديك الوقت؟

قالت بملائكية: بالتأكيد، عندى وقت دوماً كى أصنع لك الحلوى!.

حكيت لها كل شيء، الوصول، والطبيعة الميتة،

(*) البرجمانية: مذهب فلسفى أمريكى يعنى النفعية من فلاسفة ويليام جيمس، وجون ديوى.

والساكى، وموتسارت، والمأكولات اليابانية، كيتى، والشقيقتين مونا كاتا، والباقى.

لا تكونى سوى صديقة، لكن اختارى جيداً.

قالت مانويلا فى نهاية حديثى: أنت رائعة، كل هؤلاء الأغبياء هنا، وأنت، عندما يصل سيد لأول مرة يدعوك إلى منزله.

مدت زهور المادلين. وهتفت فجأة وهى تنطق الهاء بقوة:

- ها.. سوف أصنع لك أيضاً كعكة بالويسكى.

قلت: لا، لا تتعبى نفسك يا مانويلا.. الحلوى تكفى.

أجابت: يتعبنى؟ لكن يا رينيه، كم قدمت لىّ من خدمات طوال سنوات.

فكرت برهة، هى تستعيد ذكرياتى. سألت:

- ماذا فعلت بالوما هناك؟

قلت: حسنًا، لقد استراحت قليلا من أسرتها.

قالت مانويلا: آه، المسكينة! يجب أن أقول إنها مع أختها.

تكن مانويلا مشاعرها تجاه كولومب، التى أحرقت لها ثيابها القديمة قبل أن ترسلها إلى الحقول من أجل ثورة ثقافية من المشاعر.

أضافت: باللير الصغير يصبح فمه فاغرًا عندما يمر. لكنها لا تراه، يجب أن نضع حقيبة فوق رأسه، إذا كانت كل آنسات العمارة مثل أوليمب..

قلت، حقًا، أوليمب بالغة اللطف.

قالت مانويلا: فعلاً، إنها صغيرة لطيفة، نبتون لديها مقاعدها، أنت تعرفين، انها تعتنى بها.

مقعد واحد فقط. إنه أمر بالغ الحقارة.

قلت: أعرف، تركناه مع سجادة جديدة فى البهو، سوف نوزعه غداً، لن يصيبه هذا بالأذى، إنه نحيف للغاية.

قالت مانويلا: أنت تعرفين، يمكنك أن تحتفظى بالفستان، لقد قالت ابنة السيدة إلى ماريا: احتفظى به، وحدثتنى ماريا إنها أخبرتك أنها أعطتك الفستان.

قلت: نعم. حقًا، انه لطيف للغاية، لكننى لا أستطيع أن أقبله.

قالت مانويلا غاضبة: لا تعاودى. على كل، فأنت التى ستدفعين النسبة. انظرى إلىّ، يقال إنه برتقالى.

البرتقالى هو ربما شكل حقيقى من ألوان العربدة.

قلت: حسنًا، اشكرى ماريا نيابة عنى، أنا ممتنة حقاً.

قالت: حسناً. نعم، نعم، سأشكرها نيابة عنك.

وقرع الباب قرعتين قصيرتين.

قلت: حسنًا، اشكرى ماريا نيابة عنى. أنا بالغة الامتنان.

قالت، هذا أفضل، نعم، نعم، سوف أبلغها شكرك.

ودق الباب دقتين صغيرتين.

- ٦ -

توازن القاعدة

إنه كاكورو اوزو.

قال وهوعلى باب المسكن: صباح الخير، ثم أضاف حين رأى مانويلا: صباح الخير يا سيدة لوبيز.

ردت وهى تهرول: صباح الخير يا سيد أوزو.

بدت مانويلا شديدة الحمية.

قلت: نحن نتناول الشاى، هل تنضم إلينا؟

قال كاكورو وهو يمسك مقعدًا: بكل سرور.

ثم قال وهو يرى ليو: القط الجميل! لم أره جيدا فى المرة السابقة، يقال إنه سيامى.

قالت مانويلا وهى ترفع المرقاش وتمد السلة نحو كاكورو: هل لك أن تأخذ زهرة المادلين، إنها "العريدة".

العربدة هى نوع من أنواع البرتقال.

قال كاكورو وهو يتناول زهرة: شكرًا..

قال وهو فاغر الفم: مشهورة!

تأرجحت مانويلا فوق مقعدها، وهى تتثاءب، قال كاكورو بعد أن حصل على أربع زهرات مادلين:

- جئت أسألك رأيك. أنا فى خلاف مع صديق لى حول مسألة الارتقاء الأوروبى فى مسألة الثقافة.

ثم راح يرمش لى بعينيه الضيقتين.

فغرت مانويلا فاها التى بدت أكثر أناقة مع باللير الصغير:

- إنه متعلق بإنجلترا. أما أنا فمتعلقة تمامًا بفرنسا، قلت إننى أعرف شخصاً يمكنه مشاركتنا! هل تريد أن تكون وسيطًا؟

قلت وأنا أجلس: أنا قاض وحكم، لا أستطيع التصويت.

قال كاكورو: لا، لا، لا، لن تصوتين. سوف تجيبين فقط على سؤالى: ما الابتكاران العظيمان للثقافة الفرنسية والثقافة البريطانية؟ (وأضاف) يا سيدة لوبيز أنا محظوط أننى هنا هذه الظهيرة، سوف تعطينى رأيك أيضًا. إذا أردت.

علقت مانويلا بكل تحديد الإنجليز. (ثم توقفت) أنتما أولا يا رينيه (قالت فجأة متذكرة بكل حذر أنها برتغالية).

فكرت لحظة.

بالنسبة إلى فرنسا، فهى قلعة القرن الثامن عشر، والجبن.

سأل كاكورو: وبالنسبة إلى إنجلترا؟

قلت: بالنسبة إلى إنجلترا، الأمر سهل.

بالغت مانويلا وهى تنطق: كتاااله؟

ضحك كاكورو ملء شدقيه، وقال:

- هناك شىء آخر.

ضحك كاكورو: هاها، أنا متفق معكما، إذًا يا رينيه، ماذا ترين.

قلت ضاحكة: النبات الملحم والعشب.

ضحكنا جميعًا، خاصة مانويلا التى رددت "القاعدة الحاملة" التى لا تعنى شيئاً، لكن مع هذا غرقنا فى الضحك.

حتى طرق باب المسكن.

يا له من جنون، هذا المسكن الذى ظل حتى الأمس لا يهم أحداً، بدا اليوم مركزاً للانتباه البشرى. قلت، دون تفكير فى حمية الحديث: ادخل..

مررت سولانج جوس رأسها من الباب.

نظرنا إليها ثلاثتنا بتساؤل كأننا كنا مدعوين فى وليمة، أقامتها خادمة غير محترمة فتحت فاها، مندهشة.

مررت بالوما رأسها من وراء المزلاج.

تماسكت، وأنا أقف. سألت السيدة جوس التى اندهشت هى أيضاً، ثم انفجرت:

- هل يمكن أن أترك لكم بالوما لمدة ساعة؟

قالت لـ كاكورو الذى وقف ثم أمسك يدها: صباح الخير يا سيدى العزيز.

قال بمودة: صباح الخير يا سيدتى العزيزة، صباح الخير بالوما، أنا سعيد لرؤيتكما.

حسنًا، عزيزتى، إنها بين أيد طيبة يمكنك أن تتركيها لنا.

- كيف تتصرف بكل ثقة وفى درس واحد؟

قالت سولانج جوس: آه.. حسنا، نعم.

تراجعت ببطء للخلف، غير محدثة أية ضجة.

أغلقت الباب خلفها، سألتها:

- هل تريدين فنجان شاى؟

أجابت: بكل سرور.

أميرة حقيقية فى وضعها هذا.

مددت لها فنجانًا صغيرًا من الشاى المنقوع فى الياسمين، بينما مدت لها مانويلا زهرة مادلين مقطوفة.

سألها كاكورو، وهو فى قمة تألقه الثقافى: ماذا ابتكر الإنجليز بالنسبة إليك؟

فكرت بالوما بتركيز، وقالت:

- القبعة كشعار نفسى؟

قال كاكورو: رائع.

علقت أننى ربما صرت أقل إقداما بالنسبة لبالوما، وأننى يجب أن أعمق لها هذه الفكرة، لأن القدر طرق فجأة ثلاث مرات، طالما أن المتآمرين خلعوا امتعتهم فى يوم واحد، قرع الباب من جديد على مربع المسكن، محدداً فكرتى.

كان بول نيجوين هو أول شخص لم تبد عليه الدهشة.

قال لى: صباح الخير يا سيدة ميشيل. "ثم" صباح الخير على الجميع.

قال كاكورو: آه، بول، نحن نتحدث عن إنجلترا بشكل محدد.

ابتسم بول برقة، وقال:

- حسنًا، ابنتك تذكرتها لتوى. تذكرت فى خمس دقائق.

ومد له المحمول.

قال كاكورو: اتفقنا، حسنًا، سيداتى، أستأذنكم.

ورمش بعينيه أمامنا.

قلنا بصوت واحد، وكأننا كورس: إلى اللقاء.

قالت مانويلا: حسنًا، ما فعلت.

سألت: أيهم؟

ـ كل زهور المادلين أكلناها.

وضحكنا.

نظرت إلىّ وهى تفكر، وتبتسم.

نعم، إنه أمر غريب.

رينيه التى كان لها دوماً صديقان، لم تعد مقبولة.

لكن رينيه، التى لها صديقان، تحس بالتوجس ولديها خوف غير محدد.

عندما ذهبت مانويلا، ارتمت بالوما بكل سجيتها فى مقعد القط، أمام التليفزيون، وهى تنظر لىّ بعينيها الواسعتين الجادتين سألتنى:

– هل تعتقدين أن للحياة معنى؟

- ٧ -

ليلة زرقاء

عند الكواء. كان يجب أن أواجه غضب نساء الضواحى.

بقع مشابهة فوق فستان، هل لاحظنها وهن يسلمننى تذكرة زرقاء لازوردية.

هذا الصباح، إنه صباح آخر جريت فيه هذه الأوراق المستطيلة، أكثر شبابًا، وأقل يقظة، لقد تبعثرت عشوائياً بين الصفوف المتواصلة من القوالب الدائرية، مدت لى فستانا بنفسجى اللون، والبلاستيك الشفاف المربوط.

قلت وأنا أمسك الفستان بعد تردد واضح: شكراً.

يجب أن نضيف إلى فصل من سلبياتى، واغتصابى لفستان لا أمتلكه مقابل فستان يخص امرأة ميتة أحس أننى سرقته. انتابنى الألم، ووسط

ترددى، هل يجب أن أوصم بندم بمفهوم امتلاك ما أستطيع أن أعلن الاعتذار عنه، أخشى أن يمر الوقت فأضعف أمام التحدى بعد ساعة، مرت مانويلا بمسكنى حاملة سلتها.

قالت: أردت أن أحضر مبكرة، لكن مدام دو برجولى، كانت ترقبنى من ركن.

بالنسبة لمانويلا فإن "ركن"العين هو نوع من التفسير.

وهى تضع سلتها. ظهرت لفافة مدهشة من ورق الحرير الأزرق، كعكة رائعة على الطريقة الإلزاسية، تعيدنى إلى الإلهام، كعكات صغيرة من الويسكى، بالغة الرقة، تكاد أن تنهار، وقرميد اللوز فوق سطحها مكسرات، سال لعابى بشكل غريزى.

قلت: شكراً مانويلاً. لسنا سوى اثنتين كما تعرفين.

قالت: عليك أن تبدئى بسرعة.

قلت لها: شكراً لقد استهلكت وقتك.

قالت وهى تتمتم: تاراتاتا.. صنعتها مزدوجة، وفرناندو يشكرك.

يوميات حركة العالم رقم ٧

أحب هذه الساعة المكسورة من أجلك

أتساءل عم إذا كنت فى حالة من التحول نحو جمال تأملى. مع توجهات ضخمة. وفى الوقت نفسه، شك رونسان.

رحت أشرح لنفسى، أن "حركة العالم" هى كتابة متخصصة بعض الشىء، لأن هذه ليست حركة الجسم فى الصباح، وأنا أتناول فطورى، رأيت حركة "الحركة" مزايا الحركة، بالأمس (كنا يوم الإثنين) أحضرت السيدة جريمون، الخادمة باقة ورد إلى أمى، السيدة جريمون قضت يوم الأحد عند أختها التى لديها حديقة صغيرة فى سورسن. فى إحدى زياراتها الأخيرة، احضرت باقة من بواكير الزهور لهذا الفصل. ووروداً صفراء، من طراز خاص شاحب كزهرة الربيع، بالنسبة للسيدة جريمون، هذه الباقة من الزهور تسمى "الحج".

أعجبتنى، إنها أكثر تربية وأكثر شاعرية وأقل تصنعا مما نسميه باقة ورد "مدام فيجارو"(*) ، أو "غراميات بروست" وأنا لا أبتدع شيئاً، أتحدث عن واقعة أن السيدة جريمون قدمت وروداً إلى أمى. كلتا الاثنتين. لهما نفس العلاقات للعديد من البرجوازيات المتقدمات فى السن، رغم أن أمى على قناعة أنها حالة من طراز: عجوز طيبة، علاقات قديمة أبوية، وردية (قدموا القهوة، ودفعوا مباشرة، دون أى توبيخ. أعط لى الملابس القديمة والأثاث المتكسر، واهتموا بالأطفال بعودة المدارس، وصار الحق فى باقات ورد وأغطية كستنائية وبيج) أو كروشيه، لكن هذه الوردات شىء آخر.

كنت أتناول فطورى، نظرت إلى الباقة فوق مائدة المطبخ. أعتقد أننى لم أفكر فى شىء، ربما لهذا، رأيت الحركة، انهمكت فى شىء آخر. إذا كان المطبخ ليس صامتاً، ولذا لم أكن وحدى فى المطبخ، لم أنتبه بشكل كاف، كنت وحدى، هادئة، خالية البال، استطعت أن أستقبلها بنفسى.

هناك قليل من الضجيج، شىء من الأنين ينطلق فى الجو "ش ش.. هـ.. هـ" رقيق جدًا جدًا إنه زر الورد مع طرف الساق المكسور الذى سقط فوق لوح. فى هذه اللحظة لمسة، مما أصدر صوتا "بوف"، إنها "بوف" من نوع فوق الصوتى فقط بالنسبة إلى آذان الفئران أو بالنسبة إلى الآذان البشرية عندما يكون كل شىء صامتًا جدًا جدًا جدًا.

(*) مدام فيجارو ملحق صحفى فى صورة مجلة توزعه جريدة لوفيجارو مع عدد الأحد.

أبقيت الملعقة فى الهواء ممسوكة تمامًا. كان الأمر رائعاً. لكن ماذا يعنى رائع كهذا؟

إنه برعم من الورد فى قمة ساق نبات مكسورة سقطت لتوها. إذاً؟

فهمت وأنا أقترب، وأنا أنظر إلى برعم الورد الساكن الذى انتهى بالسقوط، إنها حيلة يجب أن نراها مع الزمن، مع الاتساع، أو بالتأكيد، هو جميل دوماً، برعم من الورد سقط بشكل مهيب، نحن نرسم بشكل ساذج! لكن هذا ليس ما يفسر الحركة، الحركة، هذا الشيء الذى نعتقده كونياً.

وأنا انظر سقوط الساق، والبرعم، انتابنى فى كسور من الثانية، الإحساس بجوهر الجمال، نعم، أنا اناء صغيرة فى الثانية عشرة والنصف لدى هذه الفرصة غير المرئية، لأنه فى هذا الصباح، تجمعت كافة الفرص: روح خاوية لمنزل هانئ، ورود جميلة، سقوط برعم. ولهذا فكرت فى رونسار، دون أن أفهم كثيرا فى البداية: لأن هذا سؤال عن الزمن والورود، ترى ما الجمال، إنه ما يشد انتباهك ويمر. إنه الوجه الزائل للأشياء فى لحظة، حيث نرى فيه فى اللحظة نفسها زمن الجمال والموت.

أى، أى، أى، تساءلت، هل يعنى أنه يجب أن يعيش المرء حياته بهذا الأسلوب؟ أبداً إنه التوازن بين الجمال والموت، والحركة، واختفائها؟

ربما إنها مطاردة اللحظات التى تموت.

ـ ٨ ـ

جرعات صغيرة سعيدة

نحن فى يوم الأحد

فى الساعة الثالثة ظهرًا، اتخذت طريقى نحو الدور الرابع، بالفستان البرقوقى الذى بدا واسعاً جداً علىّ نزيلة يوم السلة ـ وقد انقبض قلبى مثل قطيطة تدور فى دائرة صغيرة عصراً، وهى بين الدورين الثالث والرابع، وجدت نفسى وجها لوجه أمام سابين باللير، فمنذ عدة أيام، تنظر بازدراء ملحوظ، وحين تقابلنى، وبكل احتقار، تنظر إلى شعرى المتطاير. لاحظت أننى تخليت عن إخفاء مظهرى الجديد، لكن هذا الإلحاح جعلنى عكرة المزاج، بعض المتحررة التى بداخلها، لم يخرق لقاؤنا القاعدة. قلت وأنا أكمل مسيرتى:

- صباح الخير.

أجابتنى بإشارة رأس متحجرة دون أن تضعنى

فى الاعتبار، ثم اكتشفت وجودى، توقفت على مسافة خطوة، رياح الألم دفعتنى بقلق، أدركت، وأنا القادمة من الجنوب مهددة بفستانى المسروق معبرة عن مجاعة عانيت منها.

قالت لى بلهجة متعمدة: هل يمكنك، طالما أنك صعدت، أن تروى زهورى فى الزهريات؟

هل كان يجب أن اذكرها؟ اننا يوم الأحد. سألت فجأة:

- هل هذه كعكات؟

أحمل فوق هدية مانويلا مظروفاً من الحرير، وأتأكد أن فستانى يخفى نوعاً من تيقظ الإدانة لسيدة، ليست هذه ادعاءات خفية. لكن المرأة الشرهة افترضت هذا.

قلت: نعم، إنها طلبية خاصة.

قالت وقد استعادت جأشها: حسناً، استغلى الفرصة لرى الزهور.

بلغت السلال فى الدور الرابع بكل صعوبة لأننى أحمل أيضاً الكاسيت، فتح كاكورو الباب بحمية وتماسك لحظة وهو يتأملنى.

قال: أو لا. لا. أنت لا تمزحين.

تقدمت نحو الأمام، قلت وأنا أتبعه إلى المطبخ: سوف نشكر مانويلا .

سأل وهو يفرغ السلة الحريرية الزرقاء: هل هذا حقاً، إنها جوهرة حقيقية؟

تصورت فجأة أن هناك موسيقى.

إنها ليست موسيقى صاخبة تنطلق من مكبر الصوت غير المرئى الذى يبث الصوت فى كل أنحاء المطبخ. "الأغنية الإنجليزية".

يداها، تحبان الروح، الظلام يغلفنى

دعنى أبقى فى صدرها

عندما أكون فوق الأرض

ربما خلقى الخطأ

لا متاعب فى الصدر

تذكرينى، تذكرينى

لكن أوه! انس بدانتى

إنه موت ديدون، إذا أردت رأيىّ: فإن أجمل شىء هو الغناء للعالم، ليس هذا جميل فقط. إنه القمة، يجلب السعادة غير المتوقعة للأصوات. كأننا مرتبطون بقوة غير مرئية، ومثلما يتميز كل شىء فيها، فإنها تتهاوى واحدة تلو الأخرى، عند حدود الأصوات البشرية، تقريبًا فى أرض النوح الحيوانية، لكن مع جمال صراخات الحيوانات لا تنتظر قط، جمالا مولودا من تكسير النبرات الصوتية، وانتهاك العناية التى تضعها اللغة الشفاهية التى من خلالها يمكن تمييز الأصوات.

تتحطم الخطى، وتتهاوى الأصوات.

الفن، هو الحياة، ولكن بإيقاع آخر.

قال كاكورو وهو يضع الفناجين، والبراد، والسكر، والفوط الصغيرة فوق لوح أسود: هيا بنا.

تبعته فى الممر، وتبعاً لحركاته، فتح الباب الثالث على اليسار.

قلت أسأل كاكورو اوزو: هل لديك جهاز تسجيل؟

أجاب بابتسامة غامضة: نعم.

الباب الثالث على اليسار يفتح على قاعة سينما صغيرة. هناك شاشة كبيرة بيضاء، كم من الأجهزة اللامعة الغامضة، وثلاثة صفوف من خمسة مقاعد سينما حقيقية مكسوة بالقطيفة الزرقاء الداكنة، ومائدة طويلة منخفضة أمام الأولى، والجدران، وسقف ممتد طويل من الحرير الداكن قال كاكورو: فى الواقع، هذه هى مهنتى؟

– مهنتك؟

– طوال أكثر من ثلاثين عامًا استوردت مكبرات الصوت إلى أوروبا، إنها تجارة مريحة ـ لكنها بشكل خاص رائعة، اللعبة بالنسبة إلىّ أن كل جزء من آلة ألكترونية شاعرية.

أخذت مكانى فى مقعد مجهز بشكل رائع، وبدأ العرض.

كيف أصف هذه اللحظة من الفرحة الكبرى؟ نحن نشاهد فيلم "الأخوات موناكاتا"(*) على شاشة

(*) الأخوات موناكاتا: فيلم من إخراج ياسوجورو أوزو عام ١٩٥٠م.

عملاقة، وسط ظلام خفيف رقيق، ظهر قوى على ملف رخو ونحن نلتهم من الكعكة، ونشرب الشاى الحار بجرعات صغيرة سعيدة، من وقت لآخر، يوقف كاكورو الفيلم، ونتحدث معا، حول عصا مكسورة، تنمو زهور الكاميليا فوق عشب المعبد ومصير البشر عندما تبدو الحياة مناسبة جداً. دهشتان. تمتمت بتحية لصديقى الكونفوشيوسى وعدت إلى القاعة، وكأنه سرير ساخن ناعم.

إنه خارج الزمن وداخله.. عندما أحسست بهذا الشعور اللذيذ لأول مرة، الذى لم يصنع سوى لشخصين؟ الثقة التى جربناها عندما كنا وحدنا، هذا اليقين بنفسينا فى صفاء الوحدة، لا شىء بالمقارنة بمبدأ دعه يذهب دعه يأتى، دعه يتكلم. من يعيش مع الآخر، فى صحبة متكاملة.. عندما أحس لأول مرة بهذه الراحة السعيدة فى حضور رجل.

اليوم، إنها المرة الأولى.

ـ ٩ ـ

جرعات صغيرة سعيدة

فى التاسعة مساء، بعد أن تحدثنا ونحن نشرب الشاى، استعددت لآخذ قسطاً من الراحة، مررنا بقاعة كبرى، ولاحظت فوق مائدة منخفضة إلى جوار أريكة. صورة فى اطار لامرأة بالغة الجمال.

قال كاكورو برقة وهو يرانى أتأملها: إنها زوجتى، ماتت منذ عشر سنوات. بسرطان، كان اسمها صناى.

قلت: آسفة، كانت.. جميلة، للغاية.

قال: نعم، بالغة الجمال.

ودام صمت قصير.

أضاف: لدىّ ابنة تعيش فى هونج كونج وعندها طفلان.

قلت: لعلك تفتقدها.

أذهب إلى هناك دائماً، أحبهم كثيراً، حفيدى يسمى جاك، "أبوه إنجليزى" وهو فى سن السابعة، قال لى فى الهاتف هذا الصباح إنه اصطاد بالأمس أولى سمكاته، إنه حادث الأسبوع، هل تعتقدين ذلك؟

دام صمت جديد.

قال كاكورو وهو يتقدم فى الممر: أنت أيضاً أرملة كما أعتقد.

قلت: نعم، أنا أرملة منذ أكثر من خمسة عشر عاماً.

وأحسست برقبتى تشتد.

- زوجى كان اسمه لوسيان، السرطان، أيضاً..

ونحن أمام الباب. تبادلنا النظرات فى حزن.

قال كاكورو: عمت مساء يا رينيه.

ثم استعدنا البهجة.

- كان يوماً رائعاً.

شخص ماكر ضخم فى أعماقى ينطلق بسرعة هائلة.

- ١٠ -

سحب داكنة

قلت وأنا أرفع الفستان البرقوقى، وأنا أكتشف برودة الويسكى فوق عروة: كم أنت مسكينة غبية. ماذا تعتقدين فى نفسك؟ لست سوى بوابة فقيرة، لا توجد صداقة ممكنة مع هذه الطبقات، ثم ماذا تعتقدين، أيتها الفقيرة المجنونة؟

لم أكف عن تكرار التفكير، وأنا أباشر غسيل المساء، وأنا أسحب نفسى بين أغطيتى بعد معركة قصيرة مع ليو، الذى لم يتمن أن يلتزم البقاء فوق الأرض: من تعتقدين نفسك أيتها المجنونة.

الوجه الجميل لـ "صناى أوزو" أمام عينى المغلقتين، أحسست أننى شىء عجوز يتذكر الواقع فجأة دون بهجة.

ثم نمت وقلبى قلق.

صباح اليوم التالى، أحسست بمشاعر غريبة من روح الغابة.

إذًا، لقد مر الأسبوع كالسحر، أثار كاكورو بعض المظاهر المتدفقة وهو يحرك مواهبى التحكيمية (بارد أم شراب؟ الأطلنطى أم أوسطى؟)، وجدت المتعة نفسها فى صحبته المنعشة، رغم السحب الداكنة التى تتقاطع بصمت فوق قلبى، سخرت مانويلا وهى تكتشف الفستان البرقوقى اللون وقد اندست بالوما فى مقعد فوتيه ليو.

أعلنت لأمها: فيما بعد، سأصبح بوابة.

وهى تنظر إلىّ بعين جديدة صباحية حذرة عندما جاءت تقضى وقتها فى مسكنى.

أجبت بابتسامة محبة: حفظلك الله، ستكونين أميرة.

ثم استعرضت تى شيرتورديًا كالشيكولاتة، يتوافق مع نظارتها الجديدة وقد اكتسبت مظهر فتاة، ستكون بوابة ـ مع أو ضد ـ كل ـ خاصة ـ أمى.

سألت بالوما. كيف تحسين هذا؟

هناك مشكلة تقنية فى غرفة الحمام الخاصة بى، تفوح منها رائحة كأنها غرفة قذرة، ناديت السباك منذ عشرة أيام، لكن يبدو أنه ليس متحمساً لفكرة الحضور.

قلت وأنا أحاول تغيير السؤال قليلا: المزراب.

قالت وكأننى لم أرد عليها أبداً: فشل الليبرالية.

قلت: لا، إنها مشكلة خاصة بالصرف الصحى.

قالت بالوما: حسنًا ما قلت لك. لماذا لم يأت السباك إذًا؟

- لأن أمامه زبائن آخرين.

علقت: أبداً. لأنه ليس مضطراً، ولماذا ليس مضطراً؟

قلت: لأن ليس لديه ما يكفى من المنافسين.

قالت بالوما بمنظر المنتصر: هذا هو، ليس هناك ما يكفى من المنافسين. الكثير من الزبائن والقليل من السباكين بصفة شخصية.

هنا قوطع هذا الحوار العاطفى، وطرق على البلاط.

انه كاكورو مع طفل صغير لا أعرف من يكون بالضبط.

دخل ورأى بالوما. قال:

- أوه. صباح الخير يا صغيرتى، حسنًا، رينيه، سأمر فيما بعد.

قلت: كما تريد، هل أنت بخير؟

أجاب: نعم، نعم.

ثم اتخذ حلاً مفاجئاً، كأنه ألقى بنفسه فى الماء:

- هل تريدين أن تتناولى العشاء معى مساء الغد؟

قلت وأنا أحس بمشاعر عظيمة من الجنون تتملكنى: أوه.. إنه..

وكأن النوايا تبث فى هذه الأيام الأخيرة متخذة شكلاً مجسداً.

تابع مثل كلب يتمنى عظمته: أريد أن أصحبك إلى مطعم أحبه كثيراً.

قلت والجنون يتملكنى أكثر فأكثر: مطعم؟

وعلى يسارى أصدرت بالوما ضجيجاً من الضحك.

قال كاكورو الذى يبدو أنه ممتن قليلا: اسمعى. أرجوك، إنه.. عيد ميلادى غداً، وسأكون سعيداً أن أمتلكك كفارس.

قلت دون أن أقدر على المزيد: أوه!

- سوف أذهب عند ابنتى يوم الإثنين. سأحتفل هناك مع الأسرة، بالتأكيد.. لكن غداً مساء.. إذا أردت.

ثم توقف فجأة، ناظراً إلىّ بكل أمل.

هل هى العاطفة؟ بدا لى أن بالوما تحاول أن تفعل شيئاً.

ودام صمت قصير.

قلت: أسمع، اعتذر، لا أعتقد أن هذه فكرة جيدة.

سأل كاكورو وقد بدا مصدوماً: لماذا؟

قلت وأنا أطلق ما يشبه الأنين الذى يترك أثراً: هذا شىء لطيف جداً، كم أعترف بجميلك، لكننى لا أحبذ هذا، أنا واثقة أن لديك أصدقاء يمكنك أن تحتفل معهم بهذه المناسبة.

نظر كاكورو إلىّ مقاطعاً، ثم انتهى قائلاً:

أنا.. أنا.. نعم، بالتأكيد لكن.. أخيراً.. فعلا، كنت أحب كثيراً.. لا أرى أبداً..

دعك رموشه، وقال:

ـ أخيراً. أنا لا أفهم.

قلت: هذا أفضل، صدقنى.

وأنا أصحبه برقة نحو الباب وأنا أمشى قبالته، أضفت:

– ستكون لدينا فرص أخرى للثرثرة.. أنا واثقة فى ذلك.

وانسحب مثل جندى مشاه فقد أرضه. قال:

– خسارة، علىّ أن أصنع فرحتى بنفسى، على كل حال..

قلت وأنا أقفل الباب برقة بعد رحيله: إلى اللقاء.

- ١١ -

المطر

قلت لنفسى: مضى ما هو أسوأ.

دون أن آخذ فى الحسبان مصير الفستان الوردى الشيكولاتى: استدرت ووجدت نفسى فى مواجهة بالوما.

لم تبد سعيدة على كل حال.

سألتنى بنبرة ذكرتنى بالسيدة بيلو، آخر معلماتى: هل يمكن أن أعرف ماذا تلعبين؟

قلت بضعف واع لسخف سلوكى: أنا لا ألعب قط.

سألت: هل لديك شىء تفعلينه بشكل خاص مساء الغد؟

قلت: لا، لكن ليس لهذا السبب.

- هل يمكن أن أعرف لماذا؟ بالضبط!

قلت: أعتقد أنها ليست فرصة جيدة.

ألحت مثل مفتش شرطة: ولماذا إذًا؟

لماذا..؟

هل أعرف الباقى؟

هكذا، دون صراخ حذر، بدأ المطر فى السقوط.

- ١٢ -
أخوات

كل هذا المطر

فى بلادى، تمطر فى الشتاء، ليست لدى ذكريات عن أيام الشمس: فقط المطر والوحل والبرد، البلل الذى يلصق ملابسنا ومشاعرنا، وأيضاً ركن من النيران. التى لم تبد أنها حقيقة أبداً. كم من مرة فكرت منذ هذه الأمسية الممطرة، كم من ذكريات أكثر من أربعين عاماً، حدث حادث اليوم، تحت هذا المطر الضارى.

كل هذا المطر.

بالنسبة لأختى، أعطيناها اسمًا لحمار ولد ميتاً، كان يحمل آنذاك اسم خالة ميتة، هى ليزيت، كانت حلوة، رغم طفولتى، فإننى عرفت آنذاك. أكثر مما لم تعرف عيناى أى ملامح محددة للجمال، ولكن فقط فى استشعار الأشياء، فأنا لا أتكلم أبداً فى منزلى.

هـذا لم يـقـلـه أحـد قط. لـكن الجـيـران من حـولى يثرثرون، وعندما كانت أختى تمشى، تبدأ التعليقات حول جمالها، بالغة الجمال، شديدة الفقر. يا له من مصير طيب شرير.. هـكذا ينظرون إليها وهى فى طريقها إلى المدرسة، أما أنا، فقبيحة، وضامرة الجسد والروح، أمسك بيد أختى، ليزيت وهى تمشى، عالية الرأس، ليست خفيفة العقل، وهى فى دربها، تحل المصائر المشئومة عليها الواحد تلو الآخر.

فى سن السادسة عشرة، رحلت إلى المدينة، لتعتنى بأبناء الأثرياء، لم نعد نراها طوال العام، تعود لقضاء عيد الميلاد فى دارنا، ومعها هدايا غريبة (خبز متبل، وشرائط ملونة حية، وكيس من اللافندر)، إنها منجم من الذهب، هل يمكن أن تجد وجها أكثر وردية، وأكثر حركة، وأكثر إشراقاً من وجهها؟ للمرة الأولى حكى لنا شخص حكاية، فتصلبت شفاهنا، شراهة المنبه العامض التى تستفز فى داخلنا الكلمات الخارجة من فم هذه الفتاة الريفية التى أصبحت بالغة القوة، من يتكلم عن عالم مجهول، مزركش يلمع حيث تقود النساء السيارات، تعدن فى المساء إلى المنازل المليئة بالأجهزة التى تؤدى أعمالها مكان البشر، وتنقل الأخبار للعالم عندما تتحرك قبضاته.

عندما أعاود التفكير فى هذا كله، فإننى أقيس حجم الإملاق الذى نعيش فيه. نحن نسكن على مسافة خمسين كيلو مترًا من المدينة، هناك مبنى

ضخم من اثنى عشر طابقًا. لكننا نسكن مثل زمن القصور الحصينة، دون ارتياح ولا أمل طالما أننا نفقد تقاربنا الموثوق فيجعلنا دائماً متواكلين. أما اليوم، فتوجد فى هذه القرى المتخلفة. حفنة من العواجيز الذين فاتهم القطار، ولا يعرفن شيئاً عن الحياة العصرية، لكن الأمر يتعلق بأسرة بأكملها، شابة وحيوية، وعندما كانت ليزيت تصف شوارع المدينة المضاءة فى عيد الميلاد، كانت تكشف أنه يوجد عالم غير قابل للشك.

وتسافر ليزيت مرة أخرى، وطوال بضعة أيام، مثل الميكانيكى المتحجر، نستكمل الحديث قليلاً، وطوال بضع أمسيات، يبدأ أبى على المائدة التعليق على قصص ابنته، إنه قاس، وغريب، ثم يسود الصمت، وتتلاحم الصراخات من جديد فوقنا مثل طاعون لدى البؤساء.

طالما فكرت فى هذا.. كل هذا الشتاء، كل هؤلاء الموتى.. وأن ليزيت تحمل اسم اثنين من الموتى، اسم جدتى الكبرى التى ماتت قبل ميلادها بقليل، أما أخوتى فيحملون اسم أبناء الخال الذين ماتوا فى الحرب، الذين يحملون أيضاً أسماء ابناء الخالة الذين ماتوا فى الوباء والذين لم تعرفهم، وهكذا عشنا دون كلمة فى هذا العالم من الموتى، حين عادت إليه ليزيت ذات مساء من شهر نوفمبر.

أتذكر كل هذا المطر.. صخب الماء المندفع فوق السقف، الدروب المنسابة، بحر من الوحل على أبواب

المزرعة، السماء السوداء، الريح، والمشاعر البشعة بليل بلا نهاية.

من يقوم بوزننا ونحن الذين نزن حياتنا: دون وعى، أو تمرد، كنا ملتصقتين. الواحدة بالأخرى على مقربة من المدفأة، عندما قامت أمى فجأة، وفقدت التوازن، نظرنا إليها وهى تتجه نحو الباب، يدفعها انسلاخ مظلم، وفتحت المزلاج.

كل هذا المطر، أوه. كل هذا المطر.. فى إطار الباب، ساكنة، الشعر ملتصق بالوجه، الفستان مبلل، والحذاء التهمه الوحل، النظرة ثابتة، انها ليزيت واقفة، كيف عرفت أمى؟ كيف أن المرأة، التى لم تتعامل قط معاملة سيئة؟ لم تفهم كيف تحبنا، بلا حركة أو كلمة، كيف أن هذه المرأة القوية التى جلبت أطفالها إلى العالم بنفس الطريقة التى عادت فيها إلى الأرض، وتتغذى بالفراخ، كيف أن هذه المرأة الأمية، المخبولة إلى حد أنها لم تنادينا قط بالأسماء التى اختارتها لنا، وأشك أنها تتذكرنا دائماً، عرفت أن ابنتها نصف الميتة، التى لا تتحرك ولا تتكلم، تقف عند الباب تحت الأمطار المتلاطمة، دون أن تفكر فى الطرق، تنتظر أن يفتح لها أحد الباب، وأن يدخلها إلى الدفء!.

هل هذا هو الحب الأموى، هذه المشاعر فى القلب، والدمار، هذه الشعلة من الحنو المستمر رغم أن الإنسان تضاءل فى الحياة كحيوان؟ هذا ما قاله لى

لوسيان: الأم التى تحب أطفالها تحس بهم دائماً عندما يكونون فى خطر، بالنسبة لى، فأنا لم يغمض لى جفن حول هذا التفسير. لم يكن لدىّ أى إحساس نحو هذه الأم التى لم تكن واحدة منهن. المأساة هى المنجل: إنه يقطع فينا كل ما نعرفه عن قابلية الاتجار بالآخر ويتركنا فارغين، منشطرى المشاعر كى نستطيع أن نستمر وسط سواد الحاضر، لكننى لم أمتلك قناعات جميلة، أحاسيس حب أمومة أكنها لأمى، إنها تعبر عن البؤس، نوع من الوعى المجذور فى أعماق القلوب، يؤكد أن فقراء صعاليك مثلنا. يحدث لهم ذات مساء ممطر أن فتاة أصابها العار ستعود ميتة إلى منزلها.

عاشت ليزيت معنا زمناً كى تضع طفلها، وجاء الوليد الجديد مثلما ننتظر منه: لقد مات خلال ساعات وسط هذه المأساة التى بدت بالنسبة لأبوىّ مسيرة طبيعية للأشياء من هذا النوع الذى لا يهتز أبداً - وأنها أضاعت نحساً. صارت لدىّ قناعتان: يعيش الأقوياء ويموت الضعفاء، وسط المتعة والمعاناة، فى أماكنهم المتسلسلة، كل شىء مثل ليزيت، كانت جميلة وفقيرة. كنت ذكية، وابنة بلد مكرسة إلى هذا النوع من العقاب، وكم آملت أن آخذ أكثر من روحى كى أزدرى طبقتى، أخيراً ولأننى لا أستطيع أن أمنع من أكون ولا من كنت. فقد بدا لى أن طريقى هو طريق الأسرار. كان يجب أن أسكت عما كنت عليه، وعلى العالم الآخر الذى لم أختلط به.

من صامتة، صرت كياناً خفياً.

فجأة، تأكدت أننى جالسة فى مطبخى، فى باريس، فى هذا العالم الآخر الذى حفرت فيه وكرى الصغير غير المرئى، حيث راعيت ألا أختلط بالعالم، وأن أبكى بدموع ساخنة بينما فتاة صغيرة، ذات نظرة حادة بشكل غير معقول، تمسك يدى وتداعب أناملى برقة ـ تأكدت أننى قلت كل شىء. وحكيت كل شىء: عن ليزيت، وأمى، والمطر، والجمال المدنس، وفى آخر الحدث فإن يد القدر الحديدية، التى تعطى للمولودين الموتى أمهات ميتات تردن أن تلدن من جديد، بكيت بحرقة ورعشة. لفترة طويلة بدموع حقيقية منسابة، مشوشة، لكننى سعيدة تماماً من تحول النظرة الحزينة، والجامدة لبالوما التى بدت فى بئر ملتهبة، وأنا أجفف دموعى.

قلت وأنا أهدئ نفسى قليلا: يا إلهى.. يا إلهى. هكذا أنا شديدة الغباء؟

أجابتنى: يا سيدة ميشيل، تعرفين أنك منحتينى الأمل.

قلت وأنا أزمجر بطريقة تثير الشفقة: الأمل.

قالت: نعم، يبدو أنه من الممكن أن نغير القدر.

ظللنا هنا دقائق طويلة متماسكى الأيدى، دون أن ننطق بكلمة. أصبحت لى صديقة، روح جميلة فى الثانية عشرة، شعرت نحوها بمشاعر العظمة المبجلة.

وفظاظة لهذا الارتباط غير المتعلق بالسن، بظروف وملابسات لا تبلغ أعماق مشاعرى، وعندما جاءت سولانج جوس إلى مسكنى لاستعادة ابنتها. تبادلنا نحن ـ الاثنتين ـ النظرات بكل علامات المحبة والإعزاز وقلنا إلى اللقاء فى يقين بلقاء قريب، انغلق الباب، وجلست فوق مقعد التليفزيون، ويدى على صدرى ووجدت نفسى أقول بصوت عالٍ جدًا: هذه هى الدنيا.

فكرة عميقة رقم ١٥

إذا أردت أن تعتنى بنفسك

اعتن

بالآخرين

ابتسم وابك

فمن هذه السعادة تستمد ذاتك

هل تعرفون لماذا؟ أتساءل إذا كنت قد فقدت شيئاً آخر؟ شيء قليل مثل شخص ما يختلط بآخرين، ويكتشف طريقًا آخر حين يقابل شخصا ما طيبًا. المخالطة السيئة لى. هى أمى، وكولومب، وأبى، وكل هذه الزمرة. اليوم قابلت شخصا ما طيباً، السيدة ميشيل حكت لى عن صدمتها: لقد هربت من كاكورو لأنها صدمت فى موت أختها ليزيت، التى تم إغواؤها ثم هجرانها مع ابنها، لا تحب مصادقة الأثرياء، حتى لا تموت معهم، حيث أن آليتها أن تبقى على قيد الحياة.

وأنا أسمع السيدة ميشيل، تساءلت: ما الصدمة النفسية الكبرى؟ أخت تموت لأنه تم هجرانها والتوابع الدائمة لهذا الحدث: الخوف من الموت إذا لم تبق دوماً فى مكانك؟ موت الأخت، كان على السيدة ميشيل أن تتجاوز الأمر، لكن هل يمكن أن تتجاوز عقابها الخاص؟

ثم، بشكل خاص، أحسست بشىء آخر، مشاعر جديدة، وأنا أكتبها، تأثرت كثيراً. من ناحية أخرى كان يجب أن أترك قلمى دقيقتين. إنه وقت البكاء، هذا هو ما أشعر به، وأنا أستمع إلى السيدة ميشيل، لم أرها تبكى، أحس إلى أى حد استراحت وهى تبوح لى بكل هذا. فهمت شيئا ما. فهمت أننى كنت أعانى لأننى لا أستطيع أن أكسب شخصاً ممن هم حولى. فهمت أننى أردت هذا من أبى وأمى، وخاصة كولومب، لأننى غير قادرة أن أكون مفيدة بالنسبة إليهم، لأننى لا أستطيع شيئاً بالنسبة لهم. إنهم بعيدون جداً فى سقمهم، وأنا بالغة الضعف. أرى جيداً ظاهرهم، لكننى غير مؤهلة أن أعتنى بهم. ومما يجعلنى مريضة مثلهم، لكنى لا أرى ذلك. إذًا، حين مددت يدى إلى السيدة ميشيل، أحسست أننى مريضة أنا أيضاً. هل هو أمر مؤكد، فى مثل هذه الحالة، لا أستطيع أن أعتنى بنفسى وأنا أعاقب الذين لا أقدر على شفائهم. يجب أن أعاود التفكير فى هذه القصة حول الحريق والانتحار. من ناحية أخرى يجب أن أبوح بها: إننى لم تكن لدّى الرغبة قط أن أموت، أرغب فى رؤية السيدة ميشيل

وكاكورو، ويوكو. بالتأكيد، لن أستطيع أن أقول: من فضلك، انقذنى، أنا طفلة صغيرة منتحرة، لكننى وددت أن أترك الآخرين يمارسون الطيبة علىّ. فبعد كل شىء، لست سوى طفلة صغيرة بائسة، ثم أنا بالغة الذكاء، وهذا لن يغير فى الأمر شيئاً، أليس كذلك. فتاة صغيرة بائسة، فى اللحظة السيئة، لديها الفرصة فى مقابلات سعيدة، هل أعطانى هذا بشكل روحانى الحق فى أن أترك الفرصة تضيع؟

رغم كل شىء، فهذه القصة مأسوية، هناك أشخاص لهم قيمهم. أنت تتورد! هل أرغب أن أقول لنفسى إننى صرت كالوردة، لكن، أى أحزان! انتهت تحت المطر! لم أعد أعرف كيف أفكر. لحظة. اعتقدت اننى وجدت فكرتى. اعتقدت إننى فهمت أنه كى أعتنى بنفسى، يجب أن أعتنى بالآخرين، وأخيراً الآخرون، المعتنى بهم.. هؤلاء الذين يمكنهم أن ينقذوا. بدلاً من الضجر لا أستطيع إنقاذ الآخرين، إذًا ماذا أفعل كى أكون طبيبة؟ أو كاتبة؟ أو شيئًا من هذا القبيل، أليس كذلك؟

بالنسبة للسيدة ميشيل. كم من كولومب، كم من أحزان مثل تيبير؟

\- ١٣ -

فى ممرات الجحيم

بعد رحيل بالوما، صرت ممزقة تماماً. ظللت جالسة فى مقعدى لأطول فترة ممكنة. ثم أمسكت شجاعتى بيدى، وأدرت أرقام كاكورو أوزو.

رد علىّ بول نجوين عند الرنة الثانية قائلاً:

– آه. يوم سعيد يا سيدة ميشيل، هل يمكننى أن أفعل شيئاً من أجلك؟

قلت: حسنًا، أحب أن أتكلم إلى كاكورو.

قال لى: هو غير موجود، هل تريدين أن أبلغه بشىء عندما يعود؟

قلت، وقد تخففت من قدرتى على العرض، بطريقة ما: لا، لا، يمكنك أن تخبره إذا كان قد غير رأيه، سوف أكون سعيدة أن أتناول العشاء معه مساء الغد؟

قال بول نجوين: بكل سرور.

وضعت السماء أرضاً، وتركت نفسى من جديد أتهاوى فى مقعدى، وأستغرق طوال نصف ساعة فى أفكار مشتتة، لكنها ممتعة.

قال صوت ذكورى رقيق من وراء ظهرى: لن يكون هذا جيداً فى منزلك، أخبرينى إذاً هل قام شخص ما بتغيير أفكارك؟

فتح الباب برقة شديدة فلم أسمعه، إنه شاب وسيم أسمر، له شعر مخلوط قليلاً، سترة شاب جديدة تماماً، وعينان واسعتان هادئتان.

سألت، دون أن أصدق ما أراه: جان؟ جان آرتين؟

قال وهو يحرك رأسه جانباً: نعم، مثل الزمن القديم.

هذا كل ما تبقى لىّ من الأطلال، من روح شابة، تحترق فى جسده الشهوانى، جان آرتين منذ عهد قريب هو أقرب إلى السقوط. بدا عليه أنه آثر أن يولد من جديد.

قلت وأنا أبتسم ابتسامة عريضة: أنت تملك شكلا لافتاً!

وأعادها لى بكل رقة؟

قال: صباح الخير يا سيدة ميشيل. يسعدنى أن أراك، "أضاف وهو يشير إلى شعره" هل هو جيد؟

قلت: شكراً. لكن ما الذى أتى بك لزيارتى هنا؟ هل أقدم لك فنجان شاى؟

قال بحركة تردد: آه.. لكن أنت.. بكل سرور.

أعددت الشاى بينما أخذ مكانه فوق مقعده وهو ينظر إلى ليو بعينين مندهشتين، تمتم بكل ما به: لقد صار كبيراً، هذا الكلب؟

قلت: نعم، إنه ليس كلبًا رياضياً .

سأل وهو يتأجج: يبدو عصبياً، أليس يبدو أحيانًا بالغ السوء؟

قلت: لا، لا، إنها مشكلة السباكة.

قال: هل عليك أن تندهشى لأننى جئت هنا، خاصة أننا لا نتكلم كثيراً، هه. أنا لم أتحدث إليك منذ زمن، زمن أبى.

قلت بكل صفاء: أنا سعيدة أن أراك، يبدو أنك على ما يرام.

قال: نعم.. أنا عائد من مكان بعيد.

وتناولنا بالتتابع جرعتين من الشاى الحارق. قال:

– لقد شفيت، أخيراً، أعتقد أننى شفيت، إذا شفيت فلن أتناول المنشطات، قابلت فتاة طيبة، فتاة ساحرة، ويجب أن أخبرك بذلك (لمعت عيناه اللتان تحركتا بخفة، وهو ينظر إلىّ) وصرت نموذجاً مثالياً.

سألت: ماذا تعمل؟

- أعمل فى محل للوازم السفن.

- قطع غيار سفن؟

- نعم، إنها جيدة، أحس أننى فى إجازة، هناك، يأتى الناس ويتكلمون عن سفنهم، والبحار، ثم يذهبون إلى البحار التى جاءوا منها. أحب هذا جيداً، ثم أنا سعيد بالعمل، كما تعرفين.

- ما عملك بالضبط؟

- أنا تقريباً الرجل الذى يفعل كل شىء. أعمال المحل، ساع، لكن بمرور الزمن تعلمت جيداً، والآن ولعدة مرات، يمنحوننى الفرصة لأداء كل ما هو مهم: إصلاح الأشرعة، الأعمدة، عمل الإمدادات والتموين.

هل أنتم حساسون لشاعرية هذا المصطلح؟ نمون سفينة، ونعيد تموين المدينة، إلى من لم يفهم أن سحر اللغة قد ولد من مثل هذه الترجمة. أوجه النداء الآتى:

- هل ترتابون فى الفاصلات؟

قال وهو ينظر لىّ برقة: أنت أيضاً تبدين فى أحسن حال.

قلت: نعم، هناك بعض الأشياء غيرتنى.

قال: أنت تعرفين، لم أعد لأرى الشقة، ولا الناس، هنا، لست متأكداً أنهم سيعرفوننى، من ناحية أخرى، لقد استلمت بطاقة هويتى، أنت لم تتعرفى علىّ عدة مرات، لا (أكمل) لقد جئت، لأننى لم أستطع

أن أتـذكر شيئاً مما سـاعدنى كثيـراً. عنـدمـا كنت مريضاً، ثم ، أثناء مرحلة النقاهة.

– هل يمكننى أن أخدمك فى شىء؟

– نـعم، لأنك أخبـرتينى اسم هـذه الـزهـور، ذات يوم، فى هـذه الحاشية، هنـاك (أشار بأصبعه إلى عمق الفناء) هناك زهور بيضاء صغيرة، وحمراء، أنت التى وضعتيها، أليس كذلك؟ ذات يوم سـألتك عن اسمها، لكننى لم أكن قادراً على الاحتفاظ باسمها، ومع ذلك، فكرت طوال الوقت فى هـذه الزهـور. لا أعرف لماذا. إنهـا جـميلـة للغاية عنـدمـا كنت أتـألم، فكـرت فى الزهور، وقد جعلنى هـذا أفضل. لقد مررت قريباً من هنا، وللحظة، قلت لنفسى سوف أسـأل السيد ميشيل إذا كان بإمكانها أن تخبرنى.

انتظر رد فعلى، وقد اعتلاه قليل من الارتباك.

– ألا يبـدو هـذا غـريبًا بالنسبة لـك؟ أتـمنى ألا أكـون أثــرت خــوفك، بمـثـل هــذه الـقـصص عن الـزهور.

قـلـت: لا، أبـداً. لــو كـنـت أعـرف إلى أى حـد ستسعدك.. لوضعتها فى كل مكان!.

ضحك مثل طفل سعيد:

– آه، يا سيدة ميشيل، لكنك تعرفين، لقد أنقذ هـذا حـيـاتى تـمـامـاً، إنـهـا مـعـجـزة! هل يمـكـنك أن تخبرينى عنها.

نعم، ملاكى، أستطيع، فى ممرات الجحيم. تحت اللهاث، نفس متقطع، وقلب على طرف الشفاه. ضوء رقيق: إنها زهور الكاميليا.

قلت: نعم، إنها الكاميليا.

نظر لىّ بتركيز، العينان جاحظتان. ثم انزلقت دمعة صغيرة بطول خد طفل هارب.

قال، ضائعاً فى ذكريات تخصه وحده: كاميليا.. كاميليا.. نعم (وكرر وهو ينظر لىّ من جديد): إنها هى.. الكاميليا.

وأحسست بدمعة تنزلق على خدى أنا.

مددت له يدى.

قلت: جاك، أنت لا تستطيع أن تعرف إلى أى حد أنا سعيدة بمجيئك إلى هنا اليوم.

قال، وقد بدت عليه الدهشة: حسناً! لكن لماذا؟

لماذا؟

لأن زهرة الكاميليا يمكنها أن تغير مصيراً.

ـ ١٤ ـ

من ممشى إلى ممر

ما هذه الحرب التى نعيشها ، فى خضم فشلنا؟ صباح وراء صباح. وقد أنهكنا التعب من المعارك التى خضناها، وتقودنا إلى ذعر الحياة اليومية، هذا الممر بلا نهاية حيث إننا فى الساعات الأخيرة نتمنى أن تتسع خطى مصيرنا طويلاً، نعم، يا ملاكى، هذه هى الحياة اليومية.. سيئة، خاوية، وبالكاد غاطسة، ممرات الجحيم ليست غريبة عنها، نحن نتمنى اليوم أن نظل هناك طوال الوقت، من ممشى إلى ممر، حيث يحدث السقوط. دون صدمة أو مفاجأة، كل يوم نعقد اتفاقًا مع أحزان الممر، وليس بعد ذلك، كى نسلك طريق اللعنة المرن.

هل تعيش المماشى؟ كيف تولد بعد الهمس؟

أى يتامى جدد يولدون فوق العيون المتكلسة؟ أين تبدأ الحرب، وأين تتوقف المعركة؟

إذًا، هى زهرة الكاميليا.

\- ١٥ -

فوق الكتف ونحن نسبح

فى الساعة الثامنة، جاء بول نجوين إلى مسكنى، وهو يحمل باقة بين ذراعيه.

قال بابتسامة جميلة:

\- السيد أوزو لم يعد بعد ـ هناك مشكلة فى السفارة بشأن الفيزا ـ رجانى أن أسلم لك هذه.

وضع الباقة فوق المائدة، ومد لى بطاقة صغيرة.

قلت: شكراً، ألا تتناول شيئاً؟

قال: شكراً، لدّى ما أعمله، سأحتفظ بدعوتك لفرصة أخرى.

وابتسم لى مجدداً. بشىء من الحميمية والسعادة التى أبهجتنى دون تحفظ. جالسة وحدى فى مطبخى أمام الباقة، بعد أن فتحت المظروف.

فجأة، سيحط فوق كتفيها وهى تسبح.

مشاعر رائعة من الطزاجة التى لا تفسر
ليست حسنًا أولاً، لكن أثناء التوقف، لمح
قطعة جليد ضخمة داكنة، تهبط من السماء.
تتكسر لتوها..
من فضلك. تقبلى هذه الهدايا بكل بساطة

كاكورو

مطر الصيف فوق كتفى.. وضعت يدى على صدرى، مأخوذة كما لم يحدث من قبل، ففككت خيوط الباقة شيئًا فشيئًا.

إنه فستان رمادى من الحرير واللؤلؤ. مع ياقة صغيرة جامدة، مغلفة بإطار من جلد السيور من الساتان الأسود.

قطعة من القماش القرمزى. خفيفة، كثيفة كالريح.

خف صغير، من جلد أسود بارز رقيق، وناعم، أحسست بملمسه على خدى.

نظرت إلى الفستان. القماش والخف.

فى الخارج، سمعت ليو يخربش الباب، محاولاً أن يدخل.

بدأت فى البكاء برقة، وبطء وعلى صدرى زهرة كاميليا تتأوه.

ـ ١٦ ـ

يجب أن ينتهى شىء ما

فى الساعة العاشرة من اليوم التالى، طرق على مسكنى.

إنه شخص نحيف، يرتدى بدلة سوداء، وقبعة من الصوف الأزرق، البحر فوق رأسه، وأزرار بحرية معروفة فى فيتنام، إنه صديق كولومب الصغير، هو خبير عالمى فى الصياغة الأدبية، اسمه تيبير.

قال تيبير: ابحث عن كولومب.

لاحظ من فضلك، سخف هذه العبارة: ابحث عن جولييت، كما قال روميو، ورغم ذلك هو أكثر تأنقاً.

تكلم تيبير وهو لا يخشى سوى حمام الشامبو الذى عمله عندما تحلل من أحسن أعماله، ليس لأنه لطيف، ولكنه لأنه بالغ الحمية: أبحث عن كولومب.

نحن فى شهر مايو، ياللشيطان.

أضاف: أخبرتنى بالوما أنها هنا.

ثم أضاف من جديد: اللعنة.

ها هى بالوما تمزح بكل ما لديها.

مقدمة سريعة دفعتنى أن أغوص فى أفكار غريبة.

تيبير.. اسم لامع محتمل القبول.. تذكرت قطعة النثر التى كتبتها كولومب جوس. الممرات الصامتة لسلشوار.. وروحى التى جاءت من روما.. تيبير.. ذكريات وجه جان آرتين الذى صار محرمًا، رأيت وجه أبيها ورابطة العنق، روح سخيفة.. كل هذه المهام، كل هذه العوالم.. هل يمكننا أن نكون متشابهين، وأن نعيش فى أكوان متباعدة؟ هل يمكن أن نقتسم نفس الرعشات التى ليست لها نفس الأرض ولا نفس الدمار، أو نفس الطموح؟ تيبير.. أحس بالملل، حقًا، ملل من كل الأثرياء، ملل من كل الفقراء، ملل من هذه المسرحية الهزلية.. قفز ليو من المقعد وجاء ليجلس فوق وركى. هذا القط البدين الإحساس، صاحب روح كريمة، يحس بالأمور أكثر منى. ملل، نعم، ملل..

يجب أن ينتهى شىء ما. ويجب أن يبدأ شىء ما.

ـ ١٧ ـ

معاناة جاهزة

فى الساعة الثامنة، كنت مستعدة.

الفستان والحذاء على مقاسى تماماً (٤٢، ٣٧).

والمقصبة رومانية "٦ سم عرضًا، ٢ م طولا".

جففت شعرى ثلاث مرات بالمجفف ماركة بابليس قوة ١٦٠٠وات، ومشطت شعرى مرتين. والنتيجة رائعة.

جلست أربع مرات، وقمت أربع مرات أيضاً، مما يفسر أننى، حاضرة، قمت وأنا لا أعرف بماذا أحس.

وجلست، ربما أخرجت من علبة جواهر الموجودة خلف المفارش، فى أعماق الدولاب صفيرتين ورثتهما عن حماتى المتوحشة ايفيت ـ وحلقين قديمين من الفضة، مع ٢ حجر كريم بشكل الكمثرى، قمت بست محاولات قبل أن أثقب أذنى تماماً. يجب أن أعيش

الآن، لدى قطان مكرشان معلقان فى عرقوبى، ٥٤ سنة بدون جواهر لا تمثل أية معاناة. لقد تكلست شفتاى من أول نوم.. أحمر شفاة "جارمين عميق" اشتريته قبل عشرين عاما لحفل زواج إحدى بنات خالتى، استطالة هذه الأشياء الحمقاء، لدينا حيوات قيمة تتمثل كل يوم، لا تحاول أبداً الاختلاط بى، أنا جزء من ٨٪ من نسبة سكان العالم الذين يتبنى أفكارهم فى عالم السياحة.

طرق كاكورو اوزو بابى مرتين.

فتحت.

إنه بالغ الوسامة، يرتدى بدلة تتكون من سترة ذات ياقة ضابط رمادية بها زخارف واضحة، وبنطال مستقيم مناسب. وهذا حذاء من الجلد المرن. يشبه خفاً من الطراز الممتاز. إنه أسيوى أوروبى تماماً.

قال لى: أوه.. كم أنت رائعة!.

قلت ممتنة: آه، شكراً. أنت بالغ الوسامة أيضاً، عيد ميلاد سعيد!.

ابتسم لى، وبعد أن أعدت إغلاق الباب بعناية خلفى، وأمام ليو الذى حاول أن يسبقنى، مد لى ذراعاً وضعت عليها يدى بخفة مرتجفة. رغم أن لا أحد يرانا، أفكر فى داخلى لحظة أن أقاوم، إنها رينيه الخفية، ألقيت بخوفى إلى المجهول. لست مستعدة لأكون زبونة لدى محلات شارع جرنيل.

هكذا، ستكون مفاجأة؟

انفتح باب الدخول الذى اتجهنا إليه قبل أن نبلغه.

إنها جاسينت روزن وآن هيلين موريس.

يا أيها الكلب! ماذا أفعل.

نحن أمامهما تمامًا.

قال كاكورو وهو يسحبنى بقوة جهة اليسار، ويتجاوزهما فى تعجل: مساء الخير، مساء الخير. مساء الخير يا عزيزتاى. لقد تأخرنا، نحييكما ننفذ بجلدينا

تعلقتا أعينهما، وهما تستديران بحركة تتبعنا: آه.. مساء الخير يا سيد أوزو.

قالتا لى وهما تبتسمان كاشفتين عن أسنانهما: مساء الخير يا سيدتى.

لم أر قط مثل هذه الأسنان.

رمقتنى آن هيلين موريس، وهى تنظر إلىّ، وكنا قد اجتزنا النهار: كل السعادة يا سيدتى العزيزة.

تمتم كاكورو وهو يضرب مصراع الباب: بالتأكيد، بالتأكيد.

قال: مأساة، أن يتم توقيفنا، أمامنا ساعة واحدة.

قلت: لم تتعرفا علىّ.

توقفت وسط المكان، وقد تغيرت تماماً.

كررت: لم تتعرفا علىّ.

توقف بدوره، يداى لا تزالان بين ذراعه.

قال لى: لأنهما لم يرياك قط، لقد تعرفت عليك فى محل الظروف.

ـ ١٨ ـ

المياه المتحركة

تكفى أن تكون لديك تجربة واحدة كى تكون أعمى وسط الضوء، وأن ترى اللون الأسود كى تطرح سؤالا عن الرؤية، لماذا نرى؟ ونحن نصعد فى سيارة أجرة أوصى بها كاكورو، وأنا أفكر فى جاسينت روزن وآن هيلين موريس اللذين لم يريا فىّ سوى ما أرادتا رؤيته (فى ذراع السيد اوزو، فى عالم من التدرج)، بدت نظرته مثل يد تبحث عن قطع المياه الجارية، تضربنى بقوة غير ملموسة، نعم العين تلحظ، لكنها لا تفحص، تعتقد لكنها لا تسأل، تستقبل لكنها لا تبحث، تفرغ الرغبة، بلا جوع ولا تقاطع.

وبينما تنزلق السيارة فى الغروب الوليد، رحت أفكر.

فكرت فى جان آرتين، فى الحدقة المحترقة المشرقة لزهرة الكاميليا.

فكرت فى بيير آرتين، ذى العين الفولاذية، والعمياء للشحاذ.

فكرت فى النساء الشرهات، ذوات الأعين اللحوحة العمياء تماماً.

فكرت فى جيجين، المدارات الميتة بلا قوى، وهى لا ترى سوى سقطتها.

أفكر فى لوسيان الحاد الرؤية وسط سبب الظلام، أحياناً، يؤخذ فى الحسبان أنه بالغ القوة.

أفكر فى نبتون الذى عيناه لم تعرفا كيف تكذبان.

تساءلت إن كنت قد رأيت نفسى.

ـ ١٩ ـ

إنها تلمع

هل رأيت فيلم "المطر الأسود"(*).

إذا لم تكن قد شاهدت "المطر الأسود"، أو فيلم "الشفرة المتزحلقة" من الصعب عليك أن تفهم السبب؟ عندما دخلنا المحل، أحسست أننى أشاهد فيلما من إخراج ريدلى سكوت. هناك هذا المشهد من "الشفرة المتزحلقة" فى بار النساء الثعبانيات حيث يخرج رجل يسمى راشيل من فيديو على الحائط، هناك أيضاً بار فتيات الليل فى "المطر الأسود"، ذوات الشعر الأشقر والظهر العارى للممثلة كات كابشو، ولا توجد سوى خيوط الضوء الزجاجى والواضح للكاتدرائية اللامعة فى ظلال الجحيم.

قلت إلى كاكورو أنا أجلس: أحب الضوء كثيراً.

قادونا إلى صندوق صغير هادئ، يسبح فى ضوء

(*) المطر الأسود: فيلم أمريكى بوليسى أخرجه ريدلى سكوت عام ١٩٨٨ بطولة مايكل دوجلاس. تدور أحداثه فى اليابان.

شمسى نابع من الظلال اللامعة، كيف يمكن لظل أن يلمع هكذا؟ إنه يلمع، فى كل مكان.

سألنى كاكورو: هل شاهدتى المطر الأسود"؟

لم أصدق أنه يمكن أن يتوحد كائنان فى مثل هذه المصادفة من الذوق، والتوجه الفيزيقى.

قلت: نعم، اثنتا عشرة مرة على الأقل.

كان الجو لامعاً متلألئاً، متأصلاً، مزخرفًا، براقًا، رائعاً.

قال كاكورو وهو يلوح فوطته بحركة حماسية: سوف نصنع من السوشى "عربدة". ألا تريديها لقد أوصيت بها، حدثتك عن ما اعتبره أفضل ما فى المطبخ اليابانى بباريس.

قلت وأنا أدعك عينى، لأن الخدم وضعوا أمامنا زجاجات الساكى، فى عدد لا يحصى من الأكواب الثمينة. مجموعة من الخضراوات الصغيرة التى تبدو كأنها كائنات بحرية فيما لا أعرف ما يجب أن يكون قوياً: أبداً.

وبدأنا. بدأت بخيار البحر، الذى ليس فيه من الخيار ولا من البحر سوى الظهر، إنه حريف على اللسان، شىء لذيذ، رفع كاكورو برقة عصاتيه الخشبيتين المتباعدتين.. ومن اليوسفى؟ والطماطم؟ والمانجو، واخفاها بمهارة. بسرعة فى الأكواب نفسها.

إنه الجزء المسكر لآلهة تذوق الطعام.

قلت وأنا أرفع كأس الساكى: عيد ميلاد سعيد!.

قال متبادلاً النخب معى: شكراً، شكراً جزيلاً!

سألت وأنا أخرج لتوى قطعة صغيرة من الزوائد المغموسة بالسوس الأصفر الزعفرانى: هل هو أخطبوط؟

جاءوا بطبقين صغيرين من الخشب السميك، دون أطراف، وعليها قطع من السمك النيئ.

قال كاكورو: ساشيمس، سوف تجدين به أخطبوطاً.

رحت أتأمل المكان، حيث الجمال البصرى يقطع الأنفاس، لففت قطعة صغيرة من اللحم الأبيض والرمادى بين عصايتى المرتجفتين (إنها من شبكة مربعة كما أخبرنى كاكورو) رحت أتلذذ، وأنا أتذوق.

هيا نبحث عن الخلود فى أثير الجوهر الخفى؟ هذه القطعة الصغيرة البيضاء هى إناء مصنوع بمهارة.

قال لى كاكورو: رينيه، أنا بالغ السعادة لأننى أحتفل بعيد ميلادى فى صحبتك. لكن أنا أيضاً عندى دافع بالغ القوة للعشاء معك.

رغم أننا لم نتعارف سوى منذ أسابيع قليلة، بدأت فى تمييز دوافع كاكورو. هل هى فرنسا أو إنجلترا؟ فيرمر، او كارافاج؟ (*) الحرب والسلام أم عزيزتى آنا كارنينا؟

(*) كارافاج: (١٥٧١ ـ ١٦١٠م) رسام إيطالى من عصر الباروك.

تناولت قطعة ساشيمس.. تونة جديدة؟ بقامته المهيبة، قال:

- دعوتك للاحتفال بعيد ميلادى، لكن فى هذه الأثناء، أعطانى شخص ما معلومات بالغة الأهمية. وكان لدّى شىء ما كى أخبرك به.

كانت قطعة التونة قد شدت كل انتباهى، ولم تؤهلنى إلى ما سوف يتبعها.

قال كاكورو وهو ينظر إلى عينىّ: أنت لست أختك.

ـ ٢٠ ـ

عشيرة مياه غازية

سيداتى.

سيداتى، ماذا تعنى سهرة عشاء مع رجل ثرى، وسيد رقيق فى مطعم فخم، يفعل كل شىء بنفس الأناقة. إنه يدهشك، ويثيرك، ويهمس لك، يلزمك أن تحتفظى بنفس الجاذبية والانفعال، وبكلمات رائعة، يتصرف بكل تميز، ولأننى مبنى حجرى أغوص فى ساشيمس مصنوع من البطاطس، هززت رأسى بتشنج، وأنا أحس بفظاعة طبق الخلود يتكوم فى رقبتى. أحاول، مثلما تفعل غوريلا، البصق على الموائد الأكثر قربًا، يمتد الصمت ، وبعد العديد من التجشؤات، وفى أقصى حالات الهياج، بلغت حداً من الاحساس بالذنب، وأنا أغطى وجهى بفوطتى، وأنا أتعامل معها بحدة.

قال كاكورو الذى بدا عليه أنه يتسلى: هل يجب أن أكرر؟

سعلت: أنا.. كوف. كوف..

الكوف كوف هى الإجابة التقليدية للصلوات الأخوية فى عشيرة المياه الغازية "الجازوز".

أكملت بكل حماس: أنا.. أخيراً.. كوف.. كوف..

وبطبقة بلغت القمة:

- كوا..

قال بنوع من الصبر المتناه الذى نمارسه مع الأطفال، أو.. مع الأرواح البسيطة:

- أخبرتك بكل وضوح، رينيه، أنت لست أختك.

ظللت مكانى، غبية، أنظر إليه.

قال بشكل عابر، وهو يتساءل عن حالة معدتى:

- أكرره عليك لآخر مرة، آملاً هذه المرة ألا تختفى مع السوشى الذى تبلغ القطعة منه ثلاثين يورو، أنت أخت لست أختك، يمكننا أن نصبح صديقين، وأيضاً كل ما نريده.

ـ ٢١ ـ

كل أكواب الشاى هذه

توم توم توم توم توم توم توم

انظر، إذا كان معك طلقة. فى مناسبة ما

لتقيس كل شىء طلبته دوماً

لحظة واحدة

هل تريد أن يؤسرها، أو أتركها تنام

إنها أغنية أمنيم(*). أعترف أنه فى عنوان نبى الصفوة المعاصرة، قررت أن أسمع عندما قالا:

يكون ممكنًا أن نجهل أن ديدون قد راهن.

لكن بشكل خاص، هناك شوشرة كبيرة.

برهان؟

ها هو

(*) أمنيم: مطرب أمريكى معاصر، له أسلوب خاص فى الغناء.

تذكرنى، تذكرنى

لقد أنس بدانتى

القطعة بثلاثين يورو

هل تريد أن يؤسرها

أو أتركها تنام

مر هذا فى رأسى، والتعليق، هو الطريق الغريب الذى يبدو فيها، ينطبع فى روحى ويأخذنى دوماً (دون أن تستفز بعض الكونفوشيوسيين. صديق كبير للبوابات ذوات المثانات الصغيرة).

ثم رحت أبكى.

فى مشرب الأصدقاء باتو، ضيفه تفتقد أن تخنق نفسها، وهى تهرب من العدالة، ثم تنهار باكية، الحلوى فى فوطتها، متضمنة إنذارًا من الأسعار، لكن هنا، فى هذا المعبد الشمسى ذى الساشومى المباع بالقطعة. كيلى لديه تأثير معاكس. يم من الإنكارات الصامتة يغمرنى، وهأنذا أبكى. الأنف يسيل، مضطرة أن تسرى دموعى فى فوطة. أنزعج لتجفيف دموعى، مشاعرى تحاول أن تضع له قناعًا، والفكرة العامة تثبت.

فكرت أكثر.

لقد خانتنى بالوما.

إذًا، مشدودة بهذا النحيب، منسابة فى صدرى، كل هذه الحياة مرت فى مقاومة روح وحيدة. كل هذه

النصوص الأدبية الطويلة. وكل هذه الشتاءات من المرض. كل هذا المطر فى نوفمبر على وجه ليزيت الجميل، كل هذه الكاميليا العائدة من الجحيم، النامية فوق عشب المعبد، كل هذه الفناجين من الشاى فى حرارة الصداقة، كل هذه الكلمات الرائعة فى فم آنسة، هذه الطبيعة الميتة بالغة البشاعة، هذه الجواهر الخالدة تنير انعكاساتها المتفردة، وأيضاً هذه الأمطار الصيفية المنسابة فى مفاجأة المتعة، ندفات ترقص على أغنية القلب. وفى جوهر اليابان القديمة. الوجه النقى لبالوما.

أبكى، أبكى بلا توقف، بحرارة، وبدموع كثيفة، جميلة من السعادة، بينما من حولنا، يموج العالم وقد عكست المشاعر نظرة هذا الرجل الذى تصحبه امرأة بما أحست به.

يمسك يدى برقة، ويبتسم لى بكل حرارة العالم.

قلت وأنا أهمس وسط أنفاسى: شكراً.

قال: يمكننا أن نكون صديقين، أو ما نود أن نكون.

تذكرنى، تذكرنى

وآه، أرغب بدانتى

ـ ٢٢ ـ

عشب البرية

يجب أن نعيش قبل أن نموت، أعرف هذا الآن، ها هو، أريد أن أخبركم به، ما يجب أن يعيش قبل أن يموت، هو المطر الضارى الذى يتحول إلى نور .

لم أنم طوال الليل، رغم كل تدفق المشاعر المليئة بالعرفان، والعشاء الذى كان رائعاً، ممتنة، متوحدة مع الصمت الطويل الرقيق. عندما اصطحبنى كاكورو إلى بابى، وقبل يدى طويلاً ثم افترقنا، دون كلمة ، مع ابتسامة كهربية بسيطة مكهربة.

لم أنم طوال الليل.

هل تعرفون لماذا؟

اتفقنا، أنتم تعرفون.

اتفقنا، كل العالم يشك، إنه يعرف الباقى، بمعنى هزة أرضية قلبت ماء وجودنا، فجأة أزالت شيئًا

متحجرًا، على مسافة فى رأسى الصغيرة لفتاة طائشة فى الخمسين بأن هذا شىء يكاد أن ينطق: وأيضاً كل ما نريد.

فى الساعة السابعة استيقظت كأننى انسلخت فى منتجع حاملة قطى البلدى نحو طرف السرير.

كنت جائعة، جائعة بالحس الصادق (شريحة عملاقة من الخبز المدهون بالزبدة ومربى الجانرك التى لم تنجح فى إثارة شهيتى) أتهافت لأكل التين: أنا غير صبورة بشكل هستيرى، أعرف الباقى. استدرت كأن وحشاً داخل قفص فى مطبخى. شراسة قط لم يعرنى أى انتباه . أجرب مرة ثانية الخبز والزبد والمربى، يمشى القط بطول واتساع المكان مما يجعلنى كأننى يجب أن أزور المخابز.

ثم فجأة، فى الساعة الثامنة، هدأت.

دون صراخ ملحوظ، وطرق مباغت، انتابتنى مشاعر من الصفاء، ماذا حدث؟

تبديل، لا أرى أبداً أى تفسيرات آخرى، وأنا أتحدث بالحكمة.

تركت نفسى أجلس فوق مقعد، واستعادت الحياة مسيرتها.

فى خضم كل ما يحدث، أتذكر أننى دائماً بوابة، فى الساعة التاسعة يجب أن أكون فى شارع باك كى أشترى منظفًا للنحاس (فى التاسعة) هو تعبير ساحر:

تناولت سلتى وحقيبتى وذهبت إلى العالم الواسع الذى يلمع بالزينات، خارج بيوت الأثرياء يلزمنى يوم رائع من الربيع، من بعيد، لاحظت جيجين كم أنا سعيدة كما أعلنت.

أفكر فى الارتباط بالأب الكبير المتعجرف المتشرد، مما يجعلنى أبتسم.

تبدو السعادة فى كفاح الطبقات الفقيرة، قلت هذا لنفسى، مبغوتة فى تفكير وعىّ المتمرد.

ثم. فجأة، ترنح جيجين. أحس أننى لم أتجاوز الخامسة عشرة، دعكت رموشى القلقة، أترنح بكل قوة، مثل شخص يسقط من أعلى سفينة فريسة الإدراك، أستطيع أن أرى وجهه ومظهره التائه. ماذا يحدث؟ تساءلت بصوت عالٍ وأنا أضع النقاط فوق المأساة.

من الطبيعى فى هذه الساعة ألا يكون جيجين مخموراً، لقد أمسك بزجاجة الكحول مثلما تمسك بقرة بعشب البرارى، كولومب المأساة. كان الشارع خاوياً تماماً. أنا الوحيدة التى لاحظت مأساة تترنح وهى تخطو بضع خطوات.

فى وسط الشارع، توقف، ثم. وعلى مسافة مترين، وكأن شيئاً وخزه، انطلق بسرعة مضاعفة، كأن شيطاناً يطارده.

وهذه هى التكملة.

هذه التكملة، مثل كل تكملة، يجب أن أتحدث عنها.

ـ ٢٣ ـ

زهرات الكاميليا التى تخصنى

أناْ أموت.

أعرف أن ثقتى قريبة فى التنجيم، أنا فى حالة موات وأننى سوف أبلغ شارع باك.

ذات صباح جميل فى الربيع، لأن متشرداً يدعى جيجين. راح يرقص فى شارع سان جاى، وهو يهذى فوق طريق خاو دون أن يهتم بأمره أحد من البشر أو السماء.

حقاً، ليس الطريق خاوياً. الدور الأرضى.؟

هرولت وراء جيجين وأنا أترك الحقيبة. والسلة.

ثم رحت ألطم.

الأمر لا يعدو أن يكون سقوطاً. بعد لحظة من الدهشة والغموض، وقبل أن يفترسنى الألم، استرخيت لحظة فوق ظهرى، وأنا أرمى نفسى بقوة

فوق لوح شاحنة الكواء الصغيرة. حاولت أن تتجنبنى وأن تتحرف نحو اليسار، لكن ما لبثت أن دفعتنى نحو اليمين بقوة، بعد فوات الأوان "كواء مالفوان" مثلما يظهر اللوجو الأزرق فوق خلفية بيضاء، لو استطعت الحركة لضحكت. طرق الرب واضحة للغاية وهى تحدد مسارها.. أفكر فى مانويلا؟ التى لم تتخيل حتى أيامنا الأخيرة فى أن الموت كواء، وأنه ليس سوى عقاب مزدوج، لخطايانا الكبرى، صرت مذنبة.. استبد بى الألم، ألم الجسد، مشعاً، متدفقاً، يلف بى بقوة ليس لها مثيل. تتسرب فى كل مكان حيث أستطيع أن أحس بشىء ما، ثم ألم الروح، فيما بعد، فكرت فى مانويلا، وأننى سوف أتركها وحدها، ولن أراها بعد ذلك، وقد يترك هذا فى قلبها جرحاً غائراً.

يقال إنه فى لحظة الموت، نرى كل حياتنا، لكن أمام عينى الواسعتين المفتوحتين اللتين لا تميزات أبعد من الشاحنة الصغيرة، ولا سائقتها الشابة التى تعمل بالكى بالبخار التى قدمت لى الفستان الكتانى الأسمر، إنها تبكى، وتنعى حظها السيئ، أمام المارة الذين يهرولون بعد الصدمة، ويتكلمون إلىّ كثيراً دون أن أفهم أى معنى ـ أمام عينى الكبيرتين المفتوحتين اللتين لا تريان أكثر من هذا العالم بوجوه متأثرة، ولكل واحد منهم. تكونت لدى فكرة مشتتة.

وأنا أتصفح الوجه أولا، هناك خرطوم، نعم، راح ذهنى أولاً إلى قطى ليس لأنه الأكثر أهمية من الكل،

لكن لأنه، سيقابل المتاعب الحقيقية، والوداعات الحقيقية، فأنا فى حاجة أن أتأكد من مصير رفيقى ذى المخالب. ابتسمت فى نفسى، وأنا أفكر فى القط البدين الضخم، الذى صحبنى طوال السنوات العشر الأخيرة من الترمل والوحدة، وحتى الموت. فأنا قريبة من حيوانات الصحبة التى تشاركنا فى تقليل مسار الحياة اليومية، فلولاهم تصبح الحياة كارثة. عشر سنوات من الحياة تبلورت فى ليو، وأنا أدرك كم أن هذه القطط السخيفة والبدينة التى تعبر وجودنا بكل هدوء، واختلاف عن الأغبياء هى مواقف اللحظات الطيبة والسعيدة لترام السعادة، وأيضاً تحت قبة الألم، وداعاً ليو، قلت لنفسى وأنا أقول وداعاً لحياة لا أعتقد أننى تمسكت بها إلى هذا الحد.

وضعت كلبى فى الحسبان، وهو بين يدى اوليمب سان ـ نيس، مع التخفف العميق المولود من الثقة التى مثلها بالنسبة لى.

الآن، أستطيع مواجهة الآخرين.

مانويلا صديقتى.

عند أعتاب الموت، أخيراً أرفع الكلفة عنك .

هل تذكرين أكواب الشاى فى مسار المحبة؟ عشر سنوات من الشاى، والمعايشة على طرف الحياة، حرارة فى صدرى، وهذا الجميل المستعاد نحو لا أعرف من ولا ماذا. الحياة، ربما، من النعمة أن أكون صديقتك. هل تعرفين أنها قريبة منك، وإن لدىّ أجمل

الأفكار؟ هل يجب أن أموت كى أبلغ الوعى.. كل هذه الساعات من الشاى، وهذه الشواطئ الكبيرة من السعادة، هذه السيدة العادية الضخمة. بدون مظاهر ولا قصور، لن تكون مانديلا بوابة، إنها حالة من العدوى، لأن أرستقراطية القلب هى مشاعر معدية، لقد جعلت منى امرأة قادرة على المحبة.. هل سوف أستطيع، بكل سهولة، أن أحول عطشى الفقير إلى متعة الفن وأن أحتفظ بالخزف الأزرق، من الأبواق عالية الصوت، الكاميليا الطحلبية، كل هذا الخلود السعيد عبر القرون، وكل هذه الجواهر الغالية فى حركة النهر الدائمة، إذا لم يكن أمامك سوى أسبوع بعد آخر، فاقضيه معى، وأنت تقدمين لى قلبك، أثناء الشعائر المقدسة لتناول الشاى؟

كم أفتقد ذلك.. فى كل صباح، أفهم أن الموت يعنى: ساعة الاختفاء، الآخرون يموتون بالنسبة لنا لأننى هناك، نائمة، فوق البلاط البارد، أسخر من نفسى فى الموت، هذا ليس أكثر من شعور أمسية من الأمسيات، لن أرى حبهم بعد ذلك. فأن أموت هو المأساة كما نقول.

مانويلا، أختى، التى لا يريد القدر أن أكون بالنسبة إليك ما فعلته بالنسبة إلىّ: حارس مجنون ضد الابتذال، استمرار وحياة، وأنا أفكر فى نفسى فى بهجة.

لكن، ألا أراك بعد ذلك هو متاعب النهاية.

ها هو، لوسيان، فوق صورة مصغرة، فى أيقونة أمام عينى ذكرياتى، أنت تبتسم، أنت تصفر، هل تحس أيضاً أنه موتى وليس موتك. عندما يموت من عاشوا معاً زمنا طويلا جداً؟ جربت اليوم مشاعر جادة، أن اخونك، وأموت، لا يكفى أن أبرهن أننا نحس أن الآخرين يبتعدون، يجب أن نجلب إلى الموت هؤلاء الذين لن يعيشوا أطول منا. ومع ذلك أنت تبتسم، أنت تصفر. وثم أبتسم أنا، يا لوسيان.. لقد أحببتك، ولهذا، أستحق الراحة، سوف تنام فى سلام فى مقبرة صغيرة فى بلادنا، بعيدا. لن نلمس النهر معاً. سوف نصطاد فيه السردين وأيضاً النجوم، سيأتى أطفال كى يلعبوا هنا، وهم يصرخون رأسا برأس، وفى المساء، عندما تغرب الشمس، نسمع صلاة التبشير.

وأنت يا كاكورو، عزيزى كاكورو الذى جعلنى أؤمن بقدرات زهرة كاميليا.. ليس هذا سوى هروب اليوم افكر فيك، بضعة أسابيع لا تكفى كأننى لم أعرفك أبداً، ولم كل ما تفعله بالنسبة لى. سماوى طيب، مغارة معجزة، ضد يقين القدر. هل يمكن أن يكون شيئاً آخر؟ من يعرف.. لماذا لا أستطيع أن أمنع القلب أن يكون مزموماً من هذا الشك.؟ لقد جعلتنى اضحك واتكلم وأبكى، وأن أغسل كل هذه السنوات من قذارة الخطأ، وأن أستعيد أختى ليزيت. حين وقعت فى حب غير متوقع، سعادتها المفقودة؟ يا لها من شفقة.. لن تراها بعد ذلك.. يلزمنى أن أتخلى عن محاولة التعرف الدائم على إجابة من هذا النوع.

هل هـذا هـو المـوت؟ هل هـى المـأسـاة، وكم من الوقت إذًا؟

لم أكن أعرف دوماً أنه نوع من العناق.

بالوما يا ابنتى، إننى أتجه نحوك، أنت الأخيرة.

بالوما، يا ابنتى.

لـيس عـنـدى أطـفـال. لأن هـذا لم يـحـدث، هل أعـانى؟ لا، لـكن إذا كـانت عـنـدى ابـنـة. فسـتكون أنت، وبكل قـوتى، سـوف أطـلق رجـاء من أجـل حيـاتى بـأكثر مما تسمحين به.

هذا هو التنوير.

تـنـويـر حـقـيـقـى، أريـنـى وجـهـك الجـمـيـل، المهيب، النقى، وعينيك ذواتـا الأطراف الوردية، هـذه الطـريقة التى نتعامل بها من أسفل صداريك، النظـر يمينا فى العينين، ومداعبـة القط الذى يكاد أن يتكلم. وأنـا أبدأ فـى البكاء، البكاء من الفـرحة الـداخلية فـى أعـماقـى، مـاذا يرى المتسكعون المعلقون فوق جسدى المحطم؟ لا أعرف.

لكن فى داخلى توجد الشمس.

كيف يقـررون إذًا قـيـمـة الحـيـاة؟ قـالت لـى بـالـومـا يوماً: ماذا يهم. ليس هو الموت.

ماذا نفعل فى هذه اللحظة التى نموت فيها، ماذا نـفعل فى لحـظـة الموت؟ لا أسـأل بإجـابـة جـاهـرة فى حرارة كلمتى.

ماذا فعلت؟

قابلت الآخر ومستعدة للحب.

بعد أربعة وخمسين عامًا من الخواء العاطفى، والروحى، مطلية لتوى بحنان لوسيان الذى لم يكن قط بالنسبة لى سوى الظل المستسلم، بعد أربعة وخمسين عاما من السرية، والانتصار الصامت فى الداخل المسكون بروح وحيدة. بعد أربعة وخمسين عاماً من كراهية العالم، وفريق الصحبة، هأنذا أهرب من احباطاتى التافهة، بعد هذه السنوات الأربعة والخمسين من لا شىء، لم التق بشخص ولم تكن لى علاقة قط مع الآخر.

دائماً مانويلا

وأيضاً كاكورو

وبالوما، أختى الروحية

وزهور الكاميليا

سوف أتناول معكم كوب الشاى الأخير

إذًا، كلب ذهبى، آذان، والسنة معلقة، تعبر حقل رؤياى، إنه شىء غبى.. لكن هذا يعطينى الرغبة فى الضحك. الوداع. يا نيبتون، أنت كلب أبلة لكن يجب أن تؤمن أن الموت يجعلنا نفقد القليل من الإيقاع. ربما لأننى أفكر فيك فى اللحظة الأخيرة، وإذا كان لهذا معنى، فإننى أهرب من نفسى تماماً.

أوه. لا، خذ

صورة أخيرة

كم هذا جاد.. لم أعد أرى المزيد من الوجوه.

إنه الصيف، الساعة السابعة، فى كنيسة القرية، تدق الأجراس، وأرى أبى وظهره المحنى، وذراعيه متهدلتين تعودان إلى أرض يونيه حيث الشمس، يقوم أبى ويجفف جبهته بظهر كمه، ويعود نحو الدار.

نهاية الاجتهاد.

إنها تقريبًا الساعة التاسعة

أموت، فى سلام

آخر فكرة عميقة

ماذا أفعل

أمام الأبد

هل عليَّ أن أبحث

دوماً

فى بعض النقاط السرية؟

ماتت السيدة ميشيل هذا الصباح، صدمتها شاحنة صغيرة تابعة للكواء قريبًا من شارع "باك"، لا أصدق أننى أكتب هذه الكلمات.

إنه كاكورو الذى أبلغنى الخبر، ظاهرياً، خرج بول، سكرتيره، إلى الشارع فى هذه اللحظة، وشاهد الحادث من بعيد عندما حدث. تأخر الأمر، أرادت أن تنقذ المتشرد جيجين، الذى كان فى ركن من شارع باك والذى كان يترنح مثل البرميل. جرت وراءه لكنها لم تر الشاحنة الصغيرة، بدا أنه يحاول أن يصحب السيدة إلى المستشفى، كانت فى قمة الأزمة العصبية.

جاء كاكورو، وقال: لا توجد أية وسيلة كى أفاديك هذه المعاناة، يا بالوما، سأقول لك كيف حدث هذا، لقد أصاب حادث رينيه منذ ساعة، نحو الساعة التاسعة، إنه حادث جسيم، لقد ماتت، بكى، وهو يمسك يدى بقوة، سألت أمى وهى خائفة، لكن، من هى رينيه، أجبتها: السيدة ميشيل. تخففت أمى، وهى تقول "أوه"، ثم استدارت، وقالت لى: بالوما، يجب أن أهتم ببعض الأشياء. سوف نرى ذلك فيما بعد، مفهوم؟، هززت رأسى، وضغطت بيدى بقوة. وأديت تحية صغيرة على الطريقة اليابانية، انحناءات سريعة، لقد فهمت أن هذا مؤلم جداً.

عندما رحل، كان الشىء الوحيد الذى أردته، هو أن أتجنب أمى، فتحت فمها، لكننى أصدرت اشارة بيدى، الكف المرفوع نحوها كى أقول: "لا تحاولى أبدا"، هزت رأسها هزة خفيفة، لكنها لم تقترب، تركتنى أذهب إلى غرفتى، هنا بدأت أدور فوق سريرى، وطوال نصف ساعة، ظلت أمى تطرق الباب برقة، وأنا أقول "لا"، لكنها لم تلح.

مرت عشر ساعات، الكثير من الأشياء أيضاً مرت فى البناية، ألخصها: اوليمب سان -نيس أسرعت إلى المسكن عندما علمت بالخبر، جاء حداد ليفتحه" كى يأخذ ليو ليبقى عندها، فكرت أن السيدة ميشيل، رينيه أرادت هذا مما خفف علىّ. السيدة دو بروجلى اتجهت نحو غرفة العمليات، بناء على أوامر عليا من كاكورو. غريب أن هذه العجوز كانت تشبهنى

تقريبًا، قالت أمى غاضبة لصديقتها الجديدة: كانت فى السابعة والعشرين عندما جاءت إلى هنا. سوف نفتقدها.. طلبت على الفور باقة من الزهور، وكلفت أن تتصل بأعضاء أسرة رينيه ترى هل هناك أحد منهم؟ لا أعرف، لكن السيدة دو بروجلى سوف تبحث عنهم.

الأكثر من ذلك، أن السيدة لوبس، وقد أخبرتها السيدة دو بروجلى عندما جاءت فى الساعة العاشرة لأداء أعمال المنزل، ظاهرياً، ظلت هناك ثانيتين دون أن تفهم، ويدها على فمها، ثم وقعت، وعندما عادت إلى بيتها، بعد ربع ساعة، همست: معذرة، آه معذرة.. ثم استعادت وشاحها، وعادت إلى منزلها.

القلب مأزوم.

وأنا؟ أنا، بماذا أحس؟ ثرثرت حول الأحداث البسيطة للعقار رقم ٢٧ شارع جرنيل، لكننى لم أكن شجاعة، خفت أن أتوغل فى نفسى، وأن أرى ما حدث، أشعر بالعار، أفكر أننى أريد أن أموت، وأن أجعل كولومب تعانى، وأيضاً أمى وأبى لأنه لم تسبق لى المعاناة قط، أو بالأحرى، لقد عانيت دون أن يصيبنى الألم، من ناحية فإن مشاريعى الصغيرة، هى مشاريع يافعة دون مشاكل. ومنها تأميم الفتاة الصغيرة التى تريد ممارسة أهميتها.

لكن، هناك وللمرة الأولى، أحسست بالألم، الشديد التام، غصة فى بطنى، النفس مقطوع،

الضربة القاضية. القلب يعتصر، المعدة مهترئة تماماً، ألم طبيعى غير محتمل، تساءلت إذا كنت سوف أستسلم يومًا إلى هذا الألم، أحسست بالرغبة فى الصراخ، لكننى لم أصرخ. ما أحسه الآن هو أن الألم هناك دوماً، وأنه لن يمنعنى من المشى أو الكلام، انها مشاعر تعبر عن الضعف والعبثية الكاملة، أليس كذلك؟ هل انطفأت كل الإمكانات فجأة؟ حياة موجودة فى الشارع، والنقاشات، الرغبات لم تتكامل. انطفأت لا شىء، لا شىء نفعله. ألا يمكن أن نعود إلى الوراء؟

لأول مرة فى حياتى، أحسست بكلمة "أبداً، إنها مرعبة. نطقت بالكلمة مائة مرة لكننى لا أعرف ماذا تعنى قبل أن أواجه حقيقة اسمها "أبداً مطلقا"..

وأخيراً هناك الوهم الذى يسيطر على ما يحدث، لا شىء يبدو لنا محدداً.

يجب أن أقول لنفسى طوال هذه الأسابيع الأخيرة إننى سوف أنتحر قريبا، هل أنا أؤمن حقا؟ هل جعلنى هذا القرار أحس بمعنى كلمة "أبدا"؟ مطلقا. بل جعلنى أحس بقدرتى على الفرار. فكرت أنه فى بضع ثوان، أن أمنح الموت لنفسى، أن أنتهى إلى "أبدا" ستظل أيضاً كلمة فارعة، لكن عندما يحب أحد الموت.. يجب أن أخبركم أننى أحس ما يراد أن يقال، وسيكون هذا سيئاً للغاية مثل الألعاب النارية التى تنطفئ فجأة ويصبح كل شىء مظلماً. أحس وحدى بالمرض. أحسست بالألم فى قلبى، مع كل حركة تكلفنى مجهودات شديدة.

ثم حدثت بضعة أشياء. أشياء عاقلة فى يوم حزين، نزلت مع كاكورو، فى الساعة الخامسة إلى مسكن السيدة ميشيل "اعنى رينيه"؛ لأنه أراد أن يأخذ ملابس تخصها كى يعطيها إلى معرض الجثث بالمستشفى. دق الجرس، وطلب من أمى أن يكلمنى. خمنت أنه هو: كنت هناك، أردت أن أصحبه، أخذنا المصعد نحن ـ الاثنين ـ دون أن نتكلم، بدا عليه التعب، أكثر تعبا مما هو حزين. تساءلت: كيف تظهر المعاناة على وجه حليم، لم تظهر. أعطانى الإحساس بتعب شديد جداً. هل أنا أيضاً أبدو متعبة؟

نزلت إلى المسكن، مع كاكورو، توقفنا ونحن نعبر الفناء. توقفنا نحن ـ الاثنين ـ فى الوقت نفسه. هناك شخص ما يعزف بيانو، سمعنا العزف جيداً، انها ساتى، على ما أعتقد. أخيراً، لست واثقة، لكن على كل حال، (كانت موسيقى كلاسيكية).

لم أفكر بعمق فى الموضوع، من ناحية أخرى كيف تكون لى فكرة عميقة، عندما تستريح أختى الروحية فى ثلاجة المستشفى؟ أعرف أننا توقفنا نحن ـ الاثنين ـ ونحن نتنفس ونترك الشمس تسخن وجهينا، نسمع الموسيقى التى تأتى من أعلى. قال كاكورو: أعتقدأن رينيه كانت تحب هذه اللحظة. ظللنا هكذا بضع دقائق، نستمع إلى الموسيقى، كنت متفقة معه، ولماذا لا؟

وأنا أفكر فى ذلك. هذا المساء، بدا القلب والمعدة أشبه بالمربى. ربما أن فى هذه هى الحياة الكثير من

اليأس، لكن هناك أيضاً لحظات جميلة حيث الزمن، يمتزج بالنوتة الموسيقية، فينبعث هذا النوع من الأقواس فى الزمن، ومن هناك وهنا فى الوقت نفسه، "دائماً" فى "ابداً".

نعم، دائماً فى "أبداً".

لا تخش يا رينيه، لن أنتحر ولن أحترق أبداً.

لأنه من أجلك، سوف أطارد من الآن كل "دائماً" فى "أبدًا".

الجمال فى هذا العالم.

الفهرس

ماركس (تمهيد)

زهرة كاميليا

من قواعد اللغة

مطر الصيف

بالوما

صدر من هذه السلسلة

١ ـ «ملكة الصمت».. للكاتبة الفرنسية «ماري نيميه» .. رواية .. جائزة ميديسيس.

٢ ـ «فتاة من شارتر».. للكاتب الفرنسي «بيير بيجي».. رواية.. جائزة إنتر.

٣ ـ «موال البيات والنوم».. للكاتب المصري «خيري شلبي» .. رواية .. جائزة الدولة التقديرية.

٤ ـ «أوائل زيارات الدهشة» للشاعر المصري «محمد عفيفي مطر» .. سيرة ذاتية.. جائزة سلطان العويس.

٥ ـ «اللمس».. للكاتبة السعودية «ملحة عبدالله».. مسرح .. جائزة أبها.

٦ ـ «عاشوا في حياتي».. للكاتب المصري «أنيس منصور» .. سيرة ذاتية.. جائزة مبارك.

٧ ـ «قبلة الحياة».. للكاتب المصري «فؤاد قنديل» .. رواية.. جائزة التفوق.

٨ ـ «ليلة الحنة».. للكاتبة المصرية «فتحية العسال» .. مسرح.. جائزة التفو.

٩ ـ العاشقات.. للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك» .. رواية.. جائزة نوبل.

١٠ ـ نوّة الكرم.. للكاتبة المصرية.. «نجوى شعبان».. رواية.. جائزة الدولة التشجيعية.

١١- «الفسكونت المشطور».. للكاتب الإيطالى «إيتالوكالڤينو» رواية (عدد خاص).. جائزة فياريچيو.

١٢- القلعة البيضاء.. للكاتب التركى «أورهان باموق» .. رواية.. جائزة نوبل.

١٣ - أين تذهب طيور المحيط.. للكاتب المصرى «إبراهيم عبدالمجيد».. أدب رحلات .. جائزة التفوق.

١٤ ـ قرية ظالمة.. للكاتب المصرى «محمد كامل حسين» .. رواية.. (عدد خاص).. جائزة الدولة للأدب.

١٥ ـ الرجل البطىء.. للكاتب الجنوب إفريقى «ج . م . كوتسى» رواية .. جائزة نوبل.

١٦ ـ طحالب.. للكاتبة الجنوب إفريقية «مارى واطسون» .. متتالية قصصية .. جائزة كين .

١٧ ـ شوشا.. للكاتب البولندى «اسحق باشيفتس سنجر».. رواية .. جائزة نوبل.

١٨ - شارع ميجل.. للكاتب من ترينداد «ف. س. نايبول».. رواية.. جائزة نوبل.

١٩ ـ الحياة الجديدة.. للكاتب التركى «أورهان باموق» .. رواية.. جائزة نوبل.

٢٠ ـ عشر مسرحيات مختارة.. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر».. مسرح.. جائزة نوبل.

٢١ ـ الآخر مثلى.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو» .. رواية .. جائزة نوبل.

٢٢ ـ المستبعدون.. للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك».. رواية ـ جائزة نوبل.

٢٣ ـ الأنثى كنوع .. للكتابة الأمريكية «جويس كارول أوتس».. قصص.. جائزة بن مالامود.

٢٤ ـ ثلاثة أيام عند أمى.. للكاتب الفرنسى «فرانسوا فايرجان» .. رواية.. جائزة الجونكور.

٢٥ ـ اسطنبول.. الذكريات والمدينة.. للكاتب التركى «أورهان باموق».. جائزة نوبل.

٢٦ ـ الطوف الحجرى.. للكاتب البرتغالى «جوسيه سارامارجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٢٧ ـ نار وريبة.. للكاتبة الألمانية «بريچيتَّه كروناور» مختارات.. جائزة چورج بوشنر الكبرى.

٢٨ ـ الذكريات الصغيرة.. للكاتب البرتغالى «جوسيه ساراماجو» .. سيرة ذاتية.. جائزة نوبل.

٢٩ ـ إليزابيث كُسّتلُّو.. للكاتب الجنوب إفريقى «ج. م. كوتسى» .. رواية.. جائزة نوبل.

٣٠ ـ السيدة ميلانى والسيدة مارتا والسيدة جيرترود.. للكاتبة الألمانية «بريچيته كروناور» .. قصص.. جائزة چورج بوشنر الكبرى.

٣١ ـ حين تقطعت الأوصال .. للكاتبة المكسيكية «أمبارو دابيللا».. قصص.. جائزة بيربياروبيا.

٣٢– مارتش.. للكاتبة الأمريكية «جيرالدين بروكس» رواية.. جائزة البوليتزر.

٣٣ - اغتنم الفرصة.. للكاتب الكندى «سول بيللو».. رواية.. جائزة نوبل للآداب.

٣٤ - البصيرة.. للكاتب البرتغالى «جوسيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٣٥ - بريك لين.. للكاتبة الإنجليزية البنغالية.. «مونيكا على».. رواية.. جائزة البوكر.

٣٦- بريد بغداد.. للكاتب التشيلى «خوسيه ميجيل باراس».. رواية.. الجائزة الوطنية للآداب.

٣٧ - عن الجمال.. للكاتبة البريطانية «زادى سميث» رواية.. جائزة الأورانج.

٣٨ - العار.. للكاتب الجنوب إفريقي «ج. م. كوتسى».. رواية.. جائزة نوبل.

٣٩ - قبلات سينمائية.. للكاتب الفرنسى «إيريك فوتورينو».. رواية.. جائزة الفيمينا.

٤٠ ـ هكذا كانت الوحدة.. للكاتب الإسبانى «خوان خوسيه مياس».. رواية.. جائزة نادال.

٤١ ـ الشلالات.. للكاتبة الأمريكية «چويس كارول أوتس».. رواية.. جائزة الفيمينا.

٤٢ ـ العشب يغنى.. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٣ ـ العالم.. للكاتب الإسبانى «خوان خوسيه مياس».. رواية.. جائزة بلانيتا.

٤٤ ـ ميراث الخسارة.. للكاتبة الهندية «كيران ديساى».. ر واية.. جائزة البوكر.

٤٥ ـ الطفل الخامس.. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٦ ـ بن يجوب العالم.. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٧ ـ ثورة الأرض.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٨ ـ ملك أفغانستان لم يزوجنا.. للكاتبة الفرنسية «انجريد توبوا».. رواية.. جائزة الرواية الأولى فى فرنسا.

٤٩ ـ الكهف.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٥٠ ـ يوميات عام سئ.. للكاتب الجنوب إفريقى «ج.م كوتسى».. رواية.. جائزة نوبل.

٥١ ـ كازانوفا.. للكاتب الإنجليزى «أندرو ميللر».. رواية.

٥٢ ـ إنقطاعات الموت.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٥٣ ـ العم الصغير.. للكاتب الألمانى «شيركو فتّاح».. رواية.. جائزة هيلده دومين لأدب فى المنفى.

٥٤ ـ اللعب مع النمر.. للكاتبة الانجليزية «دوريس ليسنج».. مسرح.. جائزة نوبل.

٥٥ ـ فى أرضٍ على الحدود.. للكاتب الألمانى «شيركو فتّاح».. رواية.. جائزة نظرات أدبية.

٥٦ ـ الإرهابية الطيبة.. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٥٧ ـ المسرحيات الكبرى جـ١ .. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر» .. مسرح.. جائزة نوبل.

٥٨ ـ المسرحيات الكبرى جـ ٢ .. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر».. مسرح.. جائزة نوبل.

٥٩ ـ نصف شمس صفراء.. للكاتبة النيجيرية «تشيماماندا نجوزى آديتشى» .. رواية.. جائزة الأورانج.

٦٠ ـ مذكرات چين سومرز «مذكرات جارة طيبة».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٦١ ـ مذكرات چين سومرز «إن العجوز استطاعت».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٦٢ ـ الحوت.. للكاتب الفرنسى «جان مارى جوستاف لوكليزيو».. رواية..جائزة نوبل.

٦٣ ـ رقة الذئاب.. للكاتبة الأسكتلندية «ستيف بينى».. رواية.. جائزة كوستا.

٦٤ ـ رحلة العم ما.. للكاتب الجابونى «چان ديڤاسا نياما».. رواية.. جائزة الأدب الكبرى لأفريقيا السوداء.

٦٥ ـ مسيرة الفيل.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو» رواية.. جائزة نوبل.

٦٦ ـ كرسى النسر.. للكاتب المكسيكى «كارلوس فوينتيس».. رواية.. جائزة سرفانتيس.

٦٧ ـ داى.. للكاتبة الأسكتلندية «أ. ل. كيندى».. رواية.. جائزة كوستا.

٦٨ ـ الحب المدمر.. للكاتب الأمريكى الكندى «دي واى بيشارد».. رواية.. جائزة الكومنولث.

٦٩ ـ أين نذهب يابابا؟.. للكاتب الفرنسى «جون لوى فورنييه».. رواية.. جائزة الفيمينا.

٧٠ ـ نداء دينيتى.. للكاتب الجابونى «جان ديڤاسا نياما» رواية.. جائزة الأدب الكبرى لأفريقيا السوداء.

٧١ ـ صخب الميراث.. للكاتب الجابونى «جان ديڤاسا نياما» رواية.. جائزة الأدب الكبرى لأفريقيا السوداء.

٧٢ ـ المؤتمر الأخير.. للكاتب الفرنسى «مارك بروسون».. رواية.. جائزة الأكاديمية الفرنسية الكبرى للرواية.

٧٣ ـ كتاب الرسم والخط.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل فى الآداب.

٧٤ ـ كلُّ رجل.. للكاتب الأمريكى «فيليب روث».. رواية.. جائزة فوكنر.

٧٥ ـ نُريد أن نتحدث عن كيڤين.. للكاتبة الأمريكية «ليونيل شرايفر».. رواية.. جائزة الأورانج.

٧٦ ـ ألم فذ.. للكاتب الإنجليزى «أندرو ميللر».. رواية.. جائزة جيمس تيت بلاك.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www. egyptianbook org.eg
E - mail : info@egyptian.org.eg

الرواية

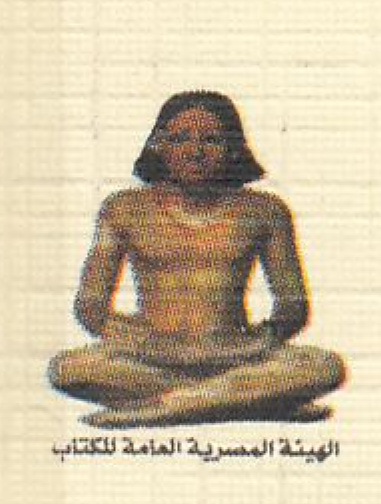
تلجأ هنا الروائية إلى حيلة أدبية تكاد تكون كلاسيكية، حيث تقسم نفسها إلى ثلاث نساء "بطلات من مراحل عمرية مختلفة". مرحلة تتوافق معها فى الوقت الراهن كدارسة للفلسفة، ومرحلة تمثل ماضيها حين كانت فى الثانية عشرة يملؤها التساؤل وطرح أسئلة أكبر من سنها، ومرحلة ثالثة مستقبلية حين ستبلغ سن الرابعة والخمسين بصرف النظر عن اختيار "موريل باربرى" وظيفة البوابة لبطلة هذه المرحلة. فهى - على أية حال - مثقفة أيضًا تقرأ بنهم الأدب وتطرح الأسئلة الفلسفية الكبرى وتتقاسم الأفكار مع بطلتى "المرحلتين السابقتين".

وعلى الرغم من كثرة الإحالات الأدبية والفلسفية والتاريخية وغرق التفاصيل فى الذهنية أحيانًا، مما قد يوحى بصعوبة ما فى القراءة، إلاّ إن "أناقة القنفذ" ستحتفظ بمتعة خاصة لقرائها كلما توغلوا فى فتحِ أبوابِ السردِ باباً بعد باب.

الروائية: الروائية الفرنسية "موريل باربرى".

الجائزة: جائزة المكتبات للرواية عام ٢٠٠٧.





ISBN# 9789774216417



الهيئة المصرية

١٥ جنيهات